مَجْمُوعُ مُؤَلَّفَاتِ وَتَحْقِيقَاتِ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ آلِ بَسَّامٍ

(٨)

مجموع رسائل

لِلشَّيْخِ العَلَّامَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرٍ السَّعْدِيِّ

(ت ١٣٧٦هـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى)

قَرَأَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ

الشَّيْخ مُحَمَّد بن سُلَيمان بن عبد العزيز آل بسّام

المُدَرِّسُ بِالمَسْجِدِ الحَرَامِ

(١٣٣٤هـ - ١٤٣١هـ)

دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

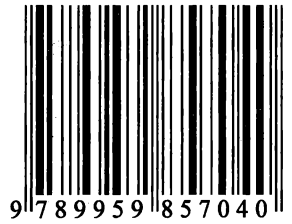

ISBN 978-9959-857-04-0

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم

بيروت – لبنان – ص.ب : 14/6366

هاتف وفاكس : 701974 – 300227 (009611)

البريد الإلكتروني : ibnhazim@cyberia.net.lb

الموقع الإلكتروني : www.daribnhazm.com

مقدمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على نبيه ومصطفاه.

وبعد، فقد كان الشيخ الوالد محمد البسام رَحِمَهُ اللَّهُ ذا عناية كبيرة بمؤلفات شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد صحح جملة منها، ونسخ طائفة منها، وقرأ عددا منها عليه، وأشرف على طبع عدد منها.

ومما اعتنى به جملة من الرسائل الصغيرة والمتوسطة الحجم، وطبعت في حياته، وقد ضممنا هذا النوع من الرسائل في هذا المجلد، وتركنا كل رسالة بمقدمتها التي طبعت مفردة في حياته حتى يتسنى إفرادها مستقبلًا، ولم نتصرف فيها بشيء إلا بتصحيح الأخطاء الطباعية، وإضافة علامات الترقيم، ونحو ذلك من العناية، والله الموفق.

كتبه

منصور بن محمد البسام

التنبيهات اللطيفة

على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن كتاب العقيدة الواسطية، تأليف شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ من أبسط الكتب التي ألفت في هذا المجال، وقد شرحها سماحة العلامة شيخ والدي الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ، ثم علّق عليها سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، يسهل العبارات الضامضة.

وقد حققه والدي العلامة الشيخ محمد بن سليمان البسام رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد طبع في حياته، ولكنه مع الأسف الشديد طبعة مغلوطة، وقد أعدت طباعة الكتاب مرة أخرى، وقد ساعدني في ذلك أخونا في الله تلميذ والدي الشيخ عبد الرحمن بن سالم الأهدل وفقه الله، لتخرج بحلة جديدة، وطباعة ممتازة، وخالية من الأخطاء التي وقعت في الطبعات السابقة، حسب الإمكان إن شاء الله.

ولكن قد عاجلة والدي المنية رَحِمَهُ اللَّهُ قبل أن يتم طباعة الكتاب.

نسأل الله تعالى أن ينفع بها، وأن يجعل ذلك في ميزان من ألفها وشرحها وعلّق عليها، ومن أخرجها، وأن يجزيهم أحسن الجزاء، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا.

كتبه الفقير إلى الله تعالى

منصور بن محمد البسام

مكة المكرمة ـ حي العوالي

ترجمة موجزة للمحقق

هو العلامة الفرضي بقية الزهاد الشيخ محمد بن سليمان بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن حمد بن إبراهيم بن عبد الله بن الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الله البسام، من الوهبة، أحد بطون تميم.

أحد كبار تلاميذ سماحة العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى، وكان والده زميلاً للشيخ عبد الرحمن في الدراسة.

ولد رَحِمَهُ اللَّهُ في عام (١٣٣٤هـ) بعنيزة، وقد بدأ صغيرًا في تعلم القرآن الكريم في مدرسة الكتّاب على ما يسمونها في ذلك الوقت، ثم التحق في الدراسة عند شيخه العلامة الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثم بدأ التدريس في عام (١٣٦٧هـ) بالحرم المكي، وكان من زملائه في التدريس الشيخ عبد الظاهر أبو السمح، والشيخ عبد العزيز الراشد، والشيخ حسن مشاط، وغيرهم.

وقد كان من أبرز طلابه بعنيزة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، والشيخ عبد العزيز العلي المساعد، وغيرهم.

أما في مكة المكرمة فقد كان من أبرز طلابه الشيخ عبد الرحمن الفوزان، والشيخ عبد الله الخليفي، والشيخ عبد الله العريني، وغيرهم.

وهم أكثر من مائة طالب، سواء بالحرم أو المنزل.

وقد عُرِض عليه بعض الوظائف، مثل التدريس الرسمي، والقضاء،

وغيرها، ولكنه لم يقبلها رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد امتهن في أول الوقت الزراعة، ثم في عمل الساعات والمفاتيح.

أما المؤلفات فهي تربو على ستة وعشرين مؤلفًا، ولله الحمد لقيت قبو لاً عند الخاصة والعامة.

وقد أصيب بأمراض كثيرة، حيث أصيب بجلطة في الدماغ في عام (١٤٢٠هـ)، وقد منّ الله عليه بالشفاء، وعاد إلى التدريس رغم ضعفه، ثم ضَعُفَ جدًّا، وتوقف عن التدريس في عام (١٤٢٣هـ).

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يكتب إلى قبل وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد أصيب بجلطة في القلب إلى أن توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في المستشفى ليلة الأحد (٦- ٧/ ١٢/ ١٤٣١هـ)، وقد تم الصلاة عليه عصر الأحد (٧/ ١٢/ ١٤٣١هـ) بالحرم المكي، وقد دفن في مقبرة العدل الجديدة، وقد حضر حشد كبير رغم الزحام الشديد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى، وغفر له، وختم له بجنة النعيم، آمين.

وإن شاء الله سوف يتم إخراج ترجمة وافية عن حياته رَحِمَهُ اللَّهُ في القريب العاجل.

ومن أراد الاستزادة من ترجمته رَحِمَهُ اللَّهُ، فليراجع:

١- علماء نجد خلال سبعة قرون.

٢- الأجوبة النافعة في المسائل الواقعة.

٣- روضة الناظرين.

٤- معجم المؤلفين.

٥- معجم أسبار للعلماء.

٦- دليل المتون العلمية.

٧- مجلة الحرس الوطني.

٨- صحيفتي المدينة وعكاظ.

٩- موقع الشيخ محمد بن سليمان البسام على الشبكة الالكترونية.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

كتبه الفقير إلى الله تعالى

منصور بن محمد البسام

مكة المكرمة ـ حي العوالي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ أرسله بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، فبلَّغ الرسالة أتمَّ البلاغ ونصح الأمة أتم النصيحة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأبرار المتقين صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن كتاب التنبيهات اللطيفة على العقيدة الواسطية تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية، والتنبيهات لشيخنا عبد الرحمن الناصر السعدي، والحواشي عليها للشيخ عبد العزيز بن باز من أنفع الكتب وأوضحها في أسماء الرب تبارك وتعالى وصفاته وما يتعلق بذلك، ولمَّا تأمَّلت المطبوعة وجدت فيها بعض الأخطاء فقابلناها بالنسخة المخطوطة بخط شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ، وصححنا ما أمكننا من ذلك، ونأمل إن شاء الله أن تكون الطباعة التالية أحسن وأوضح لأنه كتاب مهم جدًا، وحيث جعلنا المتن بخط **أسود غليظ مميز**، أما شرح شيخنا بخط مميز، أما تعليق الشيخ ابن باز فقد رمز له بحرف (ز)، وأما تخريج الأحاديث وبعض الملاحظات فقد جعله آخر الصفحة. هذا ومن الله نستمد التوفيق على ما يحبه ويرضاه؛ إنه جواد كريم رؤوف رحيم.

المصحح

محمد بن سليمان البسَّام

المدرس في المسجد الحرام

مكة المكرمة ـ العزيزية

نبذة عن المصنف

هو الإمام الرباني إمام الأئمة ومفتي الأمة وبحر العلوم، سيِّد الحفَّاظ، شيخ الإسلام وترجمان القرآن، عَلَمُ الزهاد وأوحد العباد، قامع المبتدعين وآخر المجتهدين تقيّ الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم ابن العلامة مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن أبي محمد عبد الله ابن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله ابن تيمية الحراني نزيل دمشق.

وصاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها.

ولد بحران يوم الاثنين عاشر وقيل ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة (٦٦٠هـ)، سمع من الشيخ زين الدين أحمد بن عبد الدائم نعمة المقدسي، وقد سمع أكثر من مائتي شيخ.

وكان سريع الحفظ فرط ذكاء وسيلان ذهنه وقوة حافظته وسرعة إدراكه، وقد جلس للتدريس وهو ابن عشرين سنة وصار من كبار العلماء.

توفي في ليلة الاثنين لعشرين من ذي القعدة سنة (٧٢٨هـ) في سجن القلعة بدمشق.

ومن أراد الاستزادة فعليه: «العقود الدرية»، و«والجامع لسير شيخ الإسلام ابن تيمية» وهو على اسمه، و«معجم الأعلام» و«ومعجم المؤلفين» و«علماء الحنابلة».

نبذة عن الشارح
شيخنا عبد الرحمن بن سعدي

فأقول: هو شيخنا العلامة المفسر المحدث الفقيه الأصولي النحوي، واسع الإطلاع بحر العلم الزاخر الزاهد أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي، من النواصر من بني عمرو أحد أفخاذ تميم الكبار، وأمه من آل عثيمين، من آل مقبل يتصلون بـ(زاخر) الجد الجامع لأفخاذ الوهبة.

ولقد وُلِد شيخنا في عنيزة في محرم عام (١٣٠٧هـ)، وقد أخذ العلم عن علماء بلده الكبار، وقد جلس للتدريس في حياة شيخه الشيخ صالح بن عثمان القاضي، ولما توفي شيخه استقل بالتدريس ولم يكن هناك من ينافسه فيه، وقد نفع الله به حيث تخرج على يديه طلاب كثيرون.

وقد صنف التصانيف الكثيرة في التفسير والعقائد والفقه وغيرها من العلوم النافعة. هذا وفي آخر جُمُعَة صلاّها كنت جالسًا معه في المسجد قبيل صلاة العصر فقال: إني رأيت رؤيا فقلت: خيرًا إن شاء الله، قال: إني رأيت أنا وأنت نائمان ملتحفان في قطيفة ولم يظهر منا إلا رؤوسنا فجعل المطر يهطل، فقلتُ لك: غط رأسك، فقلتُ: لا هذا خير إن شاء الله. وكأن هو غطى رأسه ولم أنتبه لها إلا حين فارق الحياة بعدها بخمسة أيام فقط رحمه الله، وكانت وفاته ليلة الخميس ٢٣ جمادى الآخرة عام ١٣٧٦هـ عن ٦٩ عام و٥ شهور و٩ أيام قضاها في عبادة الله ونفع عباد الله. أجزل الله له المثوبة وجبرنا في المصيبة.

ومن أراد الاستزادة عن ترجمة شيخنا، فعليه بالآتي: «التعليق وكشف النقاب»، و«علماء نجد»، و«روضة الناظرين»، و«معجم المؤلفين»، و«الأعلام»، و«مشاهير نجد»، و«علماء الحنابلة»، و«ذيل الدرر» لابن حميد، وغيرها.

نبذة عن المعلق
الشيخ عبد العزيز بن باز

هـو العـالم العلامـة سـماحة المفتـي الزاهـد الـشيخ أبـو عبـد الله عبد العزيـز بـن عبـد الله بـن بـاز، ولـد رَحِمَهُ اللَّهُ بمدينـة الريـاض ١٢ مـن شـهر الحجة عام ١٣٣٠هـ، وكان مبصرًا في أول حياتـه وأصـابه المـرض في عينيـه عام ١٣٣٦هـ، فضعف بصره إلى أن كُفَّ في مستهل محرم ١٣٥٠هـ.

تلقى العلوم الشرعية على علماء الرياض الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، وصالح بـن عبـد العزيـز آل الـشيخ، وسـعد بـن عتيـق وحمـد بـن فارس وسعد وقاص البخاري، و محمـد بـن إبـراهيم آل الـشيخ. واسـتمر في طلب العلم حتى عام ١٣٥٧هـ، عيّن قاضيًا في الخرج عـام ١٣٥٧هـ إلى عـام ١٣٧١هـ، وفي عام ١٣٧٢هـ اشتغل بالتدريس في المعهد العلمـي بالريـاض، ثم انتقل بعدها للتدريس في كلية الشريعة حتى عام ١٣٨٠هـ.

وفي عام ١٣٨١هـ عيّن نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينـة المنـورة حتى عام ١٣٩٠هـ، ليتولى في العام نفسه رئاسة الجامعة حتى عـام ١٣٩٥هـ، وفي عـام ١٣٩٥هـ عـيّن في منـصب الـرئيس العـام لإدارة البحـوث العلميـة والإفتاء والدعوة والإرشاد.

وفي محـرم عـام ١٤١٤هـ عـيّن مفتيًـا عامًـا للمملكـة ورئـيس هيئـة كبـار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء وغيرها من المناصب الهامة، كما أنه

كان يدرّس في كل موقع، وقد تخرّج عليه علماء، وقد صنّف التصانيف الكثيرة.

نسأل الله له أن ينفعه فيما قدم إنه سميع مجيب.

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ يوم الخميس ٢٧ محرم ١٤٢٠هـ بالطائف، وقد صلي عليه في المسجد الحرام، ودفن في مقبرة العدل.

الورقة الأولى من التنبيهات
اللطيفة بخط السعدي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الموصوف بصفات الكمال والجلال المنزه عن الشريك والنقص والمثيل والمثال
والشهد ان المتفرد بالوحدانية المستحق لافراده بالعبودية في كل الاحوال وصلى الله على محمد وعلى آله
صحبه ومن تبعهم في العقائد والاخلاق والاقوال والافعال اما بعد فهذا تعليق لطيف
على عقيدة شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية السماة بالواسطية التي جمعت على اختصارها ووضوح لفظها
جميع ما يجب اعتقاده من اصول الايمان وعقائده الصحيحة وهي وان كانت واضحة المعاني
قريبة المباني تحتاج الى تعليق يزيد في توضيح بعض ما فيها من الايات القرآنية والاحاديث
النبوية وتبيين وجه دلالتها على المقصود وبيان وجه ارتباط بعض المسائل ببعض
وجمع ما يحتاج الى جمعه في موضع واحد والاشارة الى بعض آثارها وفوائدها في
القلوب والاخلاق وما التنبيه للامر الذي يحتاج الى التنبيه عليه ورجوت الله ان يكون هذا التعليق
على هذا الوصف وان يكون خالصا لوجهه الكريم مقربا اليه نافعا سهلا في الفاظه ومعانيه قال
المصنف رحمه الله وقدس روحه في عليين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا
الحمد لله على جميع اوصاف الكمال وهي ثابتة لله على اكمل الوجوه واتمها وما يجب عليه
نحمده على نعمه التي لا يحصي احد من الخلق تعدادها واعظمها ارساله محمدا صلى الله عليه
وسلم رحمة للعالمين بالهدى الذي هو العلم النافع والدين الحق الذي هو العمل الصالح
ليظهره على جميع الاديان بالحجة والبرهان وبالعز والسلطان وكفى بالله شهيدا
على صدق رسوله وحقية ما جاء به ومشاهدته تعالى بقوله وفعله وتأييده لرسله
بالنصر والمعجزات والبراهين المتنوعة الدالة على صدقهم فكونه يجيبهم على رسالته وصدقه
وان جميع ما جاءوا به هو الحق من عقائد واخلاق واداب واعمال وعبادات

صورة ورقة العنوان من المخطوط

صورة الورقة الأولى من المخطوط

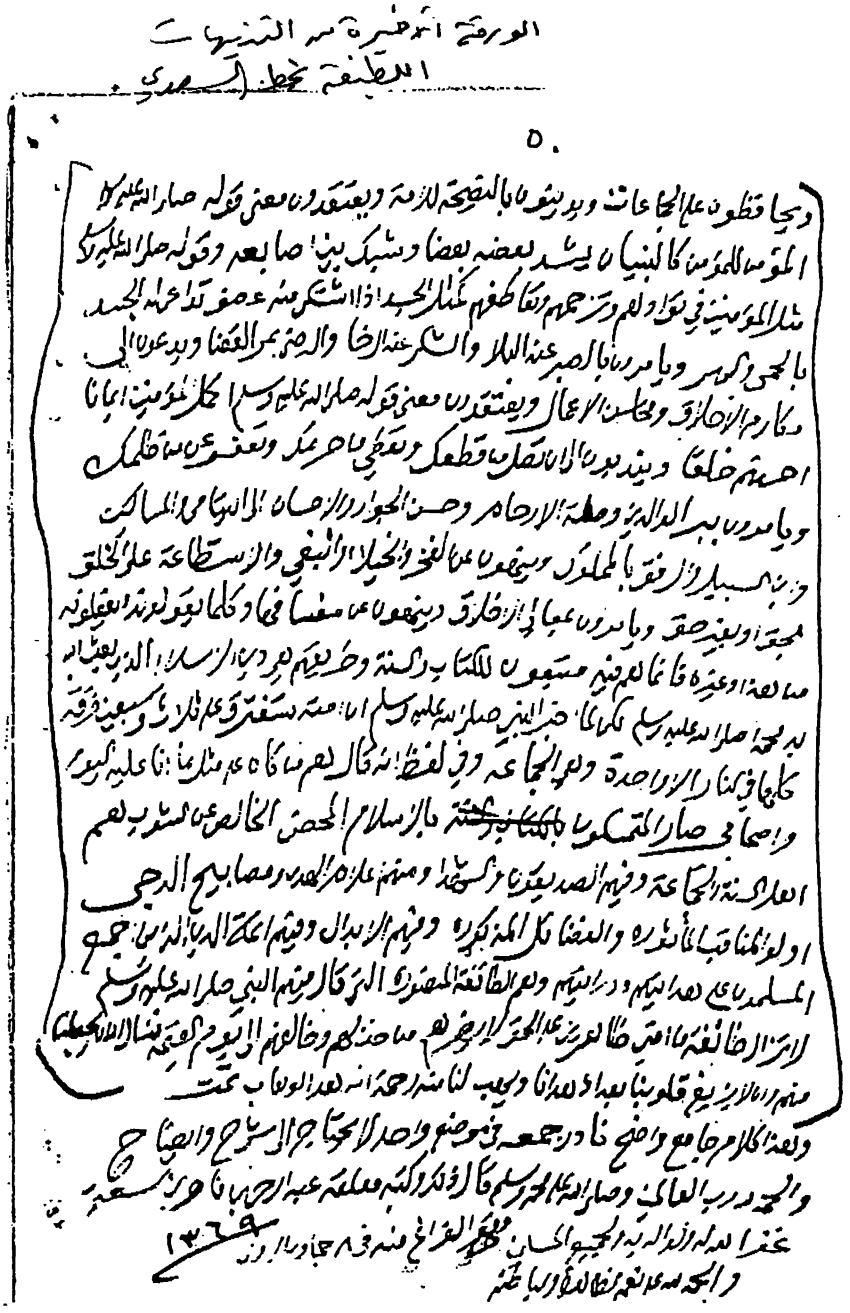

صورة الورقة الأخيرة من المخطوط

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[مقدمة الشارح]

الحمدُ لله الموصوف بصفات العَظَمةِ والكبرياءِ والكَمَالِ، الـمُنَزَّهِ عن الشريكِ والنقصِ والشبهِ والمِثَالِ.

وأَشهدُ أنّه الـمُنفرِدُ بالوحدانيةِ المستحقُّ لإفرادهِ بالعبودية في كُلّ الأحوال.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم في العقائد والأخلاق والأقوال والأفعال.

أما بعد:

فهذا تعليق لطيف على عقيدة شيخ الإسلام ابن تيمية المسماة بـ «الواسطية» التي جمعت على اختصارها ووضوحها جميع ما يجب اعتقاده من أصول الإيمان وعقائده الصحيحة وهي وإن كانت واضحة المعاني محكمة المباني، تحتاج إلى تعليق يزيد في توضيح بعض ما فيها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وتبيين وجهَ دلالتها على المقصود، وبيان وجه ارتباط بعض المسائل ببعض وجمع ما يحتاج إلى جمعه في موضع واحد، والإشارة إلى بعض آثارها وفوائدها في القلوب والأَخلاق، والتنبيه لكل ما يحتاج إلى تنبيه عليه.

وأرجو الله أن يكون هذا التعليق على هذا الوصف وأن يكون خالصًا لوجهه الكريم مقربًا إليه نافعًا، سهلاً في ألفاظه ومعانيه. آمين.

قال المصنف ـ رَحِمَهُ اللَّهُ وقدّس روحه في عليِّين ـ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا).

(الحمد لله) أي: جميع أوصاف الكمال ثابتة لله على أكمل الوجوه وأتمها؛ ومما يحمد عليه نِعَمُهُ على العباد التي لا يُحصي أحد من الخلق تعدادها، وأعظمُها إرساله محمدًا ﷺ رحمة للعالمين بالهدى الذي هو العلم النافع ودين الحق الذي هو العمل الصالح ليظهره على جميع الأديان بالحجة والبرهان وبالعز والسلطان، وكفى بالله شهيدًا على صدق رسوله وحقيقة ما جاء به، وشهادتُه تعالى بقوله وفعلُه وتأييدهُ لرسوله بالنصر والمعجزات والبراهين المتنوعة الدال كل واحد منها ـ فكيف بجميعها ـ على رسالته وصدقه، وأن جميع ما جاء به هو الحق من عقائد وأخلاق وآداب وأعمال وغيرها.

[ق٣] **وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقرارًا به وتوحيدًا).**

أي: أُقِرُّ وأعترف مصدقًا ومنقادًا أنه لا يستحق الأُلُوهية وهي التفرد بكل كمال إلا الله، وأنه لا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له.

ولهذا قال: إقرارًا به، أي بالقلب واللسان وتوحيدًا، أي: إخلاصًا لله في كل عبادة قولية أو عملية أو اعتقادية، وأعظم ما يوحد به ويتقرب إليه به تحقيق العقيدة السلفية، المحتوي عليها هذا الكتاب، وبتحقيق العقيدة تصلح الأعمال وتقبل وتستقيم الأمور.

(وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وسلم تسليمًا مزيدًا).

الشهادة للرسول بالرسالة والعبودية[1] مقرونة بالشهادة لله بالتوحيد لا يكفي إحداهما عن الأخرى، ولا بد فيها من اعتراف العبد بكمال عبودية النبي ﷺ لربه وكمال رسالته المتضمنة لكماله ﷺ، وأنه فاق جميع البشر في كل خصلة كمال، ولا تسمى الشهادة حتى يُصدِّقه العبد في كل ما أخبر، ويطيعه في كل ما أمر به، وينتهي عما نهى عنه.

وبهذه الأمور تتحقق الشهادة لله بالتوحيد، وللرسول بالرسالة.

ثم قال المصنف:

(أما بعد: فهذا اعتقاد الفرقة الناجية[2] المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره).

يقول المصنف رحمه الله: إن ما احتوت عليه هذه الرسالة هو العقيدة المنجية من الهلاك والشرور، المُحصّلة لخير الدنيا والآخرة الموروثة عن

---

(١) أي العبودية لله بأن محمدًا ﷺ عبد لله ورسوله.

(٢) قول الفرقة الناجية: «أهل السنة والجماعة» في الأسماء والصفات: هو إثبات ما جاء في القرآن العظيم والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته على الوجه اللائق بجلال الله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل عملاً بقول الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فنفى عن نفسه المماثلة وأثبتَ السمع والبصر فدل ذلك على أن مُرادَه سمعٌ وبصر لا يماثلان أسماع الخلق وأبصارهم (ز).

محمد ﷺ، المأخوذة من كتاب الله وسنة رسوله، وهي التي عليها الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم القيامة الذين ضمن الله لهم على لسان رسوله النصر إلى قيام الساعة.

والنصر إنما حصل لهم ببركة هذه العقيدة والعمل بها وتحقيقها بالقيام بجميع أمور الدين.

وأصلها الذي تنبني عليه: هي[1] الإيمان بهذه الأصول الستة التي صرح بها الكتاب والسنة في مواضع كثيرة جملة وتفصيلًا، وتأصيلًا وتفريعًا وهي المذكورة في حديث جبريل المشهور[2] حين سأل جبريل النبي ﷺ: عن الإيمان؟ فأجابه بها.

فهذه الرسالة من أولها إلى أخرها تفصيل لهذه الأصول الستة.

(١) كذا في الأصل، ولعله (هو).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ١١٤) و(٨/ ٥١٣) عن أبي هريرة.
وأخرجه مسلم (١/ ٣٦- ٣٨) والترمذي (٢٦١٠) وابن ماجة (٦٣) والنسائي (٨/ ٩٧- ١٠١) وأبو داود (٤٦٩٥) عن عمر.

الفصل الأول

[الصفات]

[ق٤] في الأصل الأول، وهو أصل الأصول كلها وأعظمها وأهمها، وعليه تنبني جميع الأصول والعقائد وهو: الإيمان بالله.

قال المصنف:

(ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف[١] ولا تعطيل[٢] ولا تكييف[٣] ولا

---

(١) التحريف: معناه تغيير ألفاظ الأسماء والصفات أو تغيير معانيها كقول الجهمية في «استوى»: استولى، وكقول بعض المبتدعة أن معنى الغضب في حقِّ الله إرادة الانتقام، وأن معنى «الرحمة» كذلك إرادة الإنعام، وكل هذا تحريف.
فقولهم في: استوى: استولى، من تحريف اللفظ، وقولهم: الرحمة إرادة الإنعام، والغضب إرادة الانتقام من تحريف المعنى، والقول الحق أن معنى الاستواء الارتفاع والعلو كما في صريح لغة العرب، وجاء به القرآن ليدُلَّ على أنه معناه الارتفاع والعلو على العرش على وجه يليق بجلال الله وعظمته، وكذا الغضب والرحمة صفتان حقيقيتان تليقان بجلال الله وعظمته كسائر الصفات الواردة في القرآن والسنة. (ز)

(٢) التعطيل معناه: سلب الصفات ونفيها عن الله تعالى وهو مأخوذ من قولهم: جِيدٌ مُعَطَّلٌ أي خال من الحليّ، فالجهمية وأشباههم قد عطلوا الله عن صفاته فلذلك سموا بالمعطلة، وقولهم هذا من أبطل الباطل إذ لا يعقل وجود ذات بدون صفات، والقرآن والسنة متضافران على إثبات هذه الصفات على وجه يليق بجلال الله وعظمته (ز)

(٣) التكييف معناه: بيان الهيئة التي تكون عليها الصفات فلا يقال: كيف استوى؟ كيف =

تمثيـل[1] بـل يؤمنـون بـأن الله سـبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحُرِّفون الكلـم عن مواضعه ولا يُلحِدون في أسماء الله وآياته ولا يُكَيِّفون ولا يُمثِّلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمي لـه ولا كُفُو لـه ولا ندَّ ولا يُقَاس بخلقه سبحانه.

فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثًا من خلقه، ثم رسله صادقون مصدقون بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون ولهذا قـال سـبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

فسبَّح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل وسلم على المرسلين

=

يده؟ كيف وجُهه؟ ونحو ذلك إذ القولُ في الصفات كالقول في الذات يحتذى حذوه ويقاس عليه، فكما أنّ له ذاتًا ولا نعلم كيفيتها فكذلك له صفات ولا نعلم كيفيتها، إذ لا يعلم ذلك إلا هو مع إيماننا بحقيقة معناها. (ز)

(١) أما التمثيل فمعناه: التشبيه، فلا يقال: ذات الله مثل ذواتنا، أو شبه ذواتنا، وهكذا، فلا يقال في صفاته: إنها مثل صفاتنا أو شبه صفاتنا، بل على المؤمن أن يلتزم قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ و﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ والمعنى لا أحد يساميه أي يشابهه.

فائدة ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: قال: إذا قال لك نؤوّل معنى الغضب إرادة الانتقام، والرحمة إرادة الإنعام فقل: وهل هذه الإرادة تشبه إرادة المخلوق، أم أنها إرادة تليق بجلاله وعظمته؟ فإن قال الأول فقد شبه، وإن قال الثاني فقل: ولم لا تقل رحمة وغضب يليقان بجلاله وعظمته، وبذلك تحُجُّه وتَخصِمُهُ. (ز)

لسلامة ما قالوه من النقص والعيب).

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الأصل والضابط العظيم في الإيمان بالله إجمالًا قبل أن يشرع في التفصيل ليبني العبد على هذا الأصل جميع ما يرد عليه من الكتاب والسنة، ليستقيم له إيمانه ويسلَم من الانحراف.

فذكر أنه يجب ويتعين الإيمان بكل ما أخبر الله به في كتابه، وأخبر به الرسول ﷺ عن ربه إيمانًا صحيحًا سالمًا من التحريف والتعطيل، وسالمًا من التكييف والتمثيل، بل يثبت ما أثبته الله ورسوله ولا يزيد على ذلك ولا يُنْقص، فإن الكلام على ذات الباري وصفاته بأنه واحدٌ، فكما أن الله ذاتًا لا تشبهها الذوات فله تعالى صفات لا تشبهها الصفات، فمن مال إلى نفي الصفات أو بعضها فهو ناف مُعَطِّلٌ مُحَرِّف، ومن كيفها أو مثلها بصفات الخلق فهو مُمَثِّلٌ مُشَبِّه.

والفرق بين التحريف والتعطيل: أن التعطيل نفي للمعنى الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة. والتحريف: تفسير النصوص بالمعاني الباطلة التي لا تدل عليها بوجه من الوجوه.

فالتحريف والتعطيل قد يكونان متلازمين إذا أُثْبِتَ المعنى الباطل، ونُفِي المعنى الحق، [ق٥] وقد يوجد التعطيل بلا تحريف كحال النافين للصفات الذين ينفون الصفات الواردة في الكتاب والسنة، ويقولون: ظاهرها غير مراد! ولكنهم لا يعينون معنى آخر، ويسمون أنفسهم مفوِّضة ويظنون أن هذا مذهب السلف وهو غلط فاحش، فإن السلف يثبتون الصفات، وإنما يفوضون علم كيفيتها إلى الله، فيقولون الوصف المذكور

معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب وإثباته واجب، والسؤال عن كيفيته بدعة، كما قاله الإمام مالك[1] وغيره[2] في الاستواء وغيره.

وأما قوله: من غير تكييف ولا تمثيل، فالفرق بينهما أن:

التكييف: أن تُكَيَّف صفات الله، وأن يُبحث عن كُنْهِهَا.

والتمثيل: أن يقال فيها: إنها مثل صفات المخلوقين.

فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

ونفي الكفؤ والند والسمي ينفي ذلك التكييف والتمثيل.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ونحوها من إثبات أسماء الله وصفاته تنفي التعطيل والتحريف.

فالمؤمن الموحد يثبت الصفات كلها على الوجه اللائق بعظمة الله وكبريائه.

والمعطل ينفيها أو ينفي بعضها، والمشبه المُمَثّل يُثْبِتُها على وجهٍ يليق بالمخلوقِ.

---

(١) أخرجه اللّالكائي في «شرح أصول السنة» (رقم: ٦٦٤) وأبو عثمان الصابوني في «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (٢٥) وأبو نُعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٥).
وصححه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٤٠٧).

(٢) وأخرج اللّالكائي في «السنة» (رقم: ٦٦٥) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٤٠٨) والذهبي في «العلوُّ» (ص ٩٨) من طُرُق عِدَّة عن ربيعة شيخ مالك.
وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في «الحموية» (ص٢٧).

ونصوص الكتاب والسنة التي يتعذر إحصاؤها كلها تشترك في دلالتها على هذا الأصل، وهو إثبات الصفات على وجه الكمال الذي لا يشبهه كمال أحد، وهي في غاية الوضوح والبيان وأعلا مراتب الصدق.

فإن الكلام يقصر بيانُه ودلالتُه لأحد أمورٍ ثلاثة:

إما جهل المتكلم وعدم علمه وقصوره.

وإما: عدم فصاحته وبيانه.

وإما: كذبه وغشه.

أما: نصوص الكتاب والسنة، فإنها بريئة من هذه الأمور الثلاثة من كل وجه.

فكلام الله ورسوله في غاية الوضوح والبيان وفي غاية الصدق كما قال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]. ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[1] [النساء: ٨٧].

ونظير هما قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

والرسول ﷺ في غاية النصح والشفقة العظيمة على الخَلْقَ، فمن كان أعلم الخلق وأصدق الخلق وأفصح الخلق، وأنصح الخَلْقِ للخَلْق، هل يُمكن أن يكون في كلامه شيء من النقص أو القصور؟ أم نقول: إن كلامه هو

(١) في الأصل: (ومن أحسن من الله قيلاً) ولا توجد آية بهذا السياق.

النهاية التي لا فوقها[1] في الوضوح والبيان للحقائق كلها.

وهذا برهان على أن كلام الله وكلام رسوله يوصل إلى أعلا درجات العلم واليقين، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

فالحق النافع [ق٦] هو ما اشتمل عليه كلام الله وكلام رسوله في جميع أبواب العلم لا سيما في هذا الباب الذي هو أصل الأصول كلها.

وهذا هو معنى قول المصنف بعد إيراد الآية الكريمة: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨١].

فسبح نفسه عما قاله المخالفون للرسل وسَّلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب، أي:

وقال: الحمد لله رب العالمين لدلالة الحمد على الكمال المطلق من جميع الوجوه.

(وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي[2]

---

(١) غير واضحة في الأصل، وفي العبارة شيء!
وصححه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٤٠٧).

(٢) طريقة الكتاب والسنة في أسماء الله وصفاته: الإثبات المفصل والنفي المُجْمَلُ، فقد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي المجمل، مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، وكذلك قوله عليه السلام في حديث أبي موسى: «**إنكم لا تدعون أصَمَّ ولا غائبًا**» [رواه خ (٧/ ٣٦٣) وم (٢٧٠٤)] في حُكم النفي المجمل، لأنَّ الصمم والغيبة تتضمَّنان نقائص كثيرة =

والإثبات، فلا عدول لأهل السنة عما جاءت به المرسلون، فإنه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين).

هذا الذي ذكره المصنف ضابط نافع في كيفية الإيمان بالله وبأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وأنه مبني على أصلين:

أحدهما: النفي، **وثانيهما**: الإثبات.

أما النفي: فإنه ينفي عن الله ما يضاد كماله من أنواع العيوب والنقائص، وينفي عنه أيضًا أن يكون له شريك أو نديد أو مثيل في شيء من صفاته أو في حق من حقوقه الخاصة، فكل ما نافى صفات الكمال فإن الله منزه عنه مُقَدَّس.

والنفي مقصود لغيره، القصد منه الإثبات، ولهذا لم يرد نفي شيء في الكتاب والسنة عن الله إلا لقصد إثبات ضده، فنفي الشريك والنديد عن الله لكمال عظمته وتفرده بالكمال، ونفي السِّنَةِ والنوم والموت لكمال حياته، ونفي عُزوب شيءٍ عن علمه وقدرته وحكمته، كل ذلك لإثبات سعة علمه وشمول حكمته وكمال قدرته.

=

تلزَم من صفتي الصمم والغيبة، لأن الأصم هو الذي لا يسمع ولا يصلح أن يكون إلهًا لهذا النقص العظيم الذي يلزم منه عدم سماع دُعاء الداعين، وأصوات المحتاجين وغير ذلك من النقائص، كما أن الغيبة يلزم منها عدم اطلاعه على أحوال عباده وعدم علمه بما ينبغي أن يعاملهم به ونحو ذلك. (ز)

ولهذا كان التنزيه والنفي لأمور مجملة عامة.

وأما الإثبات: فإنه يجمع الأمرين: إثبات المجملات: كالحمد المطلق، والكمال المطلق، والمجد المطلق ونحوها، وإثبات المفصلات: كتفصيل علم الله وقدرته وحكمته ورحمته ونحو ذلك من صفاته.

فأهل السنة والجماعة لزموا هذا الطريق الذي هو الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم، وبلزومهم لهذا الطريق النافع تمت عليهم النعمة، وصحت عقائدهم، وكَمُلَت أخلاقهم، وأما من سلك غير هذا السبيل، فإنه منحرف في عقيدته وأخلاقه وآدابه.

[ق٧] **(وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن[1] حيث يقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ**

---

(١) وجه كون سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن: أن القرآن خبر وانشاءٌ(*)، والخبر ينقسم في كلام الله إلى قسمين: خبر عن الله وعن أسمائه وصفاته، وخبر عن خلقه في الجنة والنار وأشراط الساعة، وجميع ما تضمنه الكتاب من وعد ووعيد، ومما كان أو سيكون.

وهذه السورة تمحَّضت للخبر عن الله سبحانه، فكانت ثلث القرآن بهذا الاعتبار.

ولقد دلت هذه السورة على أصول عظيمة يُستفاد منها إثبات جميع الصفات الكمال لله، ونفي جميع صفات النقائص والعيوب.

كما دلت على أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الذات والصفات وذلك على سبيل المطابقة. وعلى توحيد الربوبية وذلك على طريق التضمن وتوحيد العبادة بالالتزام.

إذ إن دلالة الشيء على كل معناه يسمى مطابقة ودلالته على بعضه يسمّى تضمنًا، وعلى ما يلزم من جهة الخارج ويسمى التزامًا. (ز)

(*) قلت: أحسن من هذا ما ذكره الشارح عن أهل العلم في الصفحة التي بعد هذه.

﴿ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١-٤]).

هذا شروع في تفصيل النصوص من الكتاب والسنة الداخلة في الإيمان بالله، وأنه يجب فيها إثباتها ونفي التعطيل والتحريف والتكييف والتمثيل عنها، فثبت عنه ﷺ في الصحيح[1] أن هذه السورة «**تعدل ثلث القرآن**» وذلك كما قال أهل العلم: إن القرآن يحتوي على علوم عظيمة كثيرة جدًا وهي ترجع إلى ثلاثة علوم:

أحدها: علوم الأحكام والشرائع الداخل فيها علوم الفقه كلها عباداته ومعاملاته وتوابعها.

الثاني: علوم الجزاء على الأعمال والأسباب التي يجازي فيها العاملون من خير وشر، وبيان تفاصيل الثواب والعقاب.

الثالث: علوم التوحيد وما يجب على العباد من معرفته والإيمان به، وهو أشرف العلوم الثلاثة.

وسورة الإخلاص كفيلة باشتمالها على أصول هذا العلم وقواعده.

فإن قوله: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي: الله متفرد بالعظمة والكمال، ومتوحد بالجلال والجمال والمجد والكبرياء، يحقق ذلك قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ أي: الله السيد العظيم الذي قد انتهى سؤدده ومجده وكماله، فهو العظيم

(١) رواه البخاري (٩/ ٥٣) عن أبي سعيد، ومسلم (٨١١) عن أبي الدرداء.

الكامل في عظمته، العليم الكامل في علمه، الحليم الكامل في حلمه، فهو الكامل في جميع نعوته.

ومن معاني الصمد أنه الذي تصمد إليه الخليقة كلها، وتقصده في جميع حاجاتها ومهماتها، فهو المقصود، وهو الكامل المعبود.

فإثبات الأحدية لله ومعاني الصمدية كلها يتضمن إثبات جميع تفاصيل الأسماء الحسنى والصفات العلى.

فهذا أحد نوعي التوحيد وهو الإثبات، وهو أعظم النوعين.

والنوع الثاني: التنزيه لله عن الولادة والند والكفو والمثل، وهذا داخل في قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ أي: ليس له مكافئ ولا مماثل ولا نظير، فمتى اجتمع للعبد هذه المقامات المذكورة في هذه السورة بأن نزه الله وقدسه عن كل نقص وند وكفؤ ومثيل، [ق٨] وشهد بقلبه تفرد الرب بالوحدانية والعظمة والكبرياء وجميع صفات الكمال التي ترجع إلى هذين الاسمين الكريمين وهما الأحد الصمد، ثم صمد إلى ربه وقصده في عبوديته وحاجاته الظاهرة والباطنة، متى كان كذلك تّم له التوحيد العِلْمِي الاعتقادي، والتوحيد العَمَلي، فحق لسورة تشتمل على هذه المعارف أن تعدل ثلث القرآن.

[قال المصنف]:

(ودخل في ذلك ما وصف به نفسه في أعظم آية من القرآن حيث يقول:

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا

يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ولهذا «**من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح**»(١)، وذلك لا شتمالها على أجلِّ المعارف وأوسع الصفات، فأخبر أنه المتوحد في الألوهية المستحق لإخلاص العبودية، وأنه الحي كامل الحياة، وذلك يقتضي كمال عزته، وقدرته، وسَعَة علمه، وشُمولَ حكمته، وعموم رحمته، وغيرها من صفات الكمال الذاتية، وأنه القيوم الذي قام بنفسه، واستغنى عن جميع المخلوقات، وقام بالموجودات كلها فخلقها وأحكمها ورزقها ودبَّرها وأمدَّها بكل ما تحتاج إليه.

وهذا الاسم يتضمن جميع الصفات الفعلية، ولهذا ورد أن الحي القيوم هما الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب، وإذا سئل به أعطى(٢)، لدلالة ﴿ٱلْحَىُّ﴾ على الصفات الذاتية، و﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ على الصفات الفعلية، والصفات كلها ترجع إليهما.

ومن كمال قيوميته وحياته أنه لا تأخذه سِنَةٌ ـ وهي النعاس ـ ولا نوم، ثم ذَكَرَ عُمومَ ملكه للعالم العُلويِّ والسُّفلي.

---

(١) صح نحو هذا مرفوعًا، علقه البخاري (٣٢٧٥) عن أبي هريرة، ووصله النسائي في «عمل اليوم والليلة» (رقم: ٩٥٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٠٧) بسند صحيح. وانظر تفصيل رواياتهم في «تغليق التعليق» (٣/ ٢٩٦) للحافظ ابن حجر، وقارن بـ «الدر المنثور» (٢/ ١٣).

(٢) رواه النسائي (٣/ ٥٢) وأبو داود (٩٨٥) وأحمد (٤/ ٣٣٨) عن أنس، وسنده حسن.

ومن تمام ملكه أن الشفاعة كلها لله، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ففيها ذكر الشفاعة التي يجب إثباتها وهي التي تقع بإذنه لمن ارتضى.

والشفاعة المنفية التي يعتقدها [ق٩] المشركون ما كانت تطلب من غير الله وبغير إذنه فمن كمال عظمة الله أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يأذن إلَّا فيمن رضي قوله وعمله، وبيّن أن المشركين لا تنفعهم شفاعة الشافعين، ثم ذكر سعة علمه فقال: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، أي: علمه محيط بالأمور الماضية والمستقبلة فلا يخفى عليه منها شيء وأما الخلق فلا يحيطون بشيء من علم الله لا قليل ولا كثير إلا بما شاء أن يُعْلِمَهُمُ الله على ألسنة رُسُله وبطرق وأسباب متنوعة.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾: قيل أنه العرش، وقيل: إنه غيره[1]، وأنه كرسي ملكه من عِظَمِهِ وسعته أنه وَسِعَ السماوات والأرض، ومع ذلك فلا يَؤودُه أي: يثقله ويكرثه ـ حفظهما ـ أي: حفظ العالم العُلويّ والسُفليّ ـ وذلك لكمال قُدرته وقُوّته.

وفيها بيانٌ لعظيم نعمة الله على الخلق إذ خلق لهم السماوات

---

(١) وقد صح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن «الكرسي موضع القدمين، لا يقْدُر أحد قدره» رواه عنه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في «العرش» (رقم ٦١) وعثمان بن سعيد الدارمي في «الرد على بشر المريسي» (ص ٧١ و٧٣) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص ١٠٧ - ١٠٨) بسند صحيح.
وصحّ مثله عن أبي موسى، رواه ابن أبي شيبة (رقم: ٦٠) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٥١٠) وابن جرير (٣/ ٧) وسنده جيد.

والأرضين وما فيهما وحَفِظَهما وأمسكهما عن الزوال والتَّزَلزُل وجعلهما على نظام بديع جامع للأحكام والمنافع المُتعَدِّدة التي لا تحصى وهو ﴿ٱلْعَلِيُّ﴾ الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه:

علوّ الذات بكونه فوق جميع المخلوقات على العرش استوى.

وعلوّ القدر: إذ كان له كل صفة كمال وله من تلك الصفة أعلاها وغايتها.

﴿ٱلْعَظِيمُ﴾: الذي له جميع أوصاف العظمة والكبرياء وله العظمة والتعظيم الكامل في قلوب أنبيائه وملائكته وأصفيائه الذي لا أعظَمَ منه ولا أجَلَّ ولا أكبر فحقيق بآية تحتوي على هذه المعاني الجليلة أن تكون أعظم آيات القرآن[1]، وأن يكون لها من الوقع وحفظ قارئها من الشرور والشياطين ما ليس لغيرها.

(وقوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]).

قد فسر النبي ﷺ هذه الأسماء الأربعة بتفسير مختصر جامع واضح حيث قال: «**أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء،**

---

(١) كما صح عن أُبي ابن كعب أنه قال: قال ﷺ: «يا أبا المنذر ! أتدري أيُّ آية من كتاب الله معك أعظم؟ قلتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. فضرب في صدري، وقال: «لِيَهْنِكَ العلم أبا المنذر».
أخرجه مسلم (رقم: ١٨٠) عنه.

وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»(١).

وهذا يدل على كمال عظمته وأنه لا نهاية لها، وبيان إحاطته من كل وجه، فـ «الأول» و«الآخر» إحاطته الزمانية، و«الظاهر» و«الباطن» إحاطته المكانية.

ثم صرح بإحاطة علمه بكل شيء من الأمور الماضية والحاضرة والمستقبلة [ق١٠] ومن العالم العُلويّ والسُفليّ، ومن الظواهر والبواطن والواجبات والجائزات والمستحيلات، فلا يغيب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

وقوله:

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الشورى: ٤].

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سبأ: ١-٢].

﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا

---

(١) قطعة من حديث أخرجه مسلم (٢٧١٣) والترمذي (٣٣٩٧) وأبو داود (٥٠٥١) وأحمد (٢/ ٣٨١و ٤٠٤) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٣٤و٢٢٦) من حديث أبي هريرة.
وزاد السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٨) نسبته لابن أبي شيبة وابن مردويه.

تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ﴾ [فاطر: ١١].

﴿لِّتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨].

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨].

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ ﴾ [الكهف: ٣٩].

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة: ١].

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩].

﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤].

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠].

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].

﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤٣].

﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ﴾ [المائدة: ١١٩].

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا

وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ [محمد: ٢٨].

﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥].

﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ [ق١١]فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦].

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣].

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢١-٢٢].

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥].

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥].

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ﴾ [الطور: ٤٨].

﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٣-١٤].

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٩].

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١].

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤].

﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨-٢١٩].

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ﴾ [التوبة: ١٠٥].

﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣].

﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤].

﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا ﴾ [النمل: ٥٠].

﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ [الطارق: ١٥-١٦].

﴿ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٩].

﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢].

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ ﴾ [المنافقون: ٨].

﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: ٨٢].

﴿ تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٨].

﴿ فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥].

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤].

﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢].

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسراء: ١١١].

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١].

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ١-٢].

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ [ق١٢] بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٢].

﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤].

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣][(١)].

---

(١) وجه سياق هذه الآية ضمن إثبات آيات الصفات للدلالة على أن القول على الله بلا علم من أعظم المحرّمات، بل إنه يأتي في مرتبة أعلى من مرتبة الشرك، حيث رتب المحرمات في هذه الآية من الأدنى إلى الأعلى، والقُول على الله بلا علم يشمل القول عليه في أحكامه وشرعه ودينه كما يشمل القول عليه في أسمائه وصفاته وهو أعظم من القول عليه في شرعه ودينه، فسياق الآية الكريمة هنا للتنبيه على هذا، والله أعلم. (ز)

وقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ في سبعة مواضع من القرآن(١).

﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء: ١٥٨].

﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحًا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٦-٣٧].

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٦-١٧].

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الحديد: ٤].

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

---

(١) وهي على الترتيب: الأعراف٥٤، يونس ٣، الرعد: ٢، طه ٥، الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤، الحديد ٤.

﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٠].

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢].

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠].

﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢].

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥].

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البقرة: ٧٥].

﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥].

﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥].

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ [ق١٣] مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧].

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦].

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢].

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١].

﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾[النحل: ١٠٢-١٠٣].

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾ [المطففين: ٢٣].

﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦].

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق: ٣٥].

وهذا الباب في كتاب الله كثير، من تدبر القرآن طالبًا الهدى منه تبيَّن له طريق الحق).

أقول: ذكر المصنف رحمه الله في هذا الموضع عدة آيات، وكلها داخلة في الإيمان بالله، ويتضح معناها عمومًا وخصوصًا بذكر أصول وضوابط نوضحها:

منها: إن هذه النصوص القرآنية تنطبق عليها القاعدة المتفق عليها بين السلف وهو أنه يجب الإيمان بجميع الأسماء الحسنى وما دلت عليه من الصفات وما نشأ عنها من الأفعال، مثال ذلك في القدرة، يجب علينا الإيمان بأنه على كل شيء قدير، والإيمان بكمال قدرة الله، والإيمان بأن قدرته نشأت عنها جميع الكائنات، وبأنه عليم ذو علم محيط، وأنه يعلم الأشياء كلها.

وهكذا بقية الأسماء الحسنى على هذا النمط، فما في هذه الآيات التي

ذكرها المصنف من الأسماء الحسنى، فإنها داخلة في الإيمان بالاسم، وما فيها من ذكر الصفات، مثل عزة الله وقدرته وعلمه وحكمته وإرادته ومشيئته وكلامه وأمره وقوله ونحوها، فإنها داخلة في الإيمان بالصفات وما فيها من ذِكر الأفعال المطلقة والمقيدة [ق١٤] مثل: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [العنكبوت: ٥٢] ويعلم كذا وكذا، ويحكم ويريد، وَسمعَ ويسمع، ويرى وأسمع وأرى، وقال ويقول، وكلّم ويكلّم، ونادى وناجى ونحوها من الأفعال، فإنه داخل في الإيمان بأفعاله تعالى.

فعلى العبد الإيمان بكل ذلك إجمالًا وتفصيلاً وإطلاقًا وتقييدًا على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته، وأن يعلم أن صفاته لا تشبهها صفات المخلوقين، كما أن ذاته لا تشبهها ذوات المخلوقين.

ومن الأصول المتفق عليها بين السلف التي دلت عليها هذه النصوص أن صفات الباري قسمان:

صفات ذاتية: لا تنفك عنها الذات كصفة الحياة، والعلم، والقدرة، والقوة، والعزة، والملك، والعظمة، والكبرياء، ونحوها، والعلو المطلق.

وصفات فعلية: تتعلق بها أفعاله كل وقت وآن وزمان، ولها آثارها في الخلق والأمر، فيؤمنون بأنه فعّال لما يريد وأنه لم يزل ولا يزال يقول ويتكلم ويخلق ويدبر الأمور وأن أفعاله تقع شيئًا فشيئًا تبعًا لحكمته وإرادته، كما إن شرائعه وأوامره ونواهيه الشرعية لا تزال تقع شيئًا فشيئًا.

وقد دل على هذا الأصل الكبير ما في هذه النصوص من ذكر (قال) و(يقول)، و(سمع) و(يسمع) و(كلم) و(يكلم) و(نادى) و(ناجى) و(عَلم)

و(كتب) و(يكتب) و(جاء) و(يجيء) و(أتى) و(يأتي) و(أوحى) و(يُوحي) ونحوها من الأفعال المتنوعة التي تقع مقيدة بأوقاتها كما سمعت في هذه النصوص المذكورة آنفًا.

وهذا من أكبر الأصول وأعظمها.

ولقد صنف فيه المؤلف مصنفًا مستقلًا وهو المسمى بالأفعال الاختيارية(١).

فعلى المؤمن الإيمان بكل ما نسبه الله لنفسه من الأفعال المتعلقة بذاته كالاستواء على العرش، والمجيء، والإتيان، والنزول إلى السماء الدنيا، والقول، ونحوها، [ق١٥] والمتعلقة بخلقِه كالخَلْقِ والرِّزق وأنواع التدبير.

ومن الأصول الثابتة في الكتاب والسنة المتفق عليها بين السلف التفريق بين مشيئة الله وإرادته وبين محبته.

فمشيئة الله وإرادته الكونية تتعلَّق بكلِّ موجود محبوب لله وغير محبوب، كما ذُكر في هذه الآيات أن الله يفعل ما يُريد(٢) وما يشاء وإذا أراد

---

(١) وقد أشار إليه تلميذه ابن عبد الهادي في «العقود الدرية» (ص٥٢).

(٢) من أصول أهل السنة والجماعة إثبات مشيئة الرب العامة، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لا يكون، كما أن من أصولهم الثابتة إثبات صفة الإرادة وهي قسمان:
إرادة كونية قدريّة، كالمشيئة، وهذه الإرادة لا يخرج عن مُرادها شيء كالمشيئة. فالكافر والمسلم تحت هذه الإرادة الكونية سواء، فالطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال كلها بمشيئة الرب وإرادته الكونية.
وقد ذكر سبحانه هذه الإرادة في قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ
=

شيئًا قال له: كن، فيكون، وأما محبته فإنها تتعلق بما يحبه خاصة من الأشخاص والأعمال كما ذكر في هذه الآيات تقييدها بأنه يحب الصابرين المتقين المؤمنين المحسنين المقسطين ونحوها فمشيئته عامة للكائنات ومحبته خاصة ومتعلقة بالمحبوبات.

ويتفرع عن هذا أصل آخر وهو التفريق بين الإرادة الكونية ـ فإنها تطابق المشيئة ـ وبين الإرادة الدينية ـ فإنها تطابق المحبة ـ فالأول مثل:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحج: ١٤].

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦] ونحوها.

=

لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ الآية [الأنعام: ١٢٥]، وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].

القسم الثاني من الإرادة: الإرادة الشرعية الدينية، وتتضمن محبة الرب للمراد ورضاه به، وهذه الإرادة لا يلزم وجود مرادها بل قد يوجد، وقد لا يوجد، فالله سبحانه قد أراد من عباده شرعًا أن يعبدوه ويُطيعوه، فمنهم من عَبده وأطاعه، ومنهم من لم يفعل ذلك.

وبهذا يعلم إن الإرادتين تجتمعان في حق المطيع، وتنفرد الإرادة الكونية في حق العاصي، لأن الله لم يُرد منه المعصية شرعًا بل قد نهاه عنها، وقد ذكر الله هذه الإرادة بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾.

ومن عرف الفرق بين هاتين الإرادتين سَلِم من شُبهات كثيرة زلَّت فيها أقدام، وَضَلَّتْ فيها أفهام. (ز)

والثاني نحو:

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧] ونحوها.

ومع ذلك فجميع ذلك خاصة وعامة يتبته أهل السنة والجماعة على الوجه الذي قاله الله وقاله رسوله.

ومن أصول أهل السنة والجماعة: إثبات علو الله على خلقه واستوائه على عرشه(١)،.....

---

(١) إثبات علو الله على خلقه واستوائه على عرشه، وإقرار العقول بذلك أمر فطري فطر الله عليه العباد، وأما الاستواء فأثبته السمع من كتاب الله وسنة رسوله، وليس في العُقول ما يخالف ذلك.

وحقيقته لغة: الارتفاع والعلو، وأما عن الكيفية فذلك مما اختص الله بعلمه، وأما تفسير الاستواء بالاستيلاء فهو باطل من وجوه كثيرة، منها أنه يتضمن أن الله جل وعلا كان مغلوبًا على عرشه ثم غلب وهذا باطل، لأنه تعالى لم يزل قاهرًا لجميع خلقه مستوليًا على العرش فما دونه، وأما بيت الأخطل الذي يستدلون على أن معنى (استوى): استولى، فلا حجة فيه، والبيت هو:

قَدِ اسْتَوى بِشرٌ على العِراقِ مِنْ غيْرِ سَيْفٍ أو دَمٍ مِهراقِ

لأن استعمال (استوى) بمعنى: استولى، غير معروف في لغة العرب.

ولأن ذلك لو وُجد في اللغة لم يجز استعماله في حق الله، وأما المخلوق فيكون غالبًا ومغلوبًا، كبشر هذا فإنه كان مغلوبًا على أمر العراق ثم غلب! (ز)

فائدة نفيسة:

ما ورد في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته أقسام:

=

=

منها: ما ورد بلفظ الاسم على وجه التسمي به كالعزيز الحكيم والغفور وشِبْهِ ذلك، فهذا القسم يُوصف به الرب، ويسمى به، ويشتق له منه فعل، ويثبت له منه مصدر، كالعزة والحكمة والمغفرة.

ومنها: ما ورد بلفظ الاسم على وجه الإضافة، فهذا يُطلق على الله بلفظ الإضافة ولفظ الفعل، ولا يُشتق له منه اسم، مثل قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، فيجوز أن يقول: الله خادع المنافقين، ويخدع من خدعه، ونحو ذلك، ولا يجوز أن نَعُدَّ من أسمائه الخادع لعدم وروده، ولأن إطلاق الخادع يحتمل الذم والمدح، فلا يجوز إطلاقه في حق الله.

ومنها: ما ورد بلفظ الفعل فقط، كالكيد فهذا لا يطلق على الله إلا بلفظ الفعل كقوله سبحانه تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦﴾ [الطارق: ١٥- ١٦]. وقوله: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، ولا يجوز أن يُعَدّ من أسمائه سبحانه الكائد والماكر لما تقدم.

وإنما جاز وصف الرب بالخداع والمكر والكيد في الآيات المشار إليها لأنه في مقابل خداع أعدائه ومكرهم وكيدهم ومُعاملتهم بمثل ما فعلوه من مدح وعدل يستحق عليه المدح والثناء.

فائدة أخرى ذكرها شيخ الإسلام وغيره:

وهي أن صفات الرب القولية والفعلية قديمة النوع حادثة الآحاد، كالكلام والخلق والرزق والنزول وأشباه ذلك، ونحو ذلك فجنس الكلام والخلق والرزق والنزول قديم، وأنواعه تحدث شيئًا فشيئًا على حسب حكمة الرب سبحانه كما في قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ الآية [الأنبياء: ٢]، وكخلق آدم بعد إن لم يكن مخلوقًا، وغير ذلك، وهكذا الرزق والكلام.

وأما صفات الذات كاليد والقدم والسمع والبصر فهي صفات قديمة كالذات. (ز)

وهـي مـن أهـم الأصـول التـي بـاين[1] بهـا أهـل الـسنة للجهميـة والمعتزلـة والأشاعرة، فما في هذه الآيات من ذكر علوه واسمه العلي الأعلى، وصعود الأشياء إليه وعروجها ونزولها منه يدل على العلو.

وما صرَّح به من استوائه على العرش برهان قاطع على ثبوت ذلك وقد قيل للإمام مالك: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوى ؟ فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه ـ أي عن الكيفية ـ بدعة[2].

[ق١٦] ومن أصول[3] أهل السنة والجماعة إثبات معية الله[4] العامة كقولـه: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

---

(١) أي افترقوا بها عنهم.

(٢) تقدم تخريجه (ص٢٠).

(٣) في النسخة التي بأيدينا: «وفي هذه الآيات ذكر معية الله العامة كقوله: (ما يكون...)»إلخ.فلعل ما ذكر هنا من نسخة أخرى بعدها.

(٤) المعية صفة من صفات الله وهي قسمان:

معية خاصة: لا يعلم كيفيتها إلا الله كسائر صفاته، وتتضمن الإحاطة والنصرة والتوفيق والحماية من المهالك.

ومعية عامة: تتضمن علم الرب بأحوال عباده واطّلاعه على جميع أحوالهم وتَصرفاتهم الظاهرة والباطنة ولا يلزم منها الاختلاط والامتزاج لأنه سبحانه لا يقاس بخلقه، فعلُـوُّه على خلقه لا ينافي منه عدم اطلاعه على المكان الآخر والجهة الأخرى، والرب ليس كمثله شيء لكمال علمه وقُدرته. (ز)

وهذه المعية تدل على إحاطة علمه بالعباد، ومجازاته لهم بأعمالهم وفيها ذكر المعية الخاصة كقوله:

﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُنَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وهذه الآيات تدل مع العلم المحيط على العناية بمن تعلقت به تلك المعية، وأن الله معهم بعونه وحفظه وكلاءَته[1] وتوفيقه.

وإذا أردت أن تعرف: هل المراد المعية العامة أو الخاصة؟ فانظر إلى سياق الآيات، فإن كان المقام مقام تخويف ومحاسبة للعباد على أعمالهم وحث على مراقبة الله، فإن المعية عامة مثل قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ الآية [المجادلة: ٧].

وإن كان المقام مقام لطف وعناية من الله بأنبيائه وأصفيائه، وقد رُتِّبت المعية على الاتصاف بالأوصاف الحميدة، فإنها معيّة خاصة، وهو أغلب إطلاقاتها في القرآن مثل: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُنَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤]، ﴿مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] ونحوها.

---

(١) وهي بمعنى الحفظ أيضًا.

ومن الأصول العظيمة: إثبات تفرد الرب بكل صفة كمال وأنه ليس لله شريك ومثيل في شيء منها.

والنصوص المذكورة التي فيها نفي الند والمثل والكفؤ والسَّميِّ عن الله تدل على ذلك، وتدل على أنه منزه عن كل عيب ونقص وآفة.

ومن أصول أهل السنة والجماعة: إثبات رؤية المؤمنين لربهم في دار القرار والتنعم برؤيته وقربه ورضاه، ويدل على ذلك من الآيات التي ذكرها المصنف قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢] أي: جميلة ناعمة حسنة، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]. وهذا صريح في نظرهم إلى ربهم.

وكذلك قوله: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٣] أي: إلى ما أعطاهم من النعيم الذي أجلَّه، وأعظَمُهُ النظر إلى ربهم.

وكذلك قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ أي: وفوا مقام الإحسان ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ التي هي الجنة ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] وهي النظر [ق١٧] إلى وجه الله الكريم[1]، وكذلك قوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥].

(١) وقد ثبت هذا في السنة النبوية، فقد رواه مسلم (١٨١) والترمذي (٢٥٥٥) عن صهيب، فلينظر.

الفَصْلُ الثَّانِي

[أهل السنة وأهل البِدَع]

اعلم أن أهل السنة والجماعة وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان وأهل القرون المفضلة متفقون على إثبات جميع ما ورد به الكتاب والسنة من صفات الله لا فرق بين الذاتية منها كالعلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر ونحوها، ولا بين الفعلية كالرضى والغضب والمحبة والكراهية.

وكذلك لا فرق بين إثبات الوجه واليدين ونحوها وبين الاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا كل ليلة وغيرها.

فكُلُّها يُثْبِتُونَها من غير نفي لشيء منها ولا تأويل له ولا تحريف ولا تمثيل، وهذا هو الحق وهو الصراط المستقيم وهو الطريق المُنْجي من عذاب الله، والهدى والنور، وخالفهم في هذا الأصل طائفتان من أهل البِدَع:

إحداهما: الجهمية والمعتزلة على اختلاف طوائفهم، فإنهم نفوا جميع الصفات ولم يثبتوا إلا الأسماء والأحكام، والآيات السابقة كلها تنقض قولهم وَتُبْطِلُه، وكذلك كلامهم هذا يَنْقُض بعضُه بعضًا، فإن إثبات الأسماء والأحكام بلا أوصاف تقوم بالله مُحال عقلًا كما أنه باطل سمعًا.

الطائفة الثانية: الأشعرية ومن تبعهم وهم أخف حالًا وأهون من المعتزلة، لأنهم وافقوا أهل السنة في شيء ووافقوا المعتزلة في شيء:

وافقـوا أهـل الـسنة بإثبـات الـصفات الـسبع: الحيـاة والكـلام والعلـم والـسمع والبـصر والإرادة والقـدرة، ووافقـوا المعتزلـة في بقيـة الـصفات، والجميع محجوجون بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة والقـرون المفـضلة على الإثبات العام.

وآمـا النفـي للـصفات كلهـا أو التنـاقض فإنـه مخـالف للكتـاب والـسنة ومناقض للعقل الصحيح فلا يثبت للعبد إيمان إلا بالإيمان المحض وتسليم لما جاء به الرسول بلا شرط ولا قيد، والدَّوَران مع النص إثباتًا ونفيًا.

فصل في سنة رسول الله ﷺ(١)

(فالسنة تفسر القرآن وتُبيِّنه وتدل عليه وتُعَبِّر عنه، وما وصف الرسول به ربه من الأحاديث الصحاح التي نقلها وتلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها كذلك).

أي: إيمانًا خاليًا من التعطيل والتحريف، ومن التكييف والتمثيل، بل إثباتًا لها على الوجه اللائق بعظمة الرب.

وحُكْمُ السُّنة حُكْمُ القرآن في ثبوت العلم واليقين والاعتقاد والعمل، فإن السنة توضيح للقرآن أو بيان لمجمله أو تقييد لمطلقه، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣] أي: السنة.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

(وذلك مثل قوله ﷺ: «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ ومن يسألني فأعطيه، من يستغفرني

---

(١) السنة هي الوحي الثاني والأصل الثاني من أصول الإسلام، وهي توافق وتفسر ما جاء في القرآن من أسماء الله وصفاته وتثبتها على حقيقتها وعلى ما يليق بجلال الله وعظمته، فقد جاء فيها من الصفات كثير كالنزول، والضحك، والقدم، والفرح، وغير ذلك مما جاءت به مما يجب أن يُقَرّ ويُثْبَت ويُعتقد حقيقة معناه على الوجه اللائق بالله تعالى شأن جميع الصفات. (ز)

فاغفر له؟» متفق عليه)[1].

فهذا الحديث قد استفاض في الصحاح والسنن والمسانيد واتُّفق على تلقيه بالقبول والتصديق أهل السنة والجماعة، بل جميع المسلمين الذين لم تُغَيِّرهم البدع، وعرفوا به عظيم رحمة ربهم وَسعَةِ جُوده واعتنائه بعباده وتعرضه لحوائجهم الدينية والدنيوية وأنه نزول حقيقة، كيف يشاء، فيثبتون النزول كما يثبتون جميع الصفات التي ثبتت في الكتاب والسنة ويقفون عند ذلك، فلا يُكيفون، ولا يُمثلون، ولا يَنْفُون و يُعَطِّلُون، ويقولون: إن الرسول أخبرنا أنه ينزل ولم يخبرنا كيف ينزل، وقد علمنا أنه فعال لما يريد وعلى كل شيء قدير.

ولهذا كان خواص المؤمنين يتعرضون في هذا الوقت الجليل لألطاف ربهم ومواهبه فيقومون بعبوديته خاضعين خاشعين داعين متضرعين يرجون منه حصول مطالبهم التي وعدهم بها على لسان رسوله ﷺ ويعلمون أن وعده حق، ويخشون أن ترد أدعيتهم بذنوبهم ومعاصيهم، فيجمعون بين الخوف والرجاء، ويعترفون بكمال نعمة الله عليهم فتمتلىء قلوبهم من التعظيم والإيمان ومن التصديق والإيقان.

[ق١٩] **(وقوله ﷺ: «لَلهُ أشدُّ فرحًا بتوبة عبده من أحدكم براحلته...»**

---

(١) رواه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨) عن أبي هريرة.
وفي الباب عن عدة من الصحابة.
وللإمام الدارقطني رحمه الله كتاب مفرد في جميع أحاديث النزول اسمه «كتاب النزول» حققه الدكتور علي بن ناصر الفقيهي حفظه الله ونفع به.

الحديث متفق عليه[1]).

وهذا فرح جود وإحسان؛ لأنه جل جلاله ينوع جوده وكرمه على عباده من جميع الوجوه ويحب من عباده أن يسلكوا كل طريق يوصلهم إلى رحمته وإحسانه ويكره لهم ضد ذلك، فإنه تعالى جعل لرحمته وكرمه أسبابًا وبينها لعباده وحثهم على سلوكها وأعانهم عليها ونهاهم عن ما ينافيها ويمنعها، فإذا عصوه وبارزوه بالذنوب فقد تعرضوا لعقوباته التي لا يحب منهم أن يتعرضوا لها، فإذا راجعوا التوبة والإنابة فرح بذلك أعظم فرح يُقَدَّر، فإنه ليس في الدنيا نظير فرح هذا الذي في أرض فلاة مُهْلِكة وقد انفلتت منه راحلته التي عليها مادّة حياته من طعام وشراب وركوب فأيس منها وجلس ينتظر الموت فإذا هو بها واقفة على رأسه فأخذ بخطامها[2] وكاد الفرح أن يقضي عليه، وقال من الدهش وشدة الفرح: «اللهم أنت عبدي وأنا ربك»[3]. فهل يوجد فرح أعظم من فرح الآيس من حياته إذا حصلت له على أكمل الوجوه، فتبارك الرب الكريم الجواد الذي لا يُحصي العباد ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني عليه عباده.

وهذا الفرح تبع لغيره من الصفات كما تقدم أن الكلام على الصفات يتبع الكلام على الذات، فهذا فرح لا يشبهه فرح أحد من خلقه لا في ذاته

---

(١) رواه البخاري (٦٣٠٨) ومسلم (٢٧٤٤) عن ابن مسعود مطولًا.
وفي الباب عن عدة من الصحابة بألفاظ مختلفة.

(٢) هو زمامها الذي تقاد به.

(٣) رواه البخاري (٢٣٩٢) ومسلم (٢٧٤٧) عن أنس.

ولا في أسبابه ولا في غاياته، فسببه الرحمة والإحسان، وغايته إتمام نعمته على التائبين المنيبين.

(وقوله ﷺ: «يضحك الله إلى الرجلين يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة» متفق عليه)(١).

وهذا أيضًا من كماله وكمال إحسانه وسعة رحمته.

فإن المسلم يقاتل في سبيل الله ويقتله الكافر، فيكرم الله المسلم بالشهادة، ثم يمن الله على ذلك الكافر القاتل فيهديه للإسلام، فيدخلان الجنة جميعًا، وهذا من تنويع جوده المُتتابع على عباده من كل وجه.

والضحك يكون من الأُمور العجيبة [ق٢٠] التي تخرج عن نظائرها، وهذه الحالة المذكورة كذلك، فإن تسليط الكافر على قتل المسلم في بادئ الرأي غير محبوب، ثم هذا المتجرِّيءُ على القتل يتبادر لأذهان كثير من الناس أنه يبقى على ضلالة ويعاقب في الدنيا والآخرة، ولكن رحمة الله وإحسانه فوق ذلك كله، وفوق ما يظن الظانون أو يتوهم المتوهِّمون، ولذلك لما دعا النبي ﷺ على أُناس من رؤساء المشركين لعنادهم وأذيّتهم بالطرد عن رحمة الله أنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، فتاب عليهم بعد ذلك وحسن إسلام كثير منهم(٢).

---

(١) رواه البخاري (٢٨٢٦) ومسلم (١٨٩٠) عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٢٨١) و(٨/ ٢٢٦) والترمذي (٣٠٠٧) عن ابن عمر بنحوه.

(وقوله: «عَجِبَ ربُّنا من قنوط عباده وقُرْب غيثه[1]، ينظر إليكم أزْلين قَنِطين، فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب». حديث حسن)[2].

وهذا العَجَبُ الذي وصف الرسول به ربَّه من آثار رحمته، وهو من كماله تعالى، والله تعالى ليس كمثله شيء في جميع نعوته، فإذا تأخَّر الغيثُ عن العباد مع فقرهم وشدة حاجتهم استولى عليهم اليأس والقنوط وصار نظرهم قاصرًا على الأسباب الظاهرة وحسبوا أن لا يكون وراءها فرجٌ من القريب المُجيب فيعجب الله منهم.

وهذا محل عجب! كيف يقنطون ورحمته وسعت كل شيء؟ والأسباب لحصولها قد توفرت، فإن حاجة العباد وضرورتهم من أسباب رحمته، والدعاء بحصول الغيث والرجاء لله من الأسباب، ووقوع الغيث بعد امتناعه مدة طويلة وحصول الضرورة يُعْجِبُ أن يكون لفضل الله وإحسانه موقع كبيرٌ وأثرٌ عجيبٌ كما قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾ الآيات [الروم: ٤٨-٤٩].

والله تعالى قدَّر من ألطافِهِ وعوائده الجميلة أن الفرج مع الكرب وأن اليُسر مع العسر، وأن الضرورة لا تدوم، فإن حصل مع ذلك قوة الالتجاء

---

(١) هي بمعنى تغير الحال، وقد كانت في النسخة التي بين يدي (خيره) ولا إخالها إلا تحريفًا، والله أعلم.

(٢) أخرجه ابن ماجة (١٨١) وأحمد (٤/ ١١).

وشدّة طمع بفضل الله ورجاء وتضرع كثير ودعاء فتح الله عليهم من خزائن جوده ما لا يخطر بالبال وفي لفظ: (وقُرْب غِيَرِه) أي: تغييره الشِّدة بالرخاء.

[ق٢١] (**وقوله ﷺ: «لا تزال جهنّم يلقى فيها وهي تقول: هل من مزيد ؟ حتى يضع ربُّ العزة فيها ـ أو عليها ـ قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قَطْ قَطْ». متفق عليه**)(١).

وهذه الصفة تجري مجرى بقية الصفات تُثْبَتُ لله حقًا على الوجه اللائق بعظمة الله، وذلك أن الله وعد النار مَلأَها كما قال: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩]، فلما كان من مقتضى رحمته أن لا يعذِّب أحدًا بغير جُرْم وكانت النار في غاية القعر والسِّعة حقَّق وعده تعالى فيضع عليها قدمه، فيتلاقى طرفاها ولا يبقى فيها فضل عن أهلها.

وأما الجنة فإنه يبقى فيها فضلٌ عن أهلها مع كثرة ما أعطاهم وسعته، فينشئ لها خلقًا آخرين، كما ثبت بذلك الحديث.

وقوله: (**يقول الله تعالى: يا آدم. فيقول: «لبيك وسعديك، فيُنادي بصوت: إن الله يأمُرُك أن تخرج من ذريتك بعث النار» متفق عليه**)(٢).

ففي هذا الحديث إثبات القول من الله والنداء لآدم، وأنه نداءٌ حقيقة بصوت، وهذا من فضل الله لا يُشْكِل على المؤمنين، فإن النداء والقول من أنواع كلامه، وكلام الله صفة من صفاته، والصفةُ تتبع الموصوف. وفيها أن

---

(١) رواه البخاري (٧٣٨٤) ومسلم (٢٨٤٨) عن أنس.

(٢) رواه البخاري (١١/ ٣٧٧) ومسلم (١/ ٢٠١).

القول والنداءَ يكون في يوم القيامة، وهذا من أدلة الأفعال الاختيارية.

وكم لهذه المسألة من البراهين من الكتاب والسُّنة.

(وقوله: «ما منكم من أحد إلا سيكلِّمه ربُّه ليس بينه ترجمان»[1]).

وهذا أيضًا فيه إثبات تكليمه لجميع العباد بلا واسطة، وتكليمه لعباده نوعان:

(نوع بلا واسطة) كما في هذا الحديث، وتكليمه لأهل الجنة تكليم محبة ورضوان وإحسان، وأما ما في هذا الحديث فإنه تكليم محاسبة، يكون مع البَرِّ والفاجر، وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٧٤]، فالمنفي كلامٌ خاص وهو الكلام الذي يسر المتكلم.

(ونوع بواسطة) وهو كلامه تعالى لرسله من الملائكة بأمره ونواهيه وأخباره لأنبيائه ورسله من البشر.

(وقوله في رُقية المريض: «ربنا الله الذي في السماء تقدَّس اسمك أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء، اجعل رحمتك في الأرض [ق٢٢] **اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيِّبين، أنزل رحمة من رحمتك وشفاءً من شفائك على هذا الوجع فيبرأ» حديث حسن رواه أبو داود**[2]).

---

(١) رواه البخاري (١١/ ٤٠٠) ومسلم (٢/ ٧٠٣).

(٢) رقم (٣٨٩٢).

وقوله: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء» حديث صحيح[1].

وقوله: «والعرش فوق ذلك والله فوق عرشه، وهو يعلم ما أنتم عليه» حديث حسن رواه أبو داود وغيره[2].

وقوله في الجارية: «أين الله ؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة». رواه مسلم)[3].

فهذه النصوص وغيرها المصرِّحة بأنه تعالى في السماء، إما أن تكون (في) بمعنى على السماء، كما قاله كثير من أهل العلم واللغة، و(في) تكون بمعنى (على) في مواضع كثيرة مثل قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] أي: عليها.

وقال طائفة من أهل العلم: أن معنى (في السماء) أي: في جهة العُلُوّ، وعلى الوجهين: فهي نصٌّ في عُلُوالله على خلقه.

وفي حديث الرُّقية المذكورة توسل إلى الله بالثناء عليه بربوبيته وأُلوهيّته وتقديسه وعُلُوِّه وعموم أمره الشرعي وأمره القدري:

فإن الله له الأمر القدري الذي ينشأ عنه جميع الموجودات والحوادث والتدابير القدرية مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن

---

(١) رواه البخاري (٨/ ٦٧) ومسلم (٢/ ٧٤٢).

(٢) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٤٠١) والطبراني في «الكبير» (٩/ ٢٢٨) وابن خزيمة (ص١٠٥).

(٣) مسلم (١/ ٣٨٢).

فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢].

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾ [القمر: ٥٠].

وله الأمر الشرعي المتضمن للشرائع التي شرعها للعباد على ألسنة رُسُله.

فتوسل إلى الله بذلك، ثم توسل إليه برحمته التي شملت أهل السماوات كلهم أن يجعل لأهل الأرض نصيبًا وافرًا منها، ثم توسل إليه بسؤال مغفرة الحوْب ـ وهو الذنب العظيم والخطايا ما دونها ـ ثم بربوبيّته الخاصة للطيبين ـ وهم الأنبياء وأتباعهم التي من آثار ربوبيته إياه أن غمرهم بنِعم الدِّين والدنيا الظاهرة والباطنة ـ.

فهذه الوسائل المتنوعة إلى الله لا يكاد يُرَدُّ دعاء من توسل بها، فلهذا دعا الله بعدها بالشفاء الذي هو شفاء الله الذي لا يدع مرضًا إلا أزاله، ولا فيه تعلق بغير الله، فأفضل المنن منن [ق٢٣] المولى التي لا سعي لمخلوق فيها.

وفي شهادة الرسول بالإيمان للجارية التي أعترفت بعُلُوِّ الله ورسالة رسوله أن من أعظم أوصاف الباري الاعتراف بِعُلُوِّه على خلقه ومباينته لهم، وأنه على العرش استوى، وأن هذا أصل الإيمان، وأن من أنكر علو الله المُطلق من كل وجه فقد حرم هذا الإيمان.

وقوله: «والعرش فوق ذلك، والله فوق عرشه وهو يعلم ما أنتم عليه».

فيه الجمع بين الإيمان بعلوه على عرشه وفوق مخلوقاته وبإحاطة علمه بالموجودات كلِّها، وقد جمع الله بين الأمرين في عدة مواضع من كتابه.

(وقولـه: «أفـضل الإيـمان أن تَعْلَـم أن الله معـك حيـثما كنـت» حـديث حسن[1]**.**

وقوله: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فـلا يبـصق قِبَـلَ وجهـه، فـإن الله قِبَـلَ وجهه، ولا عن يمينه ولكن عن يساره أو تحت قدمه» متفق عليه)[2]**.**

هذان الحـديثان دَلاّ عـلى أن أفـضل الإيـمان مقـام الإحـسان والمراقبـة، وهو أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وتعلم أن الله معك لا تتكلم ولا تفعل ولا تتصرف إلا والله يراك ويـشاهدك ويعلـم سرَّك وجهـرك، وأن تلزم الأدب مع الله خصوصًا إذا دخلت في الصلاة التي هي أعظـم صـلة ومناجاة بين العبد وبين ربِّه، فتـخضع وتـخشع، وتعلم أنك واقـفٌ بـين يـدي الله، فتقل الحركات، ولا تُسيءَ الأَدب معه بالبصاق أمامك أو عن يمينك.

فهـذه المعيّـة مـا أنفـع للعبـد استحـضارها في كـل أحوالـه لا سـيما في عباداته، فإنها أعظم عون على المراقبة التي هي أعلى مراتب الإيمان، فيجمع العبـد بـين الإيـمان بعُلَـوِّ الله واستحـضار قُرْبـه، ولا منافـاة بـين الأمـرين كـما سيأتي إن شاء الله.

(وقوله: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمـر ليلـة البـدر لا تُـضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قَبـل طلـوع الـشمس وصـلاةٍ قبـل

---

(١) أورده الهيثمـي في «المجمـع» (١/ ٦٠) وقـال «رواه الطـبراني في «الأوسـط» و«الكبير».

(٢) رواه البخاري (١/ ٥٠٩) ومسلم (٤/ ٢٣٠٣).

غروبها فافعلوا» متفق عليه)[1].

وقد تواترت النصوص في رؤية الله لأهل الجنة [ق٢٤] وأنهم يرون ربهم ويتمتعون بمشاهدته وهي تدل على أمرين على عُلُوِّه على خلْقه، لأنها صريحة بأنهم يرونه من فوقهم وعلى أن أعظم النعيم نعيم النظر إلى وجهه الكريم، وحثُّه ﷺ في هذا الحديث على صلاة العصر وصلاة الفجر خصوصًا: فيه إشارة على أن من حافظ عليهما نال هذا النعيم الكامل الذي يضمحل عنده كل نعيم، وهذا يدل على تأكُّدهما كما دل على ذلك الحديث الآخر: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر...**» الحديث، متفق عليه[2].

(إلى أمثال هذه الأحاديث التي يُخبر فيها رسول الله ﷺ عن ربه بما يُخبر به، فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل هم الوسط في فرق الأمة، كما أن الأُمة هي الوسط في الأمم).

والمراد بالوسط العدل الخَيار الذين جمعوا كل حق في أقوال الخَلْقِ وردُّوا ما فيها من الباطل، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فهذه الأمة وسط بين الأمم التي تميل إلى الغلوّ الضار والأمم التي

---

(١) رواه البخاري (٢/ ٣٣) ومسلم (١/ ٤٣٩).

(٢) رواه البخاري (٢/ ٢٨) ومسلم (٦٣٢).

تميل إلى التفريط المهلك، فمن الأمم من غلا في المخلوقين وجعل لهم من صفات الخالق ومن حقوقه ما جعل.

ومنهم من جفا الأنبياء وأتباعهم حتى قتلهم وردَّ دعوتهم، وهذه الأمة آمنت بكل رسول أرسله الله واعتقدت رسالته مقاماتِهم الرفيعة التي فضَّلهم الله بها ولم يغلوا في أحدٍ من المخلوقين.

ومن الأمم من أحلت كل طيِّب وخبيث.

ومنهم من حرّم الطيّبات غلوًّا ومجاوزة.

وهذه الأمة أحل الله لهم الطيبات وحرّم عليهم الخبائث ونحو ذلك من الأُمور التي منَّ الله على هذه الأمة الكاملة بالتوسط فيها.

وكذلك أهل السنة والجماعة متوسطون بين فِرق الأمة المبتدعة التي انحرفت [ق٢٥] عن الصراط المستقيم.

(فهم وسط[1] في باب صفات الله تعالى بين الجهميّة أهل التعطيل

---

(١) يمتاز أهل السنة والجماعة على غيرهم من فرق أهل الضلالة والبدع بأنهم وسط وموافقون للحق في جميع أبواب العلم والدين، فلم يَغْلُو ولم يُفرطوا كفعل أهل البدع فهم وسط في باب صفات الله بين الجهمية المعطلة والمشبهة، فالجهمية نفوا صفات الباري والمشبهة أثبتوها وغلوا في إثباتها حتى شبهوا الله بشخصه.
وأما أهل السنة فأثبتوها على الوجه اللائق بجلاله من غير تشبيه ولا تمثيل وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية، لأن الجبرية غَلوا في إثبات القَدر وزَعموا أن العبد لا فعل له، بل هو بمثابة الشجرة التي تُحركها الريح يمنة ويسرة.
والقدرية فرطوا بجانب الله وقالوا: إن العبد يخلق فعله بدون مشيئة الله وإرادته.
وأهل السنة توسطوا وقالوا: للعبد اختيار مشيئته، وليس يخلق فعله، بل الله خالقه =

=

وخالق أفعاله، إن مشيئته وإرادته بعد مشيئة الله وإرادته، كما قال سبحانه: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨- ٢٩].

وهم وسط في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم، لأن المرجئة قالوا: لا يضر مع الإيمان معصية وزعموا أن العاصي لا يدخل النار، والوعيدية من القدرية وأشباههم أنفذوا الوعيد الوارد في حق العصاة وقالوا: إن السارق والزاني ونحوهم من العصاة إذا لم يتوبوا مخلدين في النار.

وأهل السنة توسطوا في ذلك فقالوا: إن المعاصي تنقص الإيمان، وصاحبها تحت المشيئة وقد يدخل النار ولكن لا يخلد فيها كما جاءت به النصوص عن النبي ﷺ.

وهم وسط في باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية لأن الحرورية والمعتزلة يقولون: إن الدين والإيمان قول وعمل واعتقاد ولكن لا يزيد ولا ينقص، فمن أتى بكبيرة كالزنا ونحوه كفر عند الحرورية وصار فاسقًا عند المعتزلة خالدًا في النار، ويقولون: [هو في] الدنيا [ليس] مؤمنًا ولا كافرًا ولكن يجعله في منزلة بين المنزلتين وهي الفسق.

وأما المرجئة: وهم الذين يقولون: إن الإيمان قول فقط أو قول وتصديق بالقلب فهم يرون أن المعاصي لا تنقص الإيمان ولا يستحق صاحبها النار إذا لم يستحلها، والجهمية مثل المرجئة لأنهم يقولون: إن الإيمان مجرد المعرفة.

فأهل السنة توسطوا بين هذه الطوائف الأربع، فقالوا: إن الإيمان قول وعمل واعتقاد، ويزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. وقالوا: إن العاصي لا يكون كافرًا لمجرد المعصية، ولا مخلدًا في النار خلافًا لقول الخوارج والمعتزلة. وقالوا أيضًا: إن المعاصي تنقص الإيمان ويستحق صاحبها النار إلا أن يعفو الله عنه خلافًا للجهمية والمرجئة.

وهم وسط في أصحاب رسول الله بين الرافضة والخوارج لأن الرافضة غلوا في علي وأهل بيته، والخوارج كفّروا بعض الصحابة وفسقوا بعضها، وأهل السنة خالفوا الجميع فَوَالَوْا جميع الصحابة ولم يَغْلوا في أحد منهم. (ز)

وبين الـمُشبِّهة أهل التمثيل).

كما تقدم بيان ذلك وأن أهل السنة يُثبتون جميع ما ثبت في النصوص من صفات الله على حقيقتها اللائقة بعظمة الباري، وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية، فإن الجبرية يزعمون أن العبد مجبور على أفعاله لا قدرة له عليها وأن أفعاله بمنزلة حركات الأشجار، كل هذا غُلوٌّ منهم في القَدَر.

والقدرية قابلوهم فنفوا تَعَلُّقَ قُدرةِ الله بأفعال العباد تنزيهًا لله بزعمهم لله.

فأفعال العباد عندهم لا تدخل تحت مشيئة الله وإرادته، وكل من هاتين الطائفتين ردَّت طائفة كبيرة من نصوص الكتاب والسُّنة.

وهدى الله أهل السنة والجماعة للتوسط بين الطائفتين المنحرفتين، فآمنوا بقضاء الله وقدره، وشموله للأعيان والأوصاف والأفعال التي من جملتها أفعال الـمُكَلَّفين وغيرهم، وآمنوا بأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وآمنوا مع ذلك بأن الله تعالى جعل للعباد قدرة وإرادة تقع بها أقوالهم وأفعالهم على حسب اختيارهم وإرادتهم فآمنوا بكل نص فيه تعميم قدرته ومشيئته لكل شيء وبكل نصٍّ فيه إثبات أن العباد يعملون ويفعلون كل الأفعال الكبيرة والصغيرة بإرادتهم وقدرتهم، وعلموا أن الأمرين لا يتنافيان بل يتساعدان كما سيأتي توضيح ذلك إن شاء الله.

(وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم).

وذلك أن المرجئة جعلت الإيمان فقط تصديق القلب وأخرجت عنه

جميع الأعمال الباطنة والظاهرة وجوّزوا على الله أن يعذب المطيعين وأن يُنعِّم العاصين.

وأما الوعيدية من القدرية فخلّدوا في النار كل من مات مصرًا على الكبائر التي دون الشرك فانحرفت كل واحدة وردت لأجل ذلك من النصوص ما رَدَّت.

وهدى الله أهل السنة والجماعة فتوسَّطوا وقالوا: إن الإيمان [ق٢٦] اسم يجمع العقائد الدينية والأعمال القلبية والبدنية، وأنه قد يبقى ناقصًا إذا تجرّأ المؤمن على المعاصي بدون توبة وأن الله لا يظلم من عباده أحدًا ولا يعذب الطائعين بغير جرم ولا ذنب وأنه لا يخلد في النار من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ولو فعل الكبائر كما تواترت بذلك النصوص في الكتاب والسنة. ولهذا قال:

(وفي أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين الجهمية والمرجئة).

وقد تقدم ذلك، لكن الفرق بين الحرورية والمعتزلة: أن الحرورية وهم الخوارج يطلقون الكفر على العُصاة من المؤمنين ويخلدونهم في النار وأما المعتزلة فلا يطلقون عليهم الكفر بل يقولون لا مسلمون ولا كُفار ولكنهم يخلُدونهم في النار كالخوارج، والنصوص تردُّ قولهم جميعًا.

(وفي أصحاب رسول الله بين الرافضة والخوارج).

فإن الرافضة تسبهم وتلعنهم وربما كفَّرتهم أو كفرت بعضهم، وأمّا الرافضة الغالية فإنهم مع سبِّهم لطائفة من الصحابة وللخلفاء الثلاثة فإنهم

يَغْلُون في عليٍّ ويَدَّعون فيه الأُلوهية، وهم الذين حرَّقهم عليّ في النار[1]، وقابلهم الخوارج فقاتلوه وقاتلوا الصحابة وكفّروه[2] واستحلوا دماءَ الصحابة والمسلمين.

وهدى الله أهل السنة والجماعة فاعترفوا بفضل أصحاب نبيهم وأنهم أعلا الأُمة في كل خصْلة كمال، ومع ذلك فلم يغْلوا فيهم ولم يعتقدوا عِصمتهم بل قاموا بحقوقهم وأحبُّوهم لما لهم من الحق الأكبر على جميع الأمة كما سيأتي ذلك إن شاء الله.

(١) كما في «صحيح البخاري» (رقم ٣٠١٧).

(٢) في نسخة أخرى (وكفّروه).

[العلوّ والفوقيّة]

قال المصنف: فصل: (وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن رسوله وأجمع عليه سلف الأمة من أن الله سبحانه فوق سماواته على عرشه عَليٌّ على خلقه وهو تعالى معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون كما جمع بين ذلك في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ [ق٢٧] ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

وليس معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾[1] أنه مختلط بالخلق، فإن هذا لا توجبه اللغة وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق، بل القمر آية من آيات من أصغر مخلوقاته وهو موضوع في السماء وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مُهيمن عليهم مطّلع إليهم، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته.

وكل هذا الذي ذكره الله من أنه فوق العرش، وأنه معنا؛ حقٌّ على حقيقيته لا يحتاج إلى تحريف ولكن يُصان عن الظنون الكاذبة مثل أن يظن أن ظاهر قوله: «في السماء» أن السماء تقلُّه أو تظِلُّه، وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان، فإن الله قد ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

---

(١) انظر إلى الصواعق المرسلة ابن القيم، الجزء الرابع.

وهو الذي ﴿يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١].

﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥].

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥]).

صرح المصنف رحمه الله بمسألة العلو لله واستوائه على عرشه، وأن ذلك داخل في الإيمان بالله، وذلك لما حصل في هذه المسائل من القلاقل والمُخاصمات الطويلة بين أهل السنة والجماعة وبين طوائف الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم في هذه المسألة من الأشعرية ونحوهم.

فإن مسألة العُلُوِّ صُنفت فيها المُصنفات المستقلة وأورد فيها أهل السنة من نصوص الكتاب والسنة ما لا يمكن دفعه أو دفع بعضه، وحقّقوا ذلك أيضًا بالعقل الصحيح وأن الفِطَر والعقول معترفة بل ومضطرة إلى الإيمان بعلو الله، إلا من غَيَّرت فطرته العقائد الباطلة.

وقد بين المصنف في هذا الموضع الجمع بين الإيمان بعلو الله وإثبات معيته وعلمه المحيط، وحققه بكلام واضح مبين بالأمثلة المقربة للمعاني بما لا مزيد عليه.

فصل

[ق٢٨] (وقد دخل في ذلك الإيمان بأنه قريب مجيب كما جَمع بين ذلك في قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ الآية [البقرة: ١٨٦].

وقوله ﷺ: «إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»(١).

وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من عُلُوِّه وفوقيته فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته وهو عَلِيٌّ في دنوه قَريب في عُلُوِّه).

خص المؤلف هذين الأمرين، وذلك لشدة الحاجة إلى الإيمان بقربه وإجابته؛ ليكون العبد مراقبًا لله إذا آمن بقربه إيمانًا تامًا، كثير اللهج بذكره ودعائه منيبًا إليه على الدوام إذا آمن بإجابته للسائلين وإثابته للمطيعين.

ثم ذكر رحمه الله الجمع بين الإيمان بعلو الله وقربه ومعيته لئلا يظن الظان أن ذلك مثل صفات المخلوقين، وأنه إذا قيل: إنه العَلِيُّ فوق خلقه كيف يكون معهم وقريبًا منهم؟ فأجاب بما تضمنه هذا الأصل الثالث في الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهو أن الله تعالى ليس كمثله شيء في جميع نعوته، ومن نعوته اللازمة العُلُوِّ المطلق والقُرب العام والخاص، وأن القرب والعلو في حقه يجتمعان لعظمته وكبريائه وإحاطته من كل وجه، فهو العليُّ في دُنُوِّه، القريب في عُلُوِّه.

---

(١) تقدم تخريجه.

وهذا الأصل ينفعك في كل ما ورد عليك من صفات الله الثابتة فأثبتها ولا تتوقف، فإن الذي أثبتها الله الذي هو أعلم بنفسه ورسوله الذي هو أعلم الخلق وأورعهم وأنصحهم للخلق، فإن خطر ببالك تمثيلًا أو ابتعادًا فتفطن لقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وكذلك أيضًا؛ إن الكلام على الصفات مثل الكلام على الذات، فكما أنه لا نظير له ولا مثيل في ذلك فكذلك في صفاته.

فصل

[القرآن كلام الله]

(ومن الإيمان به وبكتبه الإيمان بأن القرآن كلام الله غير مخَلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد ﷺ [ق٢٩] هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله حقيقة، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مُبتدئًا لا إلى من قاله مبلغًا مؤديًا، وهو كلام الله حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف.

ووجه ذلك، أنه داخل في الإيمان بالله وبكتبه الإيمان بكلام الله على هذا الوصف الذي ذكره المصنف، وأنه من الإيمان بالله لأنه وصفه، والكلام صفة للمتكلم، فالله تعالى موصوف بأنه متكلم إذا شاء بما شاء وأنه لم يزل ولا يزال يتكلم، وكلامه تعالى لا ينفذ ولا يَبيد، ونوع الكلام أزلي أبدي ومفرداته لا تزال تقع شيئًا فشيئًا بحسب حكمة الله تعالى، والله تعالى أضافه إلى نفسه في قوله: ﴿كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ إضافة الصفة لموصوفها، فدل على أنه كلامه لفظه ومعناه ووصفه، وإذا كان كذلك كان غير مخلوق.

ومن زعم أنه مخلوق من المعتزلة فقد أعظم الفرية على الله، ونفى كلام الله عن الله وصفًا، وجعله وصفًا للمخلوق.

ومن زعم أن القرآن الموجود بيننا عبارة عن كلام الله أو حكاية عنه كما

قاله الكُلاَّبية والأشعرية فقد قال بنصف قول المعتزلة.

فالقرآن كلام الله حيث تصرف، سواء كان محفوظًا في الصدور، أو متلوًا في الألسنة، أو مكتوبًا في المصاحف، فلا يخرج بذلك أن يكون كلام الله كما قال المصنف، فإن الكلام إنما يضاف إلى من قاله مُبتدئًا، لا إلى من قاله مبلغًا مؤديًا.

وقول السلف: «كلام الله منه بدأ» أي: هو الذي تكلم به وظهر منه لم يبد من غيره، وقولهم: «وإليه يعود» أي: يرجع، أي: يوصف الله به، وقيل: إن المراد بذلك ما ورد أن من أشراط الساعة أن يُرفع القرآن من الصدور والمصاحف، ولكن الأوّل أوْلَى.

وهذه المسألة مسألة الكلام عظيمة تكلم الناس فيها على اختلاف طرائقهم، [ق٣٠] ولكن المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر في هذا الفصل كلامًا في التكلم جامعًا نفيسًا، مأخوذًا من الأدلة الشرعية: عقلية ونقلية.

وأما كون هذا داخلاً في الإيمان بكتبه، فإن الإيمان بالكتب وخصوصًا القرآن، يقتضي أن يؤمن العبد بكل ألفاظها ومعانيها وما دلت عليه من العقائد والمعاني الجليلة، فمن لم يؤمن بجميع ذلك فلم يتم إيمانه.

واعلم أن المؤمنين بالقرآن على قسمين: كاملين وناقصين.

أما الكامِلون: فإنهم أقبلوا على القرآن فتفهموا معانيه ثم آمنوا بها واعتقدوها كلها عقدًا، وتخلقوا بأخلاقه وعملوا بما دل عليه امتثالًا لأوامره واجتنابًا لنواهيه، ولم يفرقوا بين نصوصه، كحال أهل البدع الذين آمنوا ببعض دون بعض.

وأما الناقصون فهم قسمان: ـ قسم مبتدعون، وقسم فاسقون ظالمون.

أما المبتدعون: فكل من ابتدع بدعة ترك لها شيئًا من كتاب الله وسنة رسول الله، وهؤلاء على مراتبهم في البدعة بحسب ما خالفوا فيه.

وأما الفاسقون: فهم الذين عرفوا أنهم يجب عليهم الإيمان بالكتاب والعمل به فاعترفوا بذلك، ولكن أعمالهم ناقضت أقوالهم فتجرأوا على مخالفة الكتاب بترك كثير من واجباته والاقتحام على كثير مما نهي عنه من غير أن يجحدوه، ولكن نفوسهم الأمارة بالسوء غلبتهم واستولت عليهم، فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن آمن بكتابه إيمانًا صحيحًا حتى نكون لجميع نصوصه معتقدين، ولأوامره ونواهيه خاضعين، إنه جواد كريم.

فصل

[ما بعد الموت]

(ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت)

وهـذا ضـابط جـامع يـدخل فيـه الإيـمان بالنـصوص الـواردة في حالـة المحتضر وفي القبر والقيامة والجنة والنار وجميع ما احتوت عليه هذه الأمور من التفاصيل التي صُنِّفت فيها الـمُصنفات الـمُطولة والـمُختصرة، فكلها داخلة في الإيمان باليوم الآخر، ثم أشار المصنف إلى شيء منها فقال:

[ق٣١] **(فيؤمنون بفتنة القبر وبعذاب القبر ونعيمه: فأما الفتنة، فإن الناس يفتنون في قبورهم فيقال للرجل: مَنْ رَبُّك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فَيُثَبِّتُ الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فيقول المؤمن: ربي الله، وديني الإسلام، ومحمد ﷺ نبيّي، وأما الـمُرتاب فيقول: هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته، فيضرب بِمِرْزَبة من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق)**[1].

وهذا الابتلاء والامتحان قد سبقت لكل عبد مُقَدِّمَاتُهُ في الدنيا، أمَّا من كان مؤمنًا إيمانًا صحيحًا ثبته الله ولقنه الجواب الصحيح للملكين كما قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى

(١) كما في حديث البراء بن عازب الطويل الذي رواه أبو داود (٤٧٢٧) وأحمد (٤/ ٢٨٧و٢٨٨).

﴿ٱلْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

فذكر أن تثبيته لهم جزاء لهم على إيمانهم في الدنيا، فالمؤمن يجيب الجواب الصحيح وإن كان عاميًا، أو عجميًّا، وأما الكافر والمنافق ممن كان في الدنيا غير مؤمن بما جاء به الرسل فإنه يستعجم عليه الجواب ولو كان من أعلم الناس وأفصحهم كما قال تعالى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

ومن حكمة الله أن نعيم البرزخ وعذابه لا يحس به الإنس والجن بمشاعرهم؛ لأن الله تعالى جعله من الغيب ولو أظهره لفاتت الحكمة المطلوبة.

(ثم بعد هذه الفتنة إما نعيم وإما عذاب إلى أن تقوم القيامة الكبرى، فَتُعاد الأرواح إلى الأجساد وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه وعلى لسان رسوله وأجمع عليها المسلمون، فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حُفاة عُراة غُرْلًا، وتدنو منهم الشمس، ويلجمهم العرق، وتنصب الموازين، فيوزن فيها أعمال العباد[1]، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣].

(١) الجمعُ بين النصوص الواردة في وزن الأعمال، والعاملين، والصحائف أنه لا منافاة بينها، فالجميع يوزن ولكن الاعتبار في الثقل والخفة يكون بالعمل نفسه لا بذات العامل ولا بالصحيفة. (ز)

وتنشر الدواوين وهي صحائف الأعمال فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٤].

[ق٣٢] ويحاسب الله الخلق ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه، كما وصف ذلك في الكتاب والسنة(١).

وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من تُوزن حسناته وسيئاته، فإنه لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم فتحصى فَيُوقَفون عليها ويقررون بها ويجزون بها. وفي عرصات القيامة الحوض المورود لمحمد ﷺ ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء، طوله شهر وعرضه شهر، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا(٢)، والصراط منصوب على متن جهنم وهو الجسر الذي بين الجنة والنار يمر الناس عليه على قدر أعمالهم فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدوًا، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يزحف زحفًا، ومنهم من يخطف فيلقى في جهنم(٣)، فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، فمن مر على الصراط دخل الجنة فإذا عبروا عليه

(١) كما رواه البخاري (١٣/ ٣٧٥) ومسلم (٢٧٦٨) عن ابن عمر.
(٢) كما رواه البخاري (١/ ٤٦٣) ومسلم (٤/ ١٧٩٨).
(٣) رواه البخاري (٧٤٣٩).

وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة[1].

وأول من يستفتح باب الجنة محمد ﷺ[2].

وأول من يدخل الجنة أمته [3].

وله ﷺ في يوم القيامة ثلاث شفاعات[4]:

أما الشفاعة الأولى: فيشفع في أهل الموقف حتى يُقضى بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم الشفاعة، حتى تنتهي إليه.

وأما الشفاعة الثانية: فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة.

وهاتان الشفاعتان خاصتان له.

وأما الشفاعة الثالثة فيشفع فيمن استحق النار.

وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصدِّيقين وغيرهم[5] يشفع فيمن

---

(١) رواه البخاري (٦٥٣٥).

(٢) كما أخرجه مسلم (١/ ١٨٨) عن أنس.

(٣) رواه البخاري (٦/ ٣١٨) ومسلم (٤/ ٢١٨٠) عن أبي هريرة.

(٤) العقيدة الطحاوية(٢٠٢، ٢١٢).

(٥) الشَّفاعات التي تقع يوم القيامة: ست شفاعات معروفة من الأدلة الشرعية: منها ثلاث شفاعات تختص بالنبي ﷺ وهي:

١- الشفاعة العظمى في أهل الموقف حتى يقضى بينهم.

=

استحق النار أن لا يدخلها، وفيمن دخلها أن يخرج منها، ويخرج الله من النار أقوامًا بغير شفاعة بل بفضل رحمته، ويبقى في الجنة فضل عمَّن دخلها من أهل الدنيا فينشئ الله لها أقوامًا فيدخلهم الجنة(١).

وأصناف ما تضمنته الدار الآخرة من الحساب والثواب والعقاب والجنة والنار [ق٣٣] **وتفاصيل ذلك مذكور في الكتب المنزلة من السماء، والآثار من العلم المأثور عن الأنبياء، وفي العلم المأثور عن محمد ﷺ من ذلك ما**

=

٢- الشفاعة في أهل الجنة حتى يدخلوها.

٣- شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب حتى جُعل في ضحضاح من النار، وهذه الشفاعة خاصة بالنبي وبأبي طالب عمه، وأما سواه من الكفار فلا شفاعة فيهم لقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

الرابعة والخامسة: شفاعته فيمن استحق النار ألا يدخلها وفيمن دخلها أن يخرج منها.

السادسة: شفاعته في رفع درجات أهل الجنة، وهذه الشفاعة الأخيرة عامة للنبي ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين والملائكة وصغار الموتى من أطفال المسلمين، وكلها خاصة بأهل التوحيد.

وأما الكفار فيخلدون في نار جهنم ولا يذوقون فيها الموت كما قال عز وجل: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟﴾ [فاطر: ٣٦] ونحوها من الآيات.

وأما من دخلها من العُصاة الموحدين فإنه لا يخلد فيها بل يخرج منها بعد التطهير والتمحيص.

وثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أن العصاة يموتون فيها ثم يخرجون منها كالحمم فينبتون فيها كما ينبت الحب في حميل السِّيل. (ز)

(١) رواه البخاري (٣٨٨٥) ومسلم (٢٠٩) عن أبي سعيد.

يكفي ويشفي، فمن ابتغاه وجده).

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الكلام النفيس المتعلق باليوم الآخر المأخوذ من نصوص الكتاب والسنة، وهو كلام واضح جامع، وأحال على الكتاب والسنة في بقية تفاصيل اليوم الآخر، وقد كتب أهل الإسلام من النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة فيما يتعلق باليوم الآخر والجنة والنار وتفاصيل ذلك شيئًا كثيرًا، أو تصانيف طوالًا مبسوطة، وكل ذلك داخل في الإيمان باليوم الآخر.

واعلم أن أصل الجزاء على الأعمال خيرها وشرها ثابت بالعقل، كما هو ثابت بالسمع، فإن الله نبه العقول على ذلك في مواضع كثيرة من الكتاب، وذكرهم ما هو مستقر في العقول الصحيحة من أنه لا يليق بحكمة الله وحمده أن يُترك الناس سدى، وأن يكونوا مخلوقين عبثًا لا يؤمرون، ولا ينُهون، ولا يثُابون، ولا يُعاقبون، وأن العقول الصحيحة تنكر ذلك أشد الإنكار، وكذلك نَبَّهَهُم على ذلك بما أوقعه من أيامه في الدنيا من إثابة الطائعين وتعجيل بعض ثوابهم وعقوبة الطاغين وإذاقتهم بعض ما وعدوا به.

وهذا شيء مشاهد محسوس متناقل بين الناس بالتواتر الذي لا يقبل الشك، ولا يزال الله يري عباده آياته في الآفاق وفي أنفسهم ما يتبيّن به الحق لأولي العقول والألباب.

وأما تفاصيل الجزاء ومقاديرها فلا يُدرك إلا بالسمع والنقول الصحيحة عن النبي المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

ومـن الحكمـة في محاسـبة الخلـق عـلى أعمالهـم ووزنهـا وظهورهـا مكتوبـة في الـصحف مـع إحاطـة علـم الله بـذلك لِيُري عبـاده كـمال حمـده، وكمال عدله، وسعة رحمته، وعظمة ملكه، ولهذا عَبَّر في حَمَدَ تملُّكَه ليوم الدين في عدة مواضع من كتابه مع أن ملكه عام مطلق لهذه المعاني وغيرها.

[ق ٤٦] **(ونؤمن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة بالقَدَر خيره وشره، والإيمان بالقَدَر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين**(١)**:**

---

(١) مراتب القَدَر أربع، وإن شئت سميتها أشياء بدلًا من مراتب، كما سماها المصنف رحمه الله.

الأولى: علم الله بجميع الأشياء، وعلمه بجميع أفعال العباد من طاعة ومعصية، وغير ذلك، فهو سبحانه موصوف بالعلم أزلًا وأبدًا لا يغيب عن علمه شيء كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥].

الثانية: كتابته لجميع الأشياء، فجميع ما كان وما سيكون كله مكتوب لديه كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠]، وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ الآية [الحديد: ٢٢].

الثالثة: مشيئة الله النافذة في كل شيء وقدرته على كل شيء، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١٣٧]، ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٨- ٢٩]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠].

الرابعة: الإيمان بأن الله خالق الأشياء وموجودها، فلا خالق غيره، ولا رب سواه، كما قال: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ =

فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله يعلم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً وأبدًا، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق «فأول ما خلق الله القلم. قال له: اكتب. قال: ما اكتب؟ قال: أكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة»(١) فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه جفت الأقلام وطويت الصحف(٢)، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢].

وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلًا، فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء وإذا خلق حينئذ الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكًا فيؤمر بأربع كلمات فيقال: اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم

= [الفاتحة: ٢]، والمراد بالعالمين جميع المخلوقات، قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٤]. (ز)

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣١٧).

(٢) رواه مسلم (٢٦٦٩).

سعيد[1]، ونحو ذلك، فهذا القدر قد كان ينكره غلاة القدرية قديمًا ومنكره اليوم قليل.

وأمّا الدرجة الثانية: فهو مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه ما في السماوات ولا في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله لا يكون في ملكه ما لا يريد وأنه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات.

فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه، سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه.

ومع ذلك فقد أمر بطاعته وطاعة رسله ونهى عن معصيته وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يحب الكافرين ولا يرضى عن القوم الفاسقين ولا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر [ق٣٥] ولا يحب الفساد.

والعِبَاد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم، والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم، وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم.

فهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة[2] ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى يسلبوا

(١) رواه البخاري (٦٥٩٤)، ومسلم (٢٦٤٣) عن أبي سعيد.

(٢) رواه أبو داود (٤٦٩١) والحاكم (١/ ٨٥) عن ابن عمر.

العبد قدرته واختياره ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها)[1].

---

(١) أقسام القَدر أربعة:

الأول: التقدير العام، وهو تقدير الرب لجميع الأشياء بمعنى علمه بها وكتابته لها ومشيئته وخلقه لما كان منها، ويدل على هذا النوع دلائل كثيرة منها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ الآية [الحج: ٧٠]، وقوله: ﴿لِّتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ الآية [البقرة: ١٥٣]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، وفي «صحيح مسلم» [تقدم تخريجه] عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: «**إن الله قدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماء والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء**».

القسم الثاني: تقدير عُمْريٌّ وهو تقدير كلِّ ما يجري على العبد في حياته إلى نهاية أجله وكتابة شقاوته وسعادته، وقد دلّ عليه حديث ابن مسعود المخرج في «الصحيحين» [(٢٧/ ١٣٥)] مرفوعًا: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مُضغة مثل ذلك، ثم يُرسل الله الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتابة رزقه وأجله وعمله وشقيّ أو سعيد...**» الحديث.

الثالث: التقدير السنوي، وذلك يكون في ليلة القدر، ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [الدخان: ٤]، وقوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ [القدر: ٤- ٥]. قيل: يُكتب في هذه الليلة ما يحدث في السنة من موت وعزٍّ وذلٍّ وغير ذلك، رُوي هذا =

اعلم أن الإيمان بالقدر أمره عظيم وشأنه مهم جدًا وهو أحد أركان الإيمان الستة، وقد انحرف فيه طوائف من أهل البدع والضلال فضلًا عن المنكرين من الملحدين، وقد فصله الشيخ في هذا الفصل بهذا الكلام الجامع النفيس الذي لا يوجد له نظير في تحقيقه وتفصيله وجمعه وتوضيحه وهو مجموع من نصوص الكتاب والسنة ومن العقيدة السلفية الخالصة.

فذكر أنه لا يتم الإيمان بالقدر إلا بتحقيق هذه الأمور الأربعة التي يفتقر كل منها إلى البقية، وقد ارتبط بعضها ببعض ارتباطًا وثيقًا لا ينفصم إلا بالانحراف إلى الأقوال المنحرفة، وذلك أنه ثبتت نصوص الكتاب والسنة

=

عن ابن عُمر ومجُاهد وأبي مالك والضحاك وغير واحد من السلف.

الرابع: التقدير اليومي: ويدل عليه قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]. ولأثر عن ابن عباس: إن لله لوحًا محفوظًا من دُرَّة بيضاء، دَفَّتَاهُ ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور وعرضه ما بين السماء والأرض ينظر فيه كل يوم كذا وكذا نظرة، يخلق في كل نظرة، ويحيى ويميت ويُعز ويُذل ما يشاء» أخرجه ابن جرير [١٣/ ٥٧٠ ط هجر].

وفي إسناده أبو حمزة الثُّمالي وهو ضعيف ورُمي بالرفض فلا يعتمد عليه.

وأخرج ابن جرير عن مُنيب بن عبد الله الأزدي عن أبيه [قال الهيثمي: أخرجه ابن جرير (٢٧/ ١٣٥) والبزّار (٦/ ٢٢٦) والطبراني في «الكبير» كما في «المجمع» (٧/ ١١٧)] وابن أبي حاتم عن أبي الدرداء [أخرجه ابن ماجه (٢٠٢) وابن حبان (١٧٦٣)] عن النبي ﷺ في تفسير ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] قال: «**من شأنه أن يغفر ذنبًا، ويفرِّج كربًا، ويرفع قومًا ويضع آخرين**» علقه البخاري [فتح الباري (٨/ ٤٧٨)] عن أبي الدرداء موقوفًا. (ز)

بإحاطة علم الله بجميع الموجودات السابقة والحاضرة والمستقبلة من أعيان وأوصاف وأفعال للمكلفين وغيرهم.

وثبتت النصوص أيضًا أن الله أثبت علمه بالكائنات والموجودات دقيقها وجليلها في اللوح المحفوظ في نصوص لا يمكن إحصاؤها.

وثبتت النصوص أيضًا أن مشيئة الله عامة وإرادته القدرية شاملة لا يخرج عنها حادث صغير ولا كبير ولا عين ولا فعل ولا وصف وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

والنصوص على شمول قدرة الله ومشيئته لكل حادث أيضًا لا تحصى.

وثبتت النصوص أيضًا أن العباد مختارون غير مجبورين على أفعالهم وأن أعمالهم خيرها وشرها واقعة بمشيئتهم وقدرتهم [ق٣٦] التي خلقها الله لهم.

وخالق السبب التام خالق للمُسَبِّب.

وبهذا ينحل عن العبد الإشكال ويتسع قلبه للجمع بين إثبات عموم مشيئة الله وقدرته وشمولهما لأفعال العباد مع وقوعها شرعًا وحسًّا وعقلًا باختيارهم.

فمتى جمع العبد هذه المراتب الأربع وآمن بها إيمانًا صحيحًا كان هذا هو المؤمن بالقدر حقًا الذي يعلم أن الله بكل شيء عليم، وعلمه بالحوادث قد أودعه في اللوح المحفوظ، والحوادث كلها تجري على ما علمه الله وكتبه تقع بأسباب ربطها العزيز الحكيم بمسبباتها.

والأسباب والمسببات من قضاء الله وقدره، ولهذا لما قال النبي ﷺ لأصحابه: «**ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة أو النار**»، فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ فقال: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة**». ثم قرأ ﷺ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥- ١٠] متفق عليه(١).

وتوضيح ذلك أن العبد إذا صلى وصام وفعل الخير أو عمل شيئًا من المعاصي كان هو الفاعل لذلك العمل الصالح وذلك العمل السّيئ، وفعله المذكور بلا ريب قد وقع باختياره، وهو يحس ضرورة أنه غير مجبور على الفعل أو الترك، وأنه لو شاء لم يفعل، وكما أن هذا هو الواقع فهو الذي نص الله عليه في كتابه ونص عليه رسوله حيث أضاف الأعمال صالحها وسيئها إلى العباد، وأخبر أنهم هم الفاعلون لها وأنهم ممدوحون عليها إن كانت صالحة ومثابون عليها ومذمومون عليها إن كانت سيئة ومعاقبون عليها.

[ق٣٧] فقد تبين واتَّضَحَ بلا ريب أنها واقعة منهم وباختيارهم وأنهم إن شاؤوا فعلوا وإن شاؤوا تركوا، وأن هذا الأمر ثابت عقلًا وحسًّا وشرعًا ومشاهدة، ومع ذلك فإذا أردت أن تعرف أنها وإن كانت كذلك واقعة منهم، كيف تكون داخلة في القدر، وكيف تشملها المشيئة؟

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٥٤٤) ومسلم (٢٦٤٧).

فيقال: بأي شيء وقعت هذه الأعمال الصادرة من العباد خيرها وشرها.

فيقال: بقدرتهم وإرادتهم، هذا يعترف به كل أحد.

فيقال: ومن خلق قدرتهم ومشيئتهم وإرادتهم، فالجواب الذي يعترف به كل أحد: الله هو الذي خلق قدرتهم وإرادتهم وهو الذي خلق ما به تقع الأفعال هو الخالق للأفعال، فهذا هو الذي يحل الإشكال ويتمكن العبد أن يعقل بقلبه اجتماع القدر والقضاء والاختيار.

ومع ذلك فهو تعالى أمد المؤمنين بأسباب وألطاف وإعانات متنوعة، وصرف عنهم الموانع كما قال ﷺ: «**أمّا من كان من أهل السعادة فسيُيَسَّر لعمل أهل السعادة**» وكذلك خذل الفاسقين ووكلهم إلى أنفسهم ولم يعنهم[1] لأنهم الذين لم يؤمنوا به ويتوكلوا عليه فولاهم ما تولوه لأنفسهم.

ولما ضاق تحقيق هذا المقام على قلوب كثير من الخلق انحرف هنا طائفتان من الناس:

طائفة يقال لهم الجبرية، غلوا في إثبات القدر وتوهموا أن العبد ليس له فعل حقيقة، وأنه لا يمكن أن يُثْبت للعبد عموم المشيئة ويُثْبِت للعبد اختيارًا.

والطائفة الأخرى: القدرية قابلتهم فشهدت وقوع أفعالهم بقدرتهم واختيارهم وتوهموا أنه لا يمكن مع ذلك أن تدخل في قضاء الله وقدره، [ق٣٨] فلم تتسع قلوب الجبرية والقدرية للجمع بين الأمرين فرد كل منهما

(١) الصواب: ولم يُعِنْهُمْ.

قسمًا كبيرًا من نصوص الكتاب والسنة المؤيدة بالفعل الصحيح.

وهدى الله أهل السنة والجماعة فآمنوا بجميع الكتاب والسنة بقضائه وقدره وشمولهما لكل موجود وبشرعه وأمره وأن العباد فاعلون حقيقة مختارون.

فإيمانهم بعموم القدر يوجب لهم الاستعانة التامة بربهم لعلمهم أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن له في عباده المؤمنين ألطافًا وتيسيرًا لا ينال إلا بقوة الإيمان والتوكل عليه، وأوجب لهم إيمانهم بالشرع والأمر والنهي والأسباب وأنها مرتبطة بمسبباتها شرعًا وقدرًا الجد والاجتهاد في فعل الأسباب النافعة الدينية والدنيوية.

وبذلك تعرف أن الإيمان الصحيح سبب لكل خير.

ومن فوائد الإيمان بالقضاء والقدر: أنه يوجب للعبد سكون القلب وطمأنينته وَقُوَّتِه وشجاعته؛ لعلمه أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

وأنه يُسلي العبد عن المصائب ويوجب له الصبر والتسليم والقناعة بما رزق الله، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١].

قال بعض السلف[1]: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويُسلِّم.

ومن فوائده: أنه يوجب للعبد شهود مِنَّةِ الله عليه فيما يَمُنُّ عليه من فعل

(١) رواه ابن جرير (٢٨/ ١٢٣) عن علقمة.

الخيرات وأنواع الطاعات، ولا يُعْجَبُ بنفسه ولا يُدِلُّ بعمله لعلمه أن الله تعالى هوا لذي تفضل عليه بالتوفيق والإعانة وصرف الموانع والعوائق، وأنه لو وكلَه إلى نفسه لَضَعُفَ وعَجَزَ عن العمل وعن الثبات.

كما أنه سببٌ لِشُكْرِ نِعَمِ الله فيما يُنعم عليه من نِعَم الدين والدنيا، فإنه يعلم أنه ما بالعبد من نعمة إلا من الله، وأن الله هو الدافع لكل مكروه ونقمة.

فصل

[الإيمان]

[ق٣٩] قال المصنف رحمه الله: (**ومن أصول أهل السنة أن الدِّين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح، وأنَّ الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهم مع ذلك لا يكفِّرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر، كما يفعله الخوارج، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي كما قال في آية القصاص:** ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨].

وقال: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩- ١٠]).

قد دل الكتاب والسنة على ما قاله الشيخ، وأجمع على ذلك سلف الأمة، فكم من آية قرآنية وأحاديث نبوية أطلقت على كثير من الأقوال والأعمال اسم الإيمان، فالإيمان المطلق يدخل فيه جميع الدين ظاهره وباطنه أصوله وفروعه، ويدخل فيه العقائد التي يجب اعتقادها من كل ما احتوى عليه هذا الكتاب.

وتدخل فيه أعمال القلوب كالحب لله ورسوله وإرادة الله والإنابة إليه.

والفرق بين أقوال القلب وبين أعماله: أن أقواله هي العقائد التي يعترف

بها القلب ويعلمها ويعتقدها، وأما أعمال القلب فهي حركته التي يحبها الله ورسوله، وضابطها: محبة الخير وإرادته الجازمة، وكراهية الشر والعزم على تركه لله، وهذه الأعمال القلبية تنشأ عنها أعمال الجوارح، فالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد من الإيمان، وبر الوالدين وصلة الأرحام والقيام بحقوق الله وحقوق خلقه المتنوعة كلها من الإيمان، وكذلك الأقوال: فَقِرَاءة القرآن، وذكر الله والثناء عليه، والدعوة إلى الله، والنصيحة لعباد الله، وتعلم العلوم النافعة، كلها داخلةٌ في الإيمان.

ولهذا لـمَّا كان الإيمان اسمًا لهذه الأمور ترتب عليه أنه يزيد وينقص كما هو صريح الأدلة من الكتاب والسنة وكما هو ظاهر مشاهد في تفاوت المؤمنين في عقائدهم وأعمال قلوبهم وأعمال جوارحهم.

ومن زيادته ونقصه [ق٤٠] أن الله قسم[1] المؤمنين ثلاث طبقات:

سابقون بالخيرات: وهم الذين أدوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات؛ فهؤلاء المقربون.

ومقتصدون: وهم الذين أدوا الواجبات وتركوا المحرمات.

وظالمون لأنفسهم: وهم الذين تجرؤوا على بعض المحرمات وقصروا ببعض الواجبات مع بقاء أصل الإيمان معهم، فهذا من أكبر البراهين على زيادة الإيمان ونقصه.

---

(١) لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية [فاطر: ٣٢].

فما أعظم التفاوت بين هؤلاء الطبقات.

ومن وجوه زيادته ونقصه: أن المؤمنين متفاوتون في علوم الإيمان، فمنهم من وصل إليه من تفاصيله وعقائده خير كثير؛ فازداد به إيمانه وتمَّ به يقينه، ومنهم من هو دون ذلك ودون ذلك، حتى تصل الحال إلى أنَّ من المؤمنين من معه إيمان إجمالي لم يتيسر له من التفاصيل شيء وهو مع ذلك مؤمن! ومعلوم الفرق بين هذه المراتب.

ومن وجوه زيادة الإيمان ونقصه: أن المؤمنين متفاوتون تفاوتًا كثيرًا في أعمال القلوب والجوارح وكثرة الطاعات وقلتها، وهذا شيء محسوس.

ومن وجوه زيادته ونقصه: أن من المؤمنين من لم تجرح المعاصي إيمانه وإن وقع منه شيء بادر إلى التوبة والإنابة، ومنهم من هو متجرئ على كثير من المعاصي ومعلوم الفرق بينهما.

ومن وجوه زيادته ونقصه: أن من المؤمنين من هو واجد لحلاوة الإيمان قد ذاق طعمه واستحلى الطاعات واستنار قلبه بالإيمان، ومنهم من لم يصل إلى ذلك.

ولهذا قال المصنف رحمه الله: **(ولا يسلبون الفاسق المِلِّيَّ اسم الإيمان بالكلية ولا يخلدونه في النار كما تقوله المعتزلة، بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله:** ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢].

وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ الآية [الأنفال: ٢].

وقول النبي ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب نُهْبَةً ذاتَ شرفٍ يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن**»(١).

ونقول: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى [ق٤١] **الاسم المطلق، ولا يُسْلَبُ مطلق الاسم).**

وهذا تحقيق مذهب السلف الذي باينوا فيه الخوارج المارقين الذين يسلبون العصاة اسم الإيمان ويخلدونهم في النار.

وباينوا فيه المعتزلة الذين وافقوا الخوارج في المعنى وخالفوهم في اللفظ.

وأما الكتاب والسنة فإنهما دلَّا من وجوه كثيرة على أن العبد يكون فيه خير وشر وإيمان، وخصال كفر أو نفاق لا تخرجه عن الإيمان بالكلية، وأن الإيمان المطلق إنما يتناول الإيمان الممدوح الكامل في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ الآية [الأنفال: ٢- ٣]، ونحو ذلك من النصوص.

وأما مطلق الإيمان الذي يدخل فيه الإيمان الكامل والإيمان الناقص

(١) رواه البخاري (١٠/ ٣٠) ومسلم (١/ ٧٦).

فإنه قد ثبتت النصوص من الكتاب والسنة على إطلاقه على عصاة المؤمنين، وأجمع على ذلك سلف الأمة وأئمتها، قال تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢] من المعلوم دخول أي مؤمن كان، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، فسماهم إخوة بعد وجود الاقتتال، وهي كثيرة جدًا.

ويقال أيضًا في توضيح ذلك: الإيمان الممدوح الذي يؤتى به في سياق الثناء على أهله إنما يتناول الكامل، والإيمان الذي يقال لصاحبه: إنه من المؤمنين يدخل فيه هذا وهذا.

ويقال أيضًا: الإيمان الذي يمنع صاحبه من التجري على الزنا وشرب الخمر والسرقة ونحوها من الفواحش هو الإيمان الكامل، والإيمان الذي لا يمنع من ذلك هو الناقص.

وهذا هو وجه هذا الحديث الذي ذكره المصنف «**لا يزني الزاني**»[1] إلخ.

ويقال أيضًا: الإيمان الذي يمنع من دخول النار هو الإيمان الكامل، والإيمان الذي يمنع من الخلود فيها يكون ناقصًا.

وقد تواترت الأحاديث بخروج من في قلبه أقل شيء من الإيمان من النار[2].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «صحيح البخاري» (٤٥٨١) و«صحيح مسلم» (٥٠).

ويقال أيضًا: الأحكام الأصولية والفرعية[1] تدور مع عللها وأسبابها، وإذا وجد في العبد أسباب متعارضة أُعمل كل سبب في مُسَبِّبِهِ، فالطاعات سَبَبٌ لدخول الجنة والثواب، والمعاصي سببٌ لدخول النار والعقاب، فأَعْمِلْ كلّ واحد في مقتضاه.

ولكن لما كانت رحمة الله قد سبقت غضبه[2] وفضله على العباد [ق٤٢] قد غمرهم وتنوع عليهم من كل وجه؛ كان أقل القليل من الإيمان له الأثر المستقر الذي يضمحل ضدُّه من كل وجه، وإن كان معه شيء من الإيمان فإن مآله الخلود في دار النعيم.

(١) في الأصل: الفروعين.

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٢٨٧) ومسلم (٤/ ٢١٠٧) عن أبي هريرة.

فصل

[الصحابة]

(ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله به في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠](١).

وهذا الدعاء الصادر ممن اتبع المهاجرين والأنصار بإحسان يدل على كمال محبتهم لأصحاب رسول الله وثنائهم عليهم، لأن من دعا في أمر من الأمور فهو ساع في تحقيقه مجتهد في طلبه متضرعٌ لربه أن يتم ذلك له، وأولى من دخل في هذا الدعاء الصحابة الذين سبقوا إلى الإيمان وحققوه وحصل لهم من براهينه وطرقه ما لم يحصل لغيرهم.

---

(١) خلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في أصحاب رسول الله ﷺ وعما شجر بينهم: هو سلامة قلوبهم وألسنتهم، ومحبتهم إياهم، والترضي عنهم جميعًا، وإظهار محاسنهم وإخفاء مساوئهم، أي إخفاء مساوئ من نُسب إليه شيء من ذلك، والإمساك عما شجر بينهم، واعتقاد أنهم في ذلك بين أمرين: إما مجتهدون مُصيبون، وإما مجتهدون مخُطئون، فالمصيب له أجران والمخطئ له أجر الاجتهاد وخطؤه مغفور.

وإذا قُدر أن لبعضهم سيئات وقعت عن غير اجتهاد فلهم من الحسنات ما يغمرها ويمحوها وليس في بيان خطأ من أخطأ منهم في حكم من الأحكام شيء من إظهار المساوئ، بل ذلك مما يفرضه الواجب ويوجبه النصح للأمة. (ز)

ونفي الغل من جميع الوجوه يقتضي تمام المحبة لهم، فهم يحبون الصحابة لفضلهم وسبقهم واختصاصهم بالرسول ولإحسانهم على جميع الأمة لأنهم هم المبلغون لهم جميع ما جاء به نبيهم، فما وصل لأحد علم ولا خير إلا على أيديهم وبواسطتهم.

(وطاعة النبي ﷺ في قوله: «لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[1]).

فعلى الأمة أن يطيعوا النبي ﷺ في كل أمرٍ، وخصوصًا في هذا الأمر الخاص، وأن يوقروا أصحابه ويحترموهم[2]، ويعتقدوا أن العمل القليل منهم يفضل العمل الكثير من غيرهم كما في هذا الحديث، وهذا من أعظم براهين فضلهم على غيرهم.

(ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم، ويفضلون من أنفق من قبل الفتح ـ وهو صلح الحديبية[3] ـ وقاتل على من أنفق من بعده وقاتل).

فقد ذكر الله ورسوله للصحابة فضائل كثيرة، على الأمة الإيمان بها، وأن يدينوا الله بها، ويحبوا الصحابة لأجلها.

[ق٤٣] وقيل لصلح الحديبية: فتح؛ لما ترتب عليه من المصالح والخير

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٢١) ومسلم (٤/ ١٩٦٤) عن أبي سعيد.

(٢) (ويحترموهم)، بالنصب على (يوقروا).

(٣) انظر «فتح الباري» (٧/ ٤٤١) للحافظ ابن حجر.

الكثير ودخول الكثير في الإسلام، ولهذا كان من أسلم قبل ذلك وأنفق وقاتل أفضل ممن فعل ذلك بعده؛ لما حصل لهم من السبق والإسلام وقت ضَعْفِ المسلمين وكثرة الأعداء ووجود الموانع الكثيرة في طريق الإسلام.

قال المصنف: (**ويقدمون المهاجرين على الأنصار**)؛ وهذا لأن المهاجرين جمعوا الوصفين: النصرة والهجرة، ولهذا كان الخلفاء الراشدون وبقية العشرة من المهاجرين، وقد قدم الله ذكر المهاجرين على الأنصار في سورة التوبة والحشر[1]، وهذا التفضيل للجملة على الجملة لا لكل فرد من هؤلاء على كل فرد من الآخرين.

(ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[2]، وبأنه: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة»[3] كما أخبر به النبي ﷺ، بل قد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورضوا عنه، [وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة]).

أي: في قوله: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وكان عددهم ما بين ألف إلى أربعمائة أو خمسمائة، فأهل بدر وأهل بيعة الرضوان يُشهد لهم بالجنة والنجاة من النار على وجه أخص من الشهادة بذلك لجميع الصحابة في قوله: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النساء: ٩٥]. كما أن أخصَّ من هؤلاء الأشخاصُ الذين شهد لهم ﷺ بالجنة.

---

(١) سورة التوبة الآيات ١٠٠ و١١٧، وسورة الحشر: آية ٨.

(٢) انظر: «صحيح البخاري» (٧/ ٣٠٥) و«صحيح مسلم» (٤/ ١٩٤١).

(٣) رواه مسلم (٤/ ١٩٤٢).

ولهذا قال: **(ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ؛ كالعشرة، وثابت بن قيس بن شمَّاس[1]، وغيرهم من الصحابة).**

وهذا من أعظم الفضائل تخصيص النبي ﷺ لهم بالشهادة والجنة، وهو من جملة براهين رسالته ﷺ، فإن جميع من عينه النبي ﷺ بالشهادة له بالجنة أو لوازمها لم يزالوا مستقيمين على الإيمان حتى وصلوا إلى ما وعدوا به رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[2] وغيره[3] من أن: «خير هذه الأُمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر» ويثلثون بعثمان ويربعون بعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كما دلت عليه الآثار، وكما أجمع الصحابة على تقديم [ق٤٤] عثمان في البيعة).

أي: في الخلافة، خلافة أحد الاثنين لم تكن إلا بعد مشاورة جميع المسلمين على اختلاف طبقاتهم، والقصة مشهورة في كتب التاريخ[4].

(مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ أيهما أفضل؟

فقدّم قومٌ عثمان وسكتوا، وقدّم قومٌ عليًّا، وقومٌ توقَّفوا، لكن استقر أمر

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٤٥٦) ومسلم (١/ ١١٠) عن أنس.

(٢) رواه البخاري (٣٦٧١) عن محمد بن الحنفية.

(٣) انظر: «صحيح البخاري» (٣٦٥٥) عن ابن عمر.

(٤) البداية والنهاية (الجزء ٦).

أهل السنة على تقديم عثمان ثم علي، وإن كانت هذه المسألة (مسألة عثمان وعلي) ليست من الأصول التي يُضَلِّلُ فيها المخالف عند جمهور أهل السنة والجماعة، لكن التي يُضلل فيها المخالف مسألة الخلافة، وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله).

يريد المؤلف رحمه الله أن الخلاف الكائن بين الأمة على وجهين:

أحدهما: الخلاف في الفروع والمسائل الاجتهادية التي إذا اجتهد فيها الحاكم من قاضٍ ومفتٍ ومصنِّفٍ ومعلِّمٍ فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد وأخطأ فله أجر واحد(١).

الوجه الثاني: الخلاف في المسائل الأصولية كمسائل صفات الباري والقدر والإيمان ونحوها، وهذه يضلل فيها المخالف لما دلّ عليه الكتاب والسنة، ولما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

فمسألة الخلافة وتقديم عليٍّ فيها على عثمان، تُعَدُّ من البدع التي من اعتقدها فهو في الغالب متشيع، وقد أزْرى بالمهاجرين والأنصار كما قاله غير واحد من السلف.

وأما التفضيل بينهما فإنها مسألة خفيفة من جنس مسائل الخلاف في المسائل الاجتهادية.

---

(١) كما صح عن النبي ﷺ، عن عمرو بن العاص.
رواه البخاري (٧٣٥٢) ومسلم (١٧١٦).

(ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ، ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية محمد ﷺ، حيث قال يوم غدير خم[1]: «أُذَكِّرُكُمُ الله في أهل بيتي»[2].

وقال أيضًا للعباس عمه وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفون بني هاشم فقال: «والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي»[3]).

فمحبة أهل بيت النبي ﷺ واجبة من وجوه:

منها أولًا: لإسلامهم [ق٤٥] وفضلهم وسوابقهم.

ومنها: لما تميزوا به من قرب النبي ﷺ واتصال نسبه.

ومنها: لما حثّ عليهم ورغّب.

ومنها: لما في ذلك من علامة محبة الرسول ﷺ وقال: «**إن الله اصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشًا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»[4].

فهو ﷺ خيار من خيار من خيار، قد جمع الله له أنواع الشرف من كل وجه.

(وَيَتَوَلَّوْنَ أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين، ويؤمنون بأنَّهنَّ أزواجه في

---

(١) قال السعدي: غَدِيرُ خُمْ: موضع على ثلاثة أميال من الجحفة بين الحرمين ... إلخ. القاموس المحيط (١/ ١٠٤).

(٢) رواه مسلم (٤/ ١٨٧٣) عن زيد بن أرقم.

(٣) رواه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٧٥٦).

(٤) رواه مسلم (٤/ ١٧٨٢).

الآخرة خصوصًا خديجة أم أكثر أولاده).

فإن جميع أولاده الذكور والإناث منها إلا إبراهيم، فإنه من سُرِيَّتِهِ مارية القبطية.

وقوله: (وأول من آمن به وعاضده على أمره، وكان لها منه المنزلة الطيبة، والصِّدِّيقة بنت الصديق التي قال فيها النبي ﷺ: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[1]).

وعائشة وخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هما أفضل نساء النبي ﷺ، واختلف العلماء أيهما أفضل، والتحقيق أن لكل واحدة من الفضل والخصائص ما ليس للأخرى، فلخديجة من السبق ومعاونة النبي ﷺ على أمره في أول أمره وتثبيته، وكون أكثر أولاد النبي ﷺ منها ما ليس لعائشة، ولعائشة من العلم والتعليم ونفع الأمة ما ليس لخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل).

وأول من سَمَّى الروافض بهذا اللقب يزيد بن علي الذي خرج في أوائل دولة بني العباس وبايعه كثير من الشيعة، ولما ناظروه في أبي بكر وعمر وطُلِبَ منه أن يتبرأ منهما فأبى رَحِمَهُ اللَّهُ ذلك؛ تفرقوا عنه فقال: رفضتموني، فمن يؤمئذ قيل لهم: «الرافضة»[2].

---

(١) رواه البخاري (٧/ ١٠٦) ومسلم (٤/ ١٨٩٥).

(٢) البداية والنهاية (الجزء ٧).

وكانوا فرقًا كثيرة، منهم الغالية ومنهم من هم دون ذلك، وفرقهم معروفة.

وأما النواصب فهم الذين نصبوا العداوة [ق٤٦] والأذِيَّة لأهل بيت النبي ﷺ، وكان لهم وجود في صدر هذه الأمة لأسباب وأمور سياسية معروفة، ومن زمان طويل ليس لهم وجود.

ثم قال المصنف: (**ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زِيدَ فيه ونقص وغُيِّرَ عن وجهه، والصحيح منه؛ هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون، وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم.**

وقد ثبت بقول النبي ﷺ أنهم خير القرون[1]، وأن المُدّ مِنْ أحدهم إذا تُصُدِّقَ به كان أفضل من جبل أحد ذهبًا ممن بعدهم)[2].

أي: وهذه الأمور إذا قوبلت بالمساوئ - إن فرض أن هناك مساوئ - اضمحلت المساوئ معها، ولا يقاربهم أحد في شيء من ذلك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

---

(١) رواه البخاري (٥/ ١٩٠) ومسلم (٢٥٣٥) عن عمران بن حصين.

(٢) تقدم تخريجه.

(ثم إذا كان قد صدر عن أحد منهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات تمحوه، أو غُفِرَ له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد ﷺ الذين هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين؛ إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطأوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور؟!

ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليلٌ نَزْرٌ في جنب فضائل القوم ومحاسنهم، من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح.

ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرةٍ وما منَّ الله به عليهم من الفضائل، علم يقينًا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء وأنه لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله).

وهذا الكلام في غاية النفاسة، [ق٤٧] ولا زيادة عليه في التحقيق وإقامة البرهان على كمال فضل الصحابة، ولا يحتاج إلى شرح.

فصل

[كرامات الأولياء]

(ومن أصول أهل السنة والجماعة: التصديقُ بكرامات الأولياء وما يُجْري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات كالمأثور عن سلف الأمة في سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة)[1].

---

(١) الفرق بين المعجزة والكرامة والأحوال الشيطانية الخارقة للعادة على يد السحرة والمشعوذين: أن المعجزة هي ما يُجري الله على أيدي الرسل والأنبياء من خوارق العادات التي يتحدون بها العباد ويختبرون بها ويخبرون بها عن الله لتصديق ما بعثهم به ويؤيدهم بها سبحانه كانشقاق القمر ونزول القرآن، فإن القرآن هو أعظم معجزة لرسولٍ على الإطلاق ولحنين الجذع ونبوع الماء من بين أصابعه [دلائل النبوة للبيهقي]. وغير ذلك من المعجزات الكثيرة.

وأما الكرامة فهي ما يُجري الله على أيدي أوليائه المؤمنين من خوارق العادات؛ كالعلم والقدرة وغير ذلك، كالظُّلة التي وقعت على أسيد بن الحُضير حين قراءته القرآن [رواه مسلم (٧٩٦)]، وكإضاءة النور لعبّاد بن بشر وأسيد بن حضير حين انصرفا من عند النبي ﷺ، فلما افترقا أضاء لكل واحد منهما طرف سوطه [انظر: «صحيح البخاري» (٣٨٠٥)].

وشرط كونها كرامة أن يكون من جرت على يده هذه الكرامة مستقيمًا على الإيمان ومتابعة الشريعة فإن كان خلاف ذلك فالجاري على يده من الخوارق يكون من الأحوال الشيطانية.

=

تـواترت نـصوص الكتـاب والـسنة والوقـائع قـديمًا وحـديثًا في وقـوع كرامات الله لأوليائه التابعين لأنبيائهم.

وكراماتهم في الحقيقة تفيد ثلاث قضايا:

أعظمها: الدلالة على كمال قدرة الله ونفوذ مشيئته، وأنه كـما أن لله سُـنَنًا وأسبابًا تقتضي مسبباتها الموضوعة لها شرعًا وقدرًا فإن لله أيضًا سننًا أخرى لا يقع عليها علم البشر ولا تدركها أعمالهم وأسبابهم.

فمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، بل وأيـام الله وعقوباتـه في أعدائـه الخارقة للعادة كلها تدل دلالة واضحة أن الأمر كله لله والتدبير والتقدير كلـه

=

ثم ليعلم أن عدم حصول الكرامة لـبعض المـسلمين لا يـدل عـلى نقـص إيمانهـم لأن الكرامة إنما تقع لأسباب:

منها: تقوية إيمان العبد وتثبيته، ولهذا لم ير كثير من الصحابة شيئًا من الكرامات لقوة إيمانهم وكمال يقينهم.

ومنها: إقامة الحجة على العـدو كـما حـصل لخالـد لمـا أكـل الـسم وكـان قـد حـاصر حصنًا فامتنعوا عليه حتى يأكله فأكلـه وفتح الحـصن [أورده الهيثمي في «المجمـع» (٩/ ٣٥٠) وقال: «رواه أبو يعلى والطبراني بنحـوه، وأحـد إسـنادي الطـبراني رجالـه رجـال الـصحيح، وهـو مرسـل، ورجـالهما ثقـات إلا أن أبـا الـسفر وأبـا بـردة بـن أبي موسى لم يسمعا من خالد، والله أعلم»]، ومثل ذلك ما جـرى لأبي مـسلم الخـولاني لمـا ألقـاه الأسـود العنسي في النـار فأنجـاه الله مـن ذلـك لحاجتـه إلى تلـك الكرامـة، وكقصة أم أيمـن لمـا خرجـت مهـاجرة واشـتد بهـا العطـش سـمعت حسًّا مـن فوقهـا فرفعت رأسها فإذا هي بدلو من ماء فشربت منها ثم رُفعت [انظرإلى الإصابة].

وقد تكون الكرامة ابتلاء فيسعد بها قوم ويشقى بها آخرون وقد يسعد بها صـاحبها إن شكر وقد يهلك إن أعجب ولم يستقم. (ز)

لله، وأن لله سننًا لا يعلمها بشر ولا ملك، فمن ذلك قصة أصحاب الكهف والنوم الذي أوقعه الله بهم تلك المدة العظيمة وقَيَّضَ أسبابًا متنوعة لحفظ دينهم وأبدانهم كما ذكره الله في قصتهم.

ومنها ما أكرم الله به مريم بنت عمران وأنه ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

وكذلك حملها وولادتها بعيسى على ذلك الوصف الذي ذكر الله، وكلامه في المهد هذا فيه أنه كرامة لمريم ومعجزة لعيسى ﷺ.

وهبته تعالى الولد لإبراهيم من سارة وهي عجوز عقيم على كبره، كما وهب لزكريا يحيى على كبره وعُقْمِ زوجته، معجزةً للنَّبِيِّ وكرامةً لزوجته.

وقد أطال المؤلف النفس وبسط الكلام في هذه [ق٤٨] في كتابه: «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» وذكر قصصًا كثيرة متواترة دالة على هذا.

القضية الثانية: أن وقوع الكرامات لأولياء الله هي في الحقيقة معجزات للأنبياء؛ لأن تلك الكرامات لم تحصل لهم إلا ببركة متابعة نبيهم الذي نالوا به خيرًا كثيرًا من جملتها الكرامات.

القضية الثالثة: أن الكرامات لأولياء الله هي من البشرى المعجلة لهم في الحياة الدنيا كما قال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [يونس: ٦٣]، وهي: كُلُّ أَمْرٍ يدلُّ على ولايتهم وحسن عاقبتهم، ومن ذلك الكرامات، ولم

تزل الكرامات موجودة لم تنقطع في كل وقت وزمان، وقد رأى الناس منها عجائب وأمورًا كثيرة، ولم ينكرها إلا زنادقة الفلاسفة وليس غريبًا عليهم، فإنه فرع عن جحودهم وإنكارهم لرب العالمين وقضائه وقدره.

وقد أيضًا أنكرها طائفة من أهل الكلام المذموم؛ ظنًا منهم أن في إثباتها إبطالًا لمعجزات الأنبياء، وهذا وهم باطل أبطله المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب «النبوات» وغيره من كتبه.

فأهل السنة والجماعة يعترفون بكرامات الله لأوليائه إجمالًا وتفصيلاً، ويثبتون ذلك على وجه التفصيل وكلما ورد عن المعصوم، وكلما تحقق وقوعه.

ولكن قد أدخل كثير من الناس بالكرامات أمورًا كثيرة اخترعوها وافتروها.

وأهل السنة أبعد الناس عن التصديق بالخرافات والكذب المُفْتَرى، وأعرفهم بالطرق التي يتبين بها كذب الكاذبين وافتراء المفترين.

فصل

[أهل السنة]

(ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار[1] رسول الله ظاهرًا

---

(١) مراد المصنف بذلك اتباع ما أُثر عن النبي ﷺ من قول أو عمل أو تقرير وذلك هو اتباع السنة والتمسك بها.
وأوجه السنة ثلاثة: قول وعمل وتقرير.
وأما آثاره الحسية كموضع جلوسه وما هو عليه وما وطئه بقدمه الشريفة أو استند إليه أو اضطجع عليه ونحو ذلك فلا يشرع اتباعه في ذلك. بل تَتَبُّعُ هذه الآثار من وسائل الغلو فيه.
وقد أنكر بعض أعيان الصحابة على ابن عمر ذلك، وقطع عمر الشجرة التي بويع النبي تحتها لما علم أن الناس يقصدونها خوفًا من الفتنة، ولما بلغه أن ناسًا يقصدون مسجدًا صلى فيه النبي ﷺ في الطريق أنكر وقال ما معناه: إنما أهلك من كان قبلكم مثل هذا، كانوا يتتبعون آثار أنبياهم، فمن أدركته الصلاة في شيء من هذه المساجد فليصل ومن لا فليمض ولا يقصدها» [رواه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (ص ٤١- ٤٢)].
وأما ما صلى فيه صلوات التشريع فالصلاة فيه مشروعة كمسجده ﷺ والكعبة ومسجد قباء والموضع الذي صلى فيه في بيت عثمان كما طَلَبَ منه ذلك ليتخذه مصلى فأجابه ﷺ على ذلك [رواه البخاري (٤٢٥) ومسلم (رقم: ٣٣)] وهكذا التبرك بشعره ﷺ وريقه وعرقه وما ماس جسده فكله لا بأس به، لأن السنة قد صحت بذلك، وقد قسم ﷺ في حجة الوداع بين الناس شعر رأسه [رواه أحمد (٤/ ١٢٦)] لما قد جعل الله فيه من البركة، وليس هذا من الغلو الممنوع، وإنما الغلو الممنوع هو أن يعتقد فيه ﷺ ما لا يجوز أو يصرف له شيئًا من العبادة وأما التبرك بغيره ﷺ =

وباطنًا، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار واتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإنَّ كل بدعة ضلالة»(١).

ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، [ويؤثرون كلام الله على غيره من كلام أصناف الناس]، [ق٤٩] ويقدّمون هديه ﷺ على هدي كل أحد، ولهذا سُموا «أهل الكتاب والسنة»، وسموا «أهل السنة والجماعة»؛ [لأن الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة، وإن كان لفظ «الجماعة» قد صار اسمًا لنفس المجتمعين.

والإجماع هو الأصل الثالث الذي يُعتمد عليه في العلم والدين]، فَيَزِنُونَ بهذه الأصول جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال ظاهرة وباطنة

=

فالصحيح منعه لأمرين:

أحدهما: أن غيره لا يقاس به لما جعل الله فيه من الخير والبركة بخلاف غيره فلا يتحقق فيه ذلك.

الأمر الثاني: أن ذلك ربما يوقع في الغلو وأنواع الشرك، فوجب سد الذرائع بالمنع من ذلك وإنما جاز في حق النبي لمجيء النص به.

وهناك **أمر ثالث** أيضًا: وهو أن الصحابة لم يفعلوا مثل ذلك مع غير النبي ﷺ لا مع الصديق ولا مع عمر ولا مع غيرهما، ولو كان ذلك سائغًا أو قربة لسبقونا إليه ولم يجمعوا على تركه، فلما تركوه علم أن الحق ترك ذلك وعدم إلحاق غير النبي به في ذلك. (ز)

(١) رواه مسلم (١٣٠٥) (٣٢٤).

مما له تَعَلُّقٌ بالدين.

والإجماع هو الأصل الرابع: والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمةُ).

لما ذكر طريقة أهل السنة في مسائل الأصول المعينة ذكر طريقهم الكلي في أخذ دينهم: أصوله وفروعه، وأنهم سلكوا في ذلك الصراط المستقيم والعصمة النافعة (الكتاب والسنة) واتبعوا أعظم الناس معرفة وعلمًا واتباعًا للكتاب والسنة وهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عمومًا والخلفاء الراشدون خصوصًا، فسلكوا إلى الله، مستصحبين لهذه الأصول الجليلة.

وما جاءهم مما قاله الناس وذهبوا إليه من المقالات وَزَنُوهُ بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة والقرون المفضلة، فاستقامت طريقهم، وسلموا من بدع الأقوال المخالفة لما عليه الرسول وأصحابه في الاعتقادات، كما سلموا من بدع الأعمال، إذ لم يتعبدوا ولم يشرعوا إلا ما شرعه الله ورسوله.

فصل

[قضايا كلية]

(ثم هم مع هذه الأصول يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة).

أي: باليد ثم باللسان ثم بالقلب، تبع القدرة والمصلحة، ويسلكون أقرب طريق يحصل به المقصود بالرفق والسهولة، متقربين بنصيحة الخلق إلى الله، قاصدين نفع الخلق وإيصالهم إلى كل خير، وكفّهم عن كل شرّ، ساعين في ذلك بحسب وسعهم.

(ويرون إقامة الحج والجهاد والجُمع [والأعياد] مع الأمراء أبرارًا كانوا أو فجارًا).

وذلك لأن غرضهم الوحيد تحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد أو تقليلها، فلا يمتنعون من إعانة الظالم على الخير وترغيبهم فيه قولاً وفعلًا فيشاركون الولاة الظلمة في الخير ويفارقونهم في الشر.

(ويحرصون على الاتفاق وينهون عن الافتراق، [ق٥٠] **ويحافظون على الجماعات، ويدينون بالنصيحة للأمة.**

ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»[1] وشبَّك بين أصابعه.

---

(١) رواه البخاري (٥/ ٩٩) ومسلم (٤/ ١٩٩٩).

وقوله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له الجسد بالحمى والسهر»[1].

ويأمرون بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضى بِمرِّ القضاء.

ويَدْعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا»[2].

ويندبون إلى أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك[3]، وتعفو عن من ظلمك.

ويأمرون ببر الوالدين، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل، والرفق بالمملوك، وينهون عن الفخر والخيلاء، والبغي والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق، ويأمرون بمعالي الأخلاق وينهون عن سفاسفها[4].

وكل ما يقولونه ويفعلونه من هذا وغيره فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة، وطريقهم هي دين الإسلام الذي بعث الله به محمدًا ﷺ، لكن لما أخبر النبي ﷺ أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا

---

(١) رواه البخاري (١٠/ ٤٣٨) ومسلم (٤/ ١٩٩٩).

(٢) رواه الترمذي (١١٧٢) وأبو داود (٤٦٨٢) وأحمد (٢/ ٢٥٠، ٤٧٠) والحاكم (١/ ٣).

(٣) رواه الحاكم (١/ ٤٨).

(٤) رواه الحاكم.

واحدة وهي الجماعة، وفي لفظ أنه قال: «هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[1] صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة، وفيهم الصدّيقون والشهداء، ومنهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى، أولو المناقب المأثورة، والفضائل المذكورة، وفيهم الأبدال، وفيهم أئمة الدين الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم وخالفهم إلى يوم القيامة» فنسأل الله أن يجعلنا منهم وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ويهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب). تمت

وهذا كلامٌ جامعٌ واضحٌ، نادرٌ جمعه في موضع واحد، لا يحتاج إلى شرح وإيضاح.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وسلم.

قال ذلك وكتبه معلقه: عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين.

وتم الفراغ منه في ٨ جمادى الأول ١٣٦٩هـ. والحمد لله على نعمه الظاهرة والباطنة.

(١) رواه الحاكم.

الدُّرَّةُ البَهيّة
شرح القصيدة التَّائِيَّـــــــة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أرجو بها النجاة يوم العرض على الله، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، المصطفى من بريته المبعوث رحمة للعالمين وحجة على من بعث فيهم إلى يوم الدين، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته وتابعيهم أجمعين.

أما بعد؛ فإن شرح القصيدة التائية في القدر لشيخ الإسلام ابن تيمية، قد شرحها شيخنا العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي في آخر حياته وطبعت بعد وفاته، ومع الأسف أنها طبعة محرفة مغلوطة، حيث حرفها الذي علّق عليها مع أنه باعترافه أنه مشروط عليه عدم التعليق.

ولكنه خان الأمانة وأبى إلا أن يتمم مراده في التعليق، ويا ليته تعليق صحيح!! ولكنه بالعكس ويا للأسف. ثم الطبعات التي بعدها جرت على منواله وتحريفه مع أن موضوعها من أهم المهمات، ونؤمل إن شاء الله أن تكون هذه الطبعة من أصح الطبعات وأوضحها وأحسنها حرفًا وورقًا بعون الله وتوفيقه؛ حيث إن الموضوع مهم جدًا ويحتاج إلى عناية في التصحيح والمراجعة، وقد عنيت بهذه الرسالة وصححت ما في بعض الآيات من الخطأ وعزوتها إلى محلاتها في كتاب الله، كما عزوت بعض الأحاديث إلى مخرجيها.

ومن الله نرجو العون والتوفيق إنه نعم المولى ونعم النصير.

وهذه الرسالة سهلة المأخذ واضحة المعنى، وهي من أوضح ما كُتب في القضاء والقدر نظمًا وشرحًا مع الأمثلة التي ختم بها الشارح فصارت دُرّة كاسمها، فرحم الله مؤلفيها وجزاهما عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ورفع درجاتهما في عليين، وصلى الله وسلم على خير خلقه المصطفى من بريته نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

كتبه الفقير إلى الله في كل الأحوال

محمد بن سليمان بن عبد العزيز آل بسام

أصل صورة مصورة

كتاب الدرة البهية شرح القصيدة التائية العلامة المجدد عبد الرحمن بن ناصر السعدي

(١) بسم الله الرحمن الرحيم عدد الصفحات من ١١ إلى ٣٤ دون الصوان المقصود

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله الملك المبين وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سيد المرسلين

اللهم صل وسلم على محمد وعلى آله وصحبه وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين — أما بعد

فقد طلب مني بعض الإخوان إملاء شرح لمنظومة التائية في القدر لشيخ الإسلام والمسلمين

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية لما فيها من التحقيق العظيم في مسألة القضاء والقدر

ولما انتهاها وصعوبة فهمها واحتياجها إلى شرح متوسط يوضحها ويكشف عن معانيها

ويكون المقام والموضع مقاما مهما جدا والحاجة بالضرورة داعية إلى علمه والتحقق

به معرفة واعتقادا ولهذا النظم قد أتى فيه شيخ بالعجب العجاب وبين الحق الصريح

وكشف المشكوك والشبهات التي طالما خالطت قلوب أذكياء العلماء وحيرت كثيرا من أهل

العلم والفضل فأجبت هذا السائل لما طلبه وأرجو الله وأسأله أن يعين على تحقيقه

وتوضيحه فإن التوضيح والبيان خصوصا في هذا المقام أولى من الاختصار وذكر الشواهد

والأمثلة واضحة أولى من الاقتصار وأسأله تعالى أن يجعل الداعي إليه إرادة وجهه الكريم

وإرادة النفع للمشتغلين به — والشيخ رحمه الله وقدس روحه نظمها جوابا بالسؤال

أورده عليه مدعيا أنه ذمي ليشبه على المسلمين وليشككهم في أصول الدين فإن الإيمان

بالقضاء والقدر أحد أصول الإسلام وأركانه العظام وهذا نص السؤال

أيا علماء الدين ذمي دينكم ... تحيروا فوه بأوضح حجة

إذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم ... ولم يرضه مني فأوجه حيلتي

دعاني وسد الباب دوني فهل إلى ... دخولي سبيل يبتغى لي قضيتي

قضى بضلالي ثم قال ارض بالقضا ... فهل أنا راض بالذي فيه شقوتي

فإن كنت بالمقضي يا قوم راضيا ... فربي لا يرضى بشؤم بليتي

وهل لي رضى ما لا يرضاه سيدي ... فقد حرت دلوني على كشف حيرتي

إذا شاء ربي الكفر مني مشيئة ... فهل أنا عاص باتباع المشيئة

وهل لي اختيار إذا خالف حكمه ... فبالله فاشفوا بالبراهين غلتي

هذا هو السؤال المذكور وحاصله أنه أيراد على مذهب الجبرية القائلين

إن العبد مجبور مقهور على جميع أقواله وأفعاله وأنه لا قدرة له على شيء

صورة البرهة تتمة التائية بخط السعدي

صورة كتاب الشيخ السعدي

صورة مالين

(٣٠) اخر جنا كم من الارض الى عنيزة ومن الايات وكل هذه الامور تابعة لقضاء الله وقدره
فان الله تعالى قدر الامور باسبابها فالاسباب والمسببات ما قضاء الله وقدره ولهذا
لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ارأيت ادوية نتداوى بها وتقاة نتقيها
وارقى نسترقيها هل ترد من قضاء الله وقدره شيئا فقال هي من قضاء الله وقدره
وكذلك الدعية المشروعة سبب كبير لحصول المطلوب والسلامة من المرهوب وقد امر الله بالدعا
ووعد بالاجابة والدعاء نفسه والاجابة كلها داخلة في القضاء والقدر وقد جمع النبي
صلى الله عليه وسلم الامر بالعمل بكل سبب نافع مع الاستعانة بالله كما ثبت في صحيح مسلم وغيره
احرص على ما ينفعك واستعن بالله فهذا امر بالحرص على الاسباب النافعة في الدين
والدنيا مع الاستعانة بالله لا بحوله والاستعانة كما ان الانحراف عن احد امرين بلا نهاية
ان لا يحرص على الامور حرصا فقط بل يكسل عنها وربما اشتغل ببضد لها او يشتغل بها ولكنه يتكل على حوله
وقوته وينظر الى الاسباب ويتعلق جميع قلبه به وينقطع عن مسببها او لا يشتغل بالاسباب
النافعة ويزعم انه متوكل على الله فان التوكل لا يكون الا بعد العمل بالاسباب فهذا الحد الذي
بين به النبي ﷺ الطرق النافعة للعباد ولنقتصر على هذا فانه يحصل به المقصود والله اعلم
وصلى الله على محمد وسلم قال ذلك وكتبه عبد الرحمن ناصر السعدي عفا الله عنه ولوالديه وجميع المسلمين
وافق الفراغ منه في ٣ من شهر اول سنة ١٣٧٦ هـ

الورقة الأخيرة من الدرة البهية

بخط السعدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أنه الإله الحق الملك المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله سيد المرسلين، اللهم صل وسلم على محمد وعلى آله وصحبه، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فقد طلب مني بعض الإخوان أن أشرح المنظومة التائية في القدر لشيخ الإسلام والمسلمين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، لما فيها من التحقيق العظيم في مسألة القضاء والقدر، ولمتانتها وصعوبة فهمها واحتياجها إلى شرح متوسط يوضحها، ويكشف عن معانيها، ولكون المقام والموضوع مقامًا مهمًا جدًا، والحاجة بل الضرورة داعية إلى علمه والتحقق به معرفة واعتقادًا.

وهذا النظم قد أتى فيه الشيخ بالعجب العجاب، وبيّن الحق الصريح، وكشف الشكوك والشبهات التي طالما خالطت قلوب أذكياء العلماء، وحيرت كثيرًا من أهل العلم والفضلاء. فأجبت هذا السائل لما طلبه، وأرجو الله وأسأله أن يعين على تحقيقه وتوضيحه، فإن التوضيح والبيان خصوصًا في هذا المقام أولى من الاختصار، وذكر الشواهد والأمثلة الموضحة أولى من الاقتصار، وأسأله تعالى أن يجعل الداعي إليه إرادة وجهه الكريم وإرادة النفع للمشتغلين به.

والشيخ رحمه الله وقدس روحه نظمها جوابًا لسؤال أورده عليه من قال إنه ذمي ليشبه على المسلمين وليشككهم في أصول الدين، فإن الإيمان بالقضاء والقدر أحد أصول الإسلام ومبانيه العظام.

وهذا نص السؤال:

أيـا علـماء الـدين ذمـي ديـنكم ... تحـير دلـوه بأوضـح حجـة
إذا مـا قـضى ربي بكفـري بـزعمكم ... ولم يرضـه منـي فـما وجـه حيلتـي
دعـاني وسـد البـاب دوني فهـل إلى ... دخـولي سـبيل بيّنـوا لي قـضيتي
قضى بضلالي ثم قال: ارض بالقضا ... فهـل أنـا راض بالـذي فيـه شـقوتي
فـإن كنـت بالمقـضي يـا قـوم راضيًا ... فـربي لا يـرضى بـشؤم بليتـي
وهل لي رضا ما ليس يرضاه سيدي ... فقد حرت دلوني على كشف حيرتي
إذا شـاء ربي الكفـر منـي مـشيئة ... فهـل أنـا عـاص باتبـاع المـشيئة
وهـل لي اختيـار أن أخـالف حكمـه ... فبـالله فاشـفوا بـالبراهين غلتـي

هـذا آخـر الـسؤال المـذكور، وحاصـله أنـه إيـراد عـلى مـذهب الجبريـة القائلين إن العبد مجبور مقهور على جميع أقوالـه وأفعالـه، وأنـه لا قـدرة لـه على شيء منها، بل هي عندهم واقعة بغير اختياره، وهذا القول باطل بالكتاب والسنة وباطل بالعقل والحس، كما يأتي إن شاء الله بيانه.

وجميع المسلمين من جميع الطوائف من أهل السنة وغيرهم ينكرون هذا المذهب ويتبرؤون منه، فيقول هذا المشبه على المسلمين المشكك لهم بانيًا عـلى مـذهب الجبريـة الـذي يتـبرؤ منـه جميـع الطوائـف سـوى غـلاة الجهمية من الجبرية، يقول: إذا كان الله قـضى عـلي بـالكفر وقـدر عـلي أن لا أكون مسلمًا أو قدر علي المعاصي، وأن لا أكون طائعًا فكيـف لي الخـلاص من الكفر والمعاصي وكيف أتمكـن مـن الإيـمان والطاعـة بعـدما قـضى عـلي الكفـر والمعـصية؟ فهـل أكـون معـذورًا إذا تجـرأت عـلى الكفـر والفـسوق والعصيان، وأنـا لا حيلـة لي في الانفكـاك عنهـا؟ وكيـف أجمـع بـين الـرضى

بالقضا وبين الرضى بالمقضي من الكفر والمعاصي فإن الله لا يرضى بالكفر والفسوق والعصيان، فكيف قدرها علي، وهو لا يرضاها؟ هذا حاصل هذا السؤال.

وجواب هذا السؤال على وجه الإجمال بسيط ولله الحمد، فإنه لا يرد على مذهب جمهور طوائف المسلمين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأئمة الهدى المشهود لهم بالعلم والإيمان، بل ولا على مذهب المعتزلة والقدرية والخوارج وغيرهم من أهل البدع؛ فإن الجميع يقولون بما جاء به الكتاب والسنة من إثبات الأصلين:

أحدهما: الاعتراف بأن جميع الأشياء كلها أعيانها وأوصافها وأفعالها بقضاء وقدر لا تخرج عن مشيئة الله وإرادته، بل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

الأصل الثاني: أن أفعال العباد من الطاعات والمعاصي وغيرها واقعة بإرادتهم وقدرتهم، وأنهم لم يجبروا عليها، بل هم الذين فعلوها بما خلق الله لهم من القدرة والإرادة، ويقولون: لا منافاة بين الأمرين، فالحوادث كلها التي من جملتها أفعال العباد، بمشيئة الله وإرادته، والعباد هم الفاعلون لأفعالهم المختارون لها، فهم الذين اختاروا فعل الخيرات وفعلوها، واختاروا ترك المعاصي فتركوها، والآخرون اختاروا فعل المعاصي وفعلوها، واختاروا ترك الأوامر فتركوها، فاستحق الأولون المدح والثواب واستحق الآخرون الذم والعقاب، ولم يجبر الله أحدًا منهم على خلاف مراده واختياره، فلا عذر للعاصين إذا عصوا، وقالوا: إن الله قدرها علينا فلنا

بذلك العذر. فيقال لهم: إن الله قد أعطاكم المِكْنَة[1] والقدرة على كل ما تريدون، وأنتم بزيغكم وانحرافكم أردتم الشر ففعلتموه والله قد حذركم وهيأ لكم كل سبب يصرف عن معاصيه وأراكم سبيل الرشد فتركتموه وسبيل الغي فسلكتموه.

وإذا أردت زيادة إيضاح لهذا المقام فإنه من المعلوم لكل أحد أن كل فعل يفعله العبد وكل كلام يتكلم به فلابد فيه من أمرين: قدرة منه على ذلك الفعل، والقول وإرادة منه، فمتى اجتمعا وجدت منه الأقوال والأفعال.

والله تعالى هو الذي خلق قدرة العبد وإرادة العبد، وخالق السبب التام خالق للمسبب، فالله تعالى خالق أفعال العباد والعباد هم الفاعلون لها حقيقة، فهذا الإيراد الذي أورده هذا المشكك وما أشبهه من الإيرادات التي يحتج بها أهل المعاصي بالقدر يجيبونهم بهذا الجواب المفحم، فيقولون: دلت أدلة الكتاب والسنة الكثيرة على أن الله خالق كل شيء وعلى كل شيء قدير، وأن كل شيء بقضاء وقدر، الأعيان والأوصاف والأفعال.

ودلت أيضًا أدلة الكتاب والسنة أن العباد هم الفاعلون لفعلهم حقيقة بقدرتهم واختيارهم؛ فإنه تعالى نسب إليهم وأضاف إليهم كل ما فعلوه من إيمان وكفر وطاعة ومعصية، وأنه تعالى مكنهم من هذا ومن هذا، ولكنه تعالى حبب إلى المؤمنين الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وولى الآخرين ما تولوا لأنفسهم حيث اختاروا الشر

---

(١) قوله: «المكنة» هو بكسر الميم وسكون الكاف كما قال ابن مالك في الألفية، وفِعْلة لهيئة كجِلْسَة لا كما قال المعلق على المصباح.

على الخير، وأسباب العقاب على أسباب الثواب، وهذا كما أنه معلوم بالضرورة من الشرع فهو معلوم بالحس الذي لا يمكن أحد المكابرة فيه فإن العبد يفرق بين أفعاله التي يقسر ويجبر ويقهر عليها، وبين أفعاله التي يختارها ويريدها ويحب حصولها، فهذا الجواب المجمل.

وأما الجواب المفصل فقد ذكره الشيخ قدس الله روحه، فقال:

فصل

سـؤالك يـا هـذا سـؤال معانـد ... مخاصم رب العرش باري البرية
فهـذا سـؤال خاصـم المـلأ العُـلَى ... قـديمًا بـه إبلـيس أصـل البليـة
ومن يك خصمًا للمهيمن يرجعن ... عـلى أم رأسٍ هاويًـا في الحفـيرة

بيّن الشيخ في أول الجواب أن هذا السؤال والإيراد إنما صدر عن رجل معاند مكابر مخاصم لله، فإن هذا السؤال في الحقيقة موجَّه إلى الله، والسائل قد أورده على ربه، واعترض عليه وزعم أن الله ظالم له، حيث قدر عليه الكفر والمعاصي وعذبه عليه، وكل من عاند الله فحجته داحضة باطلة وهو مخصوم محجوج، وهذا السؤال من جنس سؤال إبليس حيث قال: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦]، فقال: فبما أغويتني، ولم يقل: غويت، وإبليس هو الذي غوى واستكبر عن أمر ربه حيث أمره بالسجود لآدم فقال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦١ - ٦٢]، فإبليس خاصم الله وباداه بالمعصية واستكبر عن أمره واستكبر على آدم.

فكل من خاصم عن نفسه أو عن غيره في معصية الله فهو وارث إبليس وعنه أخذ هذه الخصومة، فكل من خاصم الحق فُلِجَ وخصم كما أن كل من خاصم بالحق فَلَجَ وغلب. ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، فكل من نصر الباطل فهو من خصوم الله. ولكن أصناف القدرية الثلاثة هم أحق الناس بهذا الوصف.

فلهذا قال الشيخ:

وتدعي خصوم الله يوم معادهم إلى النار طُـرًا فرقة[1] القدرية
سواء نفوه أو سعوا ليخاصموا به الله أو ماروا به للشريعة

يشير الشيخ إلى ما رواه ابن ماجه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «**من تكلم في شيء من القدر سئل عنه يوم القيامة**»، أي سؤال تقريع وتوبيخ، وهو كما ذكر الشيخ يشمل طوائف القدرية الثلاث: القدرية النفاة، والقدرية المجبرة، والقدرية المشركين، فكل الطوائف الثلاث خاضوا في القدر خوضًا منحرفًا، وبعضهم أغلظ من بعض، وكلهم عن الصراط ناكبون.

فأما القدرية النفاة فهم الذين يطلق أكثر العلماء عليهم اسم القدرية، وهم الذين ورد فيهم الحديث الذي في السنن[2] إن مجوس هذه الأمة المكذبون بأقدار الله، وأكثر المعتزلة على هذا المذهب الباطل، وحقيقة مذهبهم أنهم يقولون: إن أفعال العباد وطاعاتهم ومعاصيهم لم تدخل تحت قضاء الله وقدره، فأثبتوا قدرة الله على أعيان المخلوقات وأوصافها ونفوا قدرته على أفعال المكلفين، وقالوا: إن الله لم يردها ولم يشأها منهم، بل هم الذين أرادوها وشاءوها وفعلوها استقلالًا بدون مشيئة الله، ويزعمون أنهم بهذا القول ينزهون الله عن الظلم لأنه لو قدر المعاصي عليهم ثم عذبهم

(١) وفي نسخة: معشر.

(٢) في سنن ابن ماجه من طريق جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

عليها لكان ظالمًا لهم، وللزم من إثبات قدرة الله على أفعالهم الجبر الذي هو باطل بالشرع والعقل كما تقدمت الإشارة إليه، ولكنهم بهذا القول الباطل ردوا نصوصًا كثيرة من الكتاب والسنة تثبت وتصرح أن جميع أعمال العباد من خير وشر وطاعة ومعصية بقضاء الله وقدره، كما أجمع المسلمون أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

وسُمُّوا مجوس هذه الأمة لأنهم أشبهوا المجوس الذين أثبتوا خالقًا للخير وهو الله، وخالقًا للشر وهو إبليس على زعم المجوس، وهؤلاء القدرية أثبتوا أن الله خالق للعباد لأعيانهم وأوصافهم ولم يثبتوا أنه خالق لأفعالهم، فأخرجوا أفعال العباد عن قدر الله ولم يهتدوا إلى ما اهتدى إليه أهل السنة من أن الله كما أنه الذي خلقهم وخلق ما به يفعلون من قدرتهم وإرادتهم، ثم فعلوا الأفعال المتنوعة من طاعة ومعصية بقدرتهم وإرادتهم التي خلقها الله باتفاق المسلمين، حتى هؤلاء القدرية يثبتون أن قدرة العباد وإرادتهم مخلوقة لله، وحيث وقعت أفعال العباد بقدرتهم وإرادتهم اللتين خلقهما الله في العبد ليتمكن بهما من كل ما يريده من أقواله وأفعاله، وخالق السبب التام خالق للمسبب.

فالعبد المؤمن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق ويحج ويعمل أعمال البر بما مكنه الله وأعطاه من قدرة وإرادة يتمكن بها من أفعال الخير، والعبد الكافر أو الفاجر هو الذي يشرك ويقتل ويزني ويسرق ويعمل أجناس المعاصي بما مكنه الله به وأعطاه من قدرة وإرادة، يفعل بها تلك الأفعال، والقدرة والإرادة اللتان أعطاهما الله للعبد هما خير ونعمة وفضل من الله، لكن العبد العاصي هو الذي وجَّه قواه وأفعاله إلى أعمال الشر فلم يكن له

على الله حجة، بل لله عليه الحجة البالغة، نهج الله له طريق الخير فأباه، وسلك بنفسه طريق الشر وارتضاه، فلا يلومَنَّ بعد ذلك إلا نفسه.

فمن احتج مع ذلك على ربه وقال: إنه قدر عليَّ المعاصي فلا لوم عليَّ، قيل له: هذه حجة أبطلها الله في كتابه حيث قال: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٨- ١٤٩] فتضمنت هاتان الآيتان أن الاحتجاج بالقدر على المعاصي باطل من وجوه: منها أن هذا هو احتجاج المشركين، ومنها أن هذا الاحتجاج بالقدر على الشر لم يمنعهم من عذاب الله، حيث قال: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨].

ومنها أن الله وبخهم على ذلك وطالبهم بالبرهان في قوله: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ﴾ [الأنعام: ١٤٨] فنفى عنهم العلم وأخبر أنهم يتبعون الظن الذي لا يغني عن الحق شيئًا.

ومنها أنه أخبر أن له الحجة البالغة على جميع من تجرأ على معاصيه، فمن احتج بالقدر على المعاصي فهو من أظلم الظالمين، وأيضًا فهذا المحتج بالقدر المقيم لعذر نفسه على ربه هو يكذب نفسه بنفسه، فإنه لو تجرأ عليه أحد بتعدٍّ على ماله أو بدنه أو محبوباته، واعتذر بالقدر لم يقبل عذره، فكيف يقبل عذر نفسه على تجريه على ربه؟! فالمحتج بالقدر على المعاصي يكذبه الكتاب والسنة والعقل، وضميره يكذبه كما ذكرنا، وإنما

يقصد باحتجاجه دفع الشنعة عن نفسه.

وكانـت طائفـة القـدر في أول أمـرهم ينكـرون العلـم وينكـرون القـدر فيقولون: إن الله لا يعلم أعمال العباد قبل أن يعملوها ولا تعلقت بها مشيئة الله، فلما شنع عليهم المسلمون وكفروهم بذلك تحللوا عن قولهم الأول، فأثبتوا العلم وأنكروا القدر.

ولهذا كان الأئمة كالإمام أحمد وغيره يقولون: ناظروا القدرية بالعلم، فإن أنكروا العلم كفروا وإن اعترفوا به خصموا، يعني أن القدرية النافين لعلم الله بأفعال عباده جاحدون لنصوص الكتاب والسنة المصرحة بإحاطة علم الله بما كان وما يكون من أعيان وأوصاف وأفعال مما دق وجل، فمن أنكر ذلك فقد كذب الكتاب والسنة صريحًا، وذلك هو الكفر، وإن اعترفوا بإحاطة علم الله بكل شيء وبأفعال العباد قبل وقوعها كما هو القول الذي استقر عليه مذهبهم خصموا، ووجه ذلك أنهم يقولون إن أفعالهم لا تتعلق بها مشيئة الله وإرادته وإنما هم مستقلون بها من كل وجه إذا كان هذا قولهم في مشيئة الله مع قولهم إن الله يعلم أعمال العباد قبل أن يعملوها، فهذا تناقض محض، كيف يعلمها وهو لم يقدرها ولم يردها؟! هذا محال ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

فيلزمهم أحد أمرين: إما أن لا يتناقضوا فينفوا الأمرين: علم الله بأفعالهم ومشيئته لها فيتضح كفرهم، وإما أن يرجعوا إلى الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه المسلمون وهو أنه كما أنه بكل شيء عليم وبكل شيء محيط فإنه على كل شيء قدير، ومن جملة الأشياء أفعال العباد وطاعاتهم

ومعاصيهم، فهو تعالى يعلمها إجمالًا وتفصيلاً قبل أن يعملوها، وأعمالهم وأفعالهم داخلة تحت مشيئة الله وإرادته، فقد شاءها منهم وأرادها ولم يجبرهم لا على الطاعات ولا على المعاصي، بل هم الذين فعلوها باختيارهم كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨- ٢٩].

فهذه الآية فيها رد على القدرية النفاة وعلى القدرية المجبرة وإثبات للحق الذي عليه أهل السنة والجماعة، فقوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨] فأثبت لهم مشيئة حقيقية وفعلاً حقيقيًا، وهو الاستقامة باختيارهم، فهذا رد على الجبرية، وقوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩] أخبر أن مشيئتهم تابعة لمشيئة الله، وأنها لا توجد بدونها، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ففيها رد على القدرية القائلين إن مشيئة العباد مستقلة ليست تابعة لمشيئة الله، بل عندهم يشاء العباد ويفعلون ما لا يشاؤه الله ولا يُقَدِّره.

ودلت الآية على الحق الواضح وهو أن العباد هم الذين يعملون الطاعات والمعاصي حقيقة، ليسوا مجبورين عليها، وإنها مع ذلك تابعة لمشيئة الله كما تقدم كيفية وجه ذلك. والآيات الدالات على هذا كثيرة جدًا، فهذه إحدى الطوائف الثلاث المخاصمين لله، فإنهم أنكروا عموم مشيئته وقدره، وجحدوا ما قرره الله في كتابه وعلى لسان رسوله من شمول قدره لكل شيء، فزعموا أن أفعال العباد خارجة من هذا العموم.

وأما الطائفة الثانية: فهم الجبرية الذين يقال لهم: القدرية المجبرة وهم

غلاة الجهمية الذين إمامهم في هذا وغيره جهم بن صفوان المتفق على بدعته، بل بدعه الخبيثة المتنوعة، فزعموا أن عموم مشيئة الله وعموم إرادته تقتضي أن العبد مجبور على أفعاله مقسور مقهور على أقواله وأفعاله لا قدرة له على شيء من الطاعات ولا على ترك المعاصي، ومع أنه لا قدرة له على ذلك عندهم فهو مثاب معاقب على ما لا قدرة له عليه، وهذا القول من أشنع البدع وأنكرها، وهو مخالف للكتاب والسنة وإجماع الأئمة المهتدين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ومخالف للعقول والفطر ومخالف للمحسوس، وكل قول يمكن صاحبه أن يطرده إلا هذا القول الشنيع، فإنه لا يمكنه أن يعمل به ويطرده كما تقدم أنه لا يعذر من ظلمه وتعدى عليه واعتذر المعتدي بالقدر؛ فإن الجبري لا يعذره بل يرى اعتذاره بالقدر زيادة ظلم وتهكمًا به، فكيف يسلك هذا المسلك مع ربه وهو لا يرتضيه لنفسه من غيره؟! والمقصود أن هذه الطائفة خالفت المنقول والمعقول.

ونصوص الكتاب والسنة تبطل قولهم، فإن الله نسب أعمال العباد إليهم من الطاعات المتنوعة والمعاصي الكثيرة، كلها يضيفها إلى الفاعلين ويخبر أنهم هم الفاعلون لها ويستحقون جزاءها من خير وشر، فلو كانوا مجبورين عليها لم ينسبها لهم ولم يضفها إليهم بل ينسب الأفعال إلى نفسه حاشاه وتعالى عن ذلك، فلا يقال: الله الذي فعل الإيمان والكفر والطاعة والمعصية، بل يقول كل أحد: العبد هو الذي فعلها والله هو الذي قدرها من غير أن يجبره عليها، ويلزم على قول الجبرية أيضًا إسقاط الأمر والنهي لأنه كيف يؤمر وينهى من لا قدرة له على امتثال الأمر واجتناب النهي، ويلزم أيضًا على قولهم إسقاط الحدود عن جميع أهل الجرائم؛ إذ كيف يعاقبون

وتقام عليهم الحدود وهم غير قادرين بل مجبورين؟! فهذا القول الباطل مخالف لجميع أصول الدين وفروعه، ويلزم أيضًا على قول الجبرية تعطيل الأسباب الدنيوية والدينية، وذلك أن الله تعالى جعل الأسباب موصلة إلى مسبباتها وأمر العباد بسلوك كل سبب نافع لهم في دينهم ودنياهم، فكيف يؤمرون وهم مجبورون غير قادرين؟!

فالقول بالجبر فيه فساد الدين والدنيا، والذي حملهم على هذا القول مع ظهور فساده ظنهم أنه لا يمكنهم إثبات عموم مشيئة الله وقدره حتى يسلبوا العبد قدرته، وقد غلطوا بهذا الظن فإنه كما تقدم يتمكن العبد من إثبات عموم القدر ومن إثبات أن الأعمال هي أعمال العباد حقيقة لأن الله خلقهم وخلق كل ما فيهم من القوى الظاهرة والباطنة وبقدرتهم وإرادتهم اللتين خلقهما الله ومكن العبد بهما من كل ما يريده من خير وشر، فعلوا الأمرين باختيارهم من غير إجبار.

وقد تصل هذه الطائفة وتغلو في القدر حتى يعتقدوا أن معاصيهم طاعات لأنها بمشيئة الله، فيشاركون الطائفة الثالثة وهم القدرية المشركون الذين اعتذروا عن شركهم وتحريمهم ما أباح الله بالمشيئة وجعلوا مشيئة الله هي محبته، فقالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ الآية [الأنعام: ١٤٨] ، وفي الآية الأخرى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥].

فهذه الطوائف الثلاث هم خصماء الله في قضائه وقدره، منهم من نفاه

ومنهم من غلا فيه غلوًا أوقعه في الباطل وهدى الله أهل السنة والجماعة لما اختلفـــوا فيـــه بإذنـــه ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [البقـرة: ٢١٣]، فأثبتوا عموم قضاء الله ونفوذ مشيئته في كل شيء، وأثبتوا مع ذلك أفعال العباد من الطاعات والمعاصي وقالوا: إنها واقعة باختيارهم ولا حجة للعاصين على الله إذا احتجوا على معاصيهم بقدره بل حجتهم داحضة باطلة، وقالوا: إن مشيئة الله غير محبته، فمشيئته تعلقت بكل شيء موجود من خير وشر وطاعة ومعصية، ومحبته خاصة للطاعات وأهلها، كما أخبر بذلك في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ.

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأصل ضلال الخلق في كل فرقة ... هو الخوض في فعل الإله بعلة
فإن جميع الكون أوجب فعله ... مشيئة رب الخلق باري الخليقة
وذات إله الخلق واجبة بما ... لها من صفات واجبات قديمة
مشيئته مع علمه ثم قدرة ... لوازم ذات الله قاضي القضية
وإبداعه ما شاء من مبدعاته ... بها حكمة فيه وأنواع رحمة

يذكر الشيخ أن أصل ضلال الخلق من جميع فرق الضلال هو الخوض في فعل الرب، وذلك أن جميع الكون، العالم العلوي والسفلي وما فيهن من المخلوقات خلقها الله وأوجدها بمشيئته وقدرته، فإنه تعالى هو الواجب بأسمائه وصفاته القديمة التي لا أول لها لأنه الأول الذي ليس قبله شيء ولم يزل بأسمائه وصفاته كذلك، فإذا كانت أوصافه كلها قديمة واجبة لأنه واجب الوجود فمن لوازم صفاته اللازمة لذاته العلم المحيط بكل شيء، والقدرة الشاملة لكل شيء والمشيئة العامة لكل موجود، فهو تعالى لم يزل عليمًا فعَّالًا لما يريد وأفعاله تعالى وإبداعه لمبتدعاته تابعة لحكمته التي هي وضع الأشياء مواضعها وتنزيل الأمور منازلها، فلم يخلق ولن يخلق شيئًا عبثًا، بل خلق المخلوقات وأبدع المبدعات بالحق وللحق، فهي صدرت عن الحق واشتملت على الحق، وكانت غاياتها المقصودة الحق.

فهذا التقرير الصحيح لمذهب أهل السنة والجماعة، وهو الذي دلت عليه الأدلة الكثيرة، فكما أنه تعالى أخبر أنه على كل شيء قدير، وأنه فعَّال لما يريد، وأنه إذا أراد أمرًا قال له: كن فيكون، وأن كل شيء خلقه بقدر، وكل

صغير وكبير مستطر، فكذلك قد أخبر أنه الحكيم الذي شملت حكمته كل شيء، وأنه خلق السموات والأرض ومن فيهن بالحق ولم يخلقهما باطلًا، ذلك ظن الذين كفروا ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦] إلى غير ذلك من الآيات الدالات على الأصلين، وهما عموم مشيئته لكل موجود، وشمول حكمته للخلق والأمر، هذا الذي يتعين على المكلفين الاعتراف به واعتقاده.

وأما مذهب الجبرية فإنهم زعموا أن فعل الرب وإبداعه لجميع المبتدعات لغير حكمة بل أوجدها عندهم بمشيئة مجردة وقالوا: إنه لا يسأل عما يفعل، ولا حجة لهم بالآية الكريمة، بل هي حجة عليهم، فإنه لا يسأل عما يفعل لكمال حكمته، فلا يمكن مخلوقًا أن يعترض على الله اعتراضًا صحيحًا في شيء من مخلوقاته، بل لو اجتمعت عقول الخلق من أولهم إلى آخرهم ليقترحوا أحسن من خلقه وإبداعه وتكوينه لعجزت عقولهم وقواهم، وإنما حسب العقول الكاملة أن تدرك حكمة الله وأن تفهمها، وما يخفى عليها من الحكم أعظم وأكثر، قال تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨] وقال: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: ٧] وقال تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣] أي نقص وخلوّ من الحكمة ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٤].

ومن تأمل في المخلوقات وتغلغل فكره في بدائع المصنوعات ورأى

ما فيها من الحسن والانتظام والإتقان، وشاهد ما فيها من المنافع التي لا تحصى شهد لله بكمال الحكمة وعموم الرحمة، فتبًا لمن زعم أن أفعال الباري صادرة عن محض المشيئة الخالية من الحكمة والرحمة وأنه يرجح مثلًا على مثل بلا معنى ولا سبب مرجح، لقد ضلت أفهامهم حيث أنكروا أظهر الأشياء وأوضحها.

ولهذا قال الشيخ:

ولسنا إذا قلنا جرت بمشيئة ... من المنكري آياته المستقيمة
بل الحق أن الحكم لله وحده ... له الخلق والأمر الذي في الشريعة

أي إذا قلنا إن جميع الكائنات جرت بمشيئة الله وإرادته، فلسنا ننكر حكمته وآياته المستقيمة الدالة على الغايات المحمودة، بل نجمع بين إثبات الأمرين ونعتقد شمول الأصلين لكل ما خلقه وشرعه، لأنه تعالى له الحكم وحده ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] أي له وصفًا وفعلًا الخلق الشامل لكل مخلوق، والأمر الشامل لجميع الأحكام الشرعية، فكما لا خالق سواه فلا حاكم بين العباد سواه، وكما أن مخلوقاته مملوءة من الحكمة والرحمة فشرعه العظيم أعظم وأعظم، كله حكمة وكله رحمة ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

فلهذا قال:

هو الملك المحمود في كل حالة ... له الملك من غير انتقاص بشركة

أي له الملك كله وله الحمد كله لا شريك له في ملكه ولا في حمده،

فهو المحمود على ما له من الأسماء الحسنى، وعلى ماله من الصفات الكاملة العليا، وهو المحمود على فضله الشامل ورحمته الواسعة، وعلى عدله وحكمته التي وضع بها الأشياء مواضعها، فيحمد على عدله كما يحمد على فضله، كما قال الشاعر:

ما للعباد عليه حق واجب ... كلا ولا سعي لديه ضائع
إن عذبوا فبعدله أو نعموا ... فبفضله وهو الكريم الواسع

وقد قرر الشيخ هذا المقام فقال مقررًا مكررًا للمعاني بعبارات مختلفة لأن المقام مهم جدًا:

فما شاء مولانا الإله فإنه ... يكون وما لا لا يكون بحيلة
وقدرته لا نقص فيها وحكمه ... يعم فلا تخصيص في ذي القضية
أريد بذا أن الحوادث كلها ... بقدرته كانت ومحض المشيئة
ومالكنا في كل ما قد أراده ... له الحمد حمدًا يعتلي كل مدحة
فإن له في الخلق رحمته سرت ... ومن حكم فوق العقول الحكيمة
أمورًا يحار العقل فيها إذا رأى ... من الحكم العليا وكل عجيبة

يعني أنه ما شاء الله كان لا مانع من كونه ووجوده إذا شاءه الله، وما لم يشأ لم يكن فلا يدرك بحيلة ولو اجتمع عليه جميع الخلق، وفي حديث ابن عباس أنه ﷺ قال: «**واعلم أن الخلق لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**»[1]،

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند والترمذي في صحيحه والحاكم في المستدرك.

فقدرة الباري تعالى كاملة لا نقص فيها، حدثت جميع الحوادث ووجدت الموجودات بها وبمشيئته، وله في ذلك الخلق والإيجاد كمال الحكمة وسعة الرحمة التي تحار العقول في كثرتها وسعتها وعظمتها، وهو المحمود تعالى على ذلك كله.

ثم قال أيضًا:

فنؤمن أن الله عز بقدرة ... وخلق وإبرام لحكم المشيئة
فنثبت هذا كله لإلهنا ... ونثبت ما في ذاك من كل حكمة
وهذا مقام طالما عجز الألى ... نفوه وكروا راجعين بحيرة
وتحقيق ما فيه بتبيين غوره ... وتحرير حق الحق في ذي الحقيقة
هو المطلب الأقصى لرواد بحره ... وذا عسر في نظم هذي القصيدة
لحاجته إلى بيان محقق ... لأوصاف مولانا الإله الكريمة
وأسمائه الحسنى وأحكام دينه ... وأفعاله في كل هذي الخليقة
وهذا بحمد الله قد بان ظاهرًا ... وإلهامه للخلق أفضل نعمة
وقد قيل في هذا وخط كتابه ... بيان شفاء للنفوس السقيمة

كرر المؤلف هذه المعاني بهذه العبارات لما ذكره أن المقام مقام عظيم طالما عجز الذين نفوه ولم يفهموه وبقوا حائرين غير مهتدين، ومسائله العظيمة مستمدة من أسماء الله وأوصافه وأفعاله ومعرفة دينه والتدبر لكتابه، فمن تفقه في الأسماء الحسنى واعترف بما لله من الصفات العليا وعرف أن أفعاله تعالى مشتملة على الحق، والحق غايتها ومقصودها، وتدبر كتاب الله الذي فيه الهدى والشفاء، وسنة نبيه ﷺ، من عرف ذلك كله واعترف به جزم

جزمًا لا تردد فيه بأنه تعالى خلق المخلوقات وأوجدها ودبرها بمشيئة نافذة وحكمة شاملة ورحمة واسعة، وذلك أن عظمة المخلوقات تدل على عظمة خالقها ومبدعها وكمال قدرته، وما فيها من التخصيصات المتنوعة من كل وجه تدل على نفوذ مشيئته وإرادته. وما فيها من الحكم والانتظام والحسن والالتئام والخلق الغريب والإبداع العجيب يدل على شمول علمه وإحاطته وشمول حكمته وحمده، وما فيها من الخيرات الكثيرة والمنافع الغزيرة والصلاح والإصلاح يدل ذلك على سعة رحمته وبره وكرمه وإحسانه.

وتحقيق هذه المقامات هو المطلب الأقصى لرواد الحقيقة، ولا سبيل لذلك إلا الاستمداد من كلام الله وكلام رسوله والاستنارة بهداية الأئمة المهتدين ومعرفته وإلهامه للعباد من أجلّ نعم الله عليهم، والقرآن شفاء لما في الصدور من أمراض الشكوك والشبهات والشهوات.

ثم قال الشيخ مجيبًا للمعترض:

فقولك لِمْ قد شاء مثل سؤال من ... يقول فلِمْ قد كان في الأزلية
وذاك سؤال يبطل العقل وجهه ... وتحريمه قد جاء في كل شرعة

يعني رحمه الله أن سؤال السائل واعتراض المعترض بقوله: لِمَ شاء وكيف شاء كُفْرَ الكافرين ووقوع العصيان من العاصين ونحوها من الأسئلة المشابهة لذلك كلها محظورة ممنوعة؛ لأن الله هو الحاكم ليس محكومًا عليه ولا يلزم أن يبدي لعباده كل حكمة اشتملت عليها مراداته ومفعولاته، فقد أخبر عباده بالأمر العام وهو أنه حكيم في كل ما خلق وكل ما شرع، وأما دقائق الخلق وأسرارها وأسرار أفعاله فعنده علمها لا يلزم أن يطلع العباد

عليها إلا ما شاء منها، وهذا مثل سؤال السائل: لِمَ قدم الله هذا المخلوق على هذا المخلوق؟ ولِمَ كان المخلوق سابقًا وهذا المخلوق لاحقًا؟ فإنه تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فالعقل والشرع لا يبيح أمثال هذه الأسئلة التي يعترض بها العبد الحقير على الرب العظيم، فإنه محرم في جميع الشرائع حتى وصلت بهم الحال إلى ما قال النبي ﷺ: «**لا يزال الناس يتساءلون حتى يقولوا: هذا الله خلق هذا الخلق فمن خلق الله، فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان ولينته**» وفي رواية: «**فليقل: آمنت بالله**»(١).

فأمر ﷺ عند هذه الشكوك والأسئلة المحرمة بثلاثة أشياء: بالإيمان بالله، لأن الإيمان الصحيح يدفع هذه الشبهات لعلم العبد المؤمن أنه تعالى الأول الذي ليس قبله شيء، وأنه لا منتهى لأوليته كما لا منتهى لآخريته، وبالاستعاذة بالله من الشيطان الموسوس الموقع لهذه الشكوك والشبهات، وأمره أن ينتهي وأن يعلم أن هذا سؤال باطل شرعًا وعقلًا، وهو من باب المكابرة والمباهتة لأنه تعالى واجب الوجود ووجود كل شيء بإيجاده:

وفي الكون تخصيص كثير يدل من ... له نوع عقل أنه بإرادة
وإصداره عن واحد بعد واحد ... أو القول بالتجويز رمية حيرة
ولا ريب في تعليق كل مسبب ... بما قبله من علة موجبية
بل الشأن في الأسباب أسباب ما ترى ... وإصدارها عن حكم محض المشيئة

(١) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة بألفاظ مختلفة.

يقول: إن في العالم العلوي والسفلي تخصصات كثيرة جدًا تدل دلالة عقلية صريحة أنها بإرادة العزيز الحكيم، مثل جعل بعضها عاليًا، وبعضها سافلًا، وبعضها كبيرًا، وبعضها صغيرًا، وبعضها متصلًا بغيره، وبعضها منفصلًا، وبعضها على صفة، وبعضها على صفة أخرى مثل قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ﴾ [النور: ٤٥].

والتخصيصات لا يحيط بها الوصف وكلها تدل على أنها متعلقة بإرادة الله ومشيئته وأنه الفعال لما يريد.

ومن الغلط العظيم والحيرة والضلال قول الفلاسفة إن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، فإن هذا باطل شرعًا وعقلًا من وجوه كثيرة ذكرها الشيخ في كتاب «العقل والنقل» وفي «المنهاج» وغيرهما من كتبه، لكن الأمر الذي لا ريب فيه أن كل مسبب لابد له من سبب، وكل معلوم لابد له من علة موجبة، وكل شيء لابد له من مادة قد خلق منها، ولكن جميع الأسباب تنتظم في قضاء الله وقدره، وهي من القضاء والقدر، ولهذا لما قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله أرأيت رُقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئًا؟ قال: «**هي من قدر الله**»(١).

وثبت في الصحيحين أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حين ذكر لهم النبي ﷺ

(١) أخرجه الإمام أحمد والترمذي.

القدر السابق قالوا: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا الأول وندع العمل، فقال: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فَسَيُيَسَّر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فَسَيُيَسَّر لعمل أهل الشقاوة**»، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ـ ١٠][1]، فبين ﷺ أن السعادة والشقاوة وإن كانت مقدرة مفروغًا منها فإن الله قدرها بأسبابها وهو أن الله يسر أهل السعادة لليسرى بما فعلوه من الأسباب الثلاثة وهي قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ـ ٧]، وأن الله يسر أهل الشقاوة للعسرى بما فعلوه من الأسباب الثلاثة وهي قوله: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٨ ـ ١٠].

ومشيئته تعالى لا تنافي ما جعله الله من الأسباب الدنيوية والأخروية، فقد أخبر في عدة آيات أنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وفي آيات أخرى أخبر بها بالأسباب التي تنال بها هداية الله ويستحق العبد أن يبقى على ضلاله كقوله: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ﴾ [المائدة: ١٦]، وكقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وكقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟

(١) البخاري ومسلم.

﴿ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال: ٢٩]، وقوله: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ [التغابن: ١١]، ونحوها، وقوله في الضلال: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصف: ٥] وقوله: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ﴾ [البقرة: ١٠]، وقوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ [الأنعام: ١١٠]، ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ﴾ [الزخرف: ٣٦].

وهذه الآيات فيها من أسرار القدر في هداية من يهديه وإضلال من يضله ما يشهد لله بكمال الحكمة والحمد، وكذلك أخبر في عدة آيات أنه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، وفي آيات أخر أخبر عن الأسباب التي تنال بها مغفرة الله مثل قوله: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢] والأسباب التي يستحق بها العذاب مثل قوله: ﴿إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه: ٤٨].

وكذلك أخبر في آيات كثيرة أنه يرزق من يشاء ويوسع الرزق على من يشاء ويقبضه عن من يشاء، وفي آيات أخرى ذكر فيها الأسباب التي ينال بها رزقه مثل قوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق: ٢- ٣] وقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٤] كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أجله فليصل رحمه**»(١)، وكذلك

(١) البخاري ومسلم مع اختلاف في ألفاظه.

الأسباب المادية مثل قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

وجميع المطالب الدنيوية والأخروية جعل لها أسبابًا متى سلكها الإنسان حصل له مطلوبه، وقد جمع النبي ﷺ ذلك في كلمة واحدة فقال: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله**»(١)، فقوله: «**احرص على ما ينفعك**» أي في دينك ودنياك واسلك كل طريق يوصلك إلى هذه المنفعة، ولكن لا تتكل على حولك وقوتك بل توكل على الله واستعن به، فمن فعل ذلك فهو عنوان سعادته ونجاحه وإلا فلا يَلُم العبد إلا نفسه.

وقولك لِمْ شاء الإله هو الذي ... أضل عقول الخلق في قعر حفرة
فإن المجوس القائلين بخالق ... لنفع ورب مبدع للمضرة
سؤالهم عن علة السر أوقعت ... أوائلهم في شبهة الثنوية

يعني أن هذا السؤال الذي مضمونه الاعتراض على الله ومضمونه أيضًا الدخول فيما ليس للعقل سبيل إليه لم يزل يضل عقول الخلق ويلقيهم في الهلاك، وهو الذي أوقع المجوس القائلين: إن الخالق اثنان خالق الخير هو الله وخالق الشر هو الشيطان، فأشركوا بالربوبية بعد شركهم في الإلهية، فكانوا يعبدون النار ويستحلون المحارم، فزاد شرهم على المشركين من جهة استحلال المحارم ومن جهة اعتقادهم أن إبليس خالق الشر فجعلوا رب العالمين اثنين، ولهذا يقال لهم: الثنوية، والذي أوقعهم في هذا الشر

(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة.

العظيم الذي لم يصل إليه المشركون هذا السؤال، فقالوا: كيف يخلق الله الشر؟ فعلينا أن ننزه الله عن خلق الشر فأتوا بهذه الطامة الكبرى والمقالة الشنعاء، يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: فهؤلاء المشككون الذين يقولون: كيف يقدر الله علينا الكفر والمعاصي ويعذبنا على ذلك؟ قد تابعوا في اعتراضهم كل كفار عنيد من المجوس الثنوية وكذلك من هم أعظم منهم شرًا وجُرْمًا ملاحدة الفلاسفة.

فلهذا قال الشيخ:

وإن ملاحـــدة الفلاســـفة الألى ... يقولـــون بالفعـــل القـــديم لعلـــة
بغواعلـة في الكـون بعـد انعدامـه ... فلـم يجـدوا ذاكـم فـضلوا بـضلة

يعني أن ملاحدة الفلاسفة المعطلين لله ولكتبه ورسله المكذبين لهم أوقعتهم عقولهم الفاسدة في الهلاك، حيث حكّموها في البحث عن علة إيجاد هذا الكون، فلم تهتد لذلك لقصورها وتقصيرها، فزعم كثير منهم أن هذا العالم قديم وأنه لم يزل ولا يزال. وبذلك أنكروا وجود الرب العظيم ومن باب أولى أنكروا رسله وكتبه وتضاربت نظرياتهم الفاسدة فضلوا وأضلوا، ولقد صدق عليهم قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [غافر: ٨٣]، ثم إن هؤلاء الفلاسفة الملاحدة في هذه الأوقات أبطلوا بأنفسهم نظرية أسلافهم، وأحدثوا لهم نظريات متعددة متضاربة مبنية على الخرص والجهل المركب، ولم يزالوا في اضطراب، وهذه حالة كل من ترك الحق واستكبر عنه وتاه بعقله، قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ

مَّرِيجٍ ﴾ [ق: ٥].

ولهذا قال الشيخ:

وإن مبادئ الشر في كل أمة ... ذوي ملة ميمونة نبوية
لخوضهم في ذاكم صار شركهم ... وجاء رؤوس البينات بقترة

يعني: وكذلك الأمم الذين ينتسبون للأنبياء كاليهود والنصارى مبادي شرهم وشركهم جنس هذا السؤال وخوضهم بالباطل، فانحرفوا عن أديان الأنبياء واتبعوا كل شيطان مريد، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ الآية [البقرة: ١٠١- ١٠٢] فأخبر أنهم تركوا الإيمان بسيد الرسل محمد ﷺ وأفضل الكتب وتعوضوا عن ذلك بالعلوم الباطلة التي هي السحر ونحوها. فكل من ترك الأمور النافعة ابتلي بالأمور الضارة، وكل من زهد بالحق وقع في الباطل وهذا مطرد في كل زمان ومكان وكل أمة:

ويكفيك نقضًا أن ما قد سألته ... من العذر مردود لدى كل فطرة
فأنت تعيب الطاعنين جميعهم ... عليك وترميهم بكل مذمة
وتنحل من والاك صفو مودة ... وتبغض من ناواك من كل فرقة
وحالهم في كل قول وفعلة ... كحالك يا هذا بأرجح حجة

وهذا كما تقدم إلزام ونقض واضح على من اعتذر عن مخالفته ومعاصيه بالقدر، فإنه في كل فطرة عاقل أن من ذمك ذممته، ومن عابك

عبته، ومن ظلمك في نفسك أو مالك عاملته معاملة الظالم، فكيف تعذر نفسك إذا عصيت الله ولا تعذرهم إذا ذموك أو ظلموك، بل تبغضهم وتذمهم وتقابلهم على ظلمهم بما تقدر عليه، وهذا شيء كل أحد يعرفه، فاتضح بهذا أن المحتج بالقدر على المعاصي كما أنه مخالف للشرع والعقل فهو مخالف للفطرة التي فطر عليها كل أحد بل هو مكابر مستهزئ.

ثم أعاد هذه المعاني بذكر أمثلة توضح المقام لكونه من أهم المهمات فقال:

وهبك كففت اللوم عن كل كافر ... وكل غويّ خارج عن محجة
فيلزمك الإعراض عن كل ظالم ... على الناس في نفس ومال وحرمة
فلا تغضبن يومًا على سافك دمًا ... ولا سارق مالًا لصاحب فاقة
ولا شاتم عرضًا مصونًا وإن علا ... ولا ناكح فرجًا على وجه غية
ولا قاطع للناس نهج سبيلهم ... ولا مفسد في الأرض من كل وجهة
ولا شاهد بالزور إفكًا وفرية ... ولا قاذف للمحصنات بزنية
ولا مهلك للحرث والنسل عامدًا ... ولا حاكم للعالمين برشوة
وكف لسان اللوم عن كل مفسد ... ولا تأخذن ذا جرمة بعقوبة
وسهل سبيل الكاذبين تعمدا ... على ربهم من كل جاء بفرية
وإن قصدوا إضلال من يستجيبهم ... بروم فساد النوع ثم الرياسة
وجادل عن الملعون فرعون إذ طغى ... فأغرق في اليم انتقامًا بغصة
وكل كفور مشرك بآلهة ... وآخر طاغ كافر بنبوة
كعاد ونمروذ وقوم لصالح ... وقوم للوط ثم أصحاب أيكة
وخاصم لموسى ثم سائر من أتى ... من الأنبياء محييًا للشريعة

على كونهم قد جاهدوا الناس إذ بغوا ... ونالوا من العاصي بليغ العقوبة
وإلا فكل الخلق في كل لفظة ... ولحظة عين أو تحرك شعرة
وبطشة كف أو تخطي قديمة ... وكل حراك بل وكل سكينة
هم تحت أقدار الإله وحكمه ... فما أنت فيما قد أتيت بحجة

هذه الإلزامات التي ذكرها الشيخ في غاية القوة والوضوح يبطل كل واحد منها اعتذار المعتذر بالأقدار، ومثل بأمثلة كثيرة يعرفها كل أحد؛ لأن كثرة الأمثلة توضح المعاني وتصور المقالات القبيحة بأشنع صورة، ولأنه لو فرض أنه تأول من التزم بها بعض هذه الأمثلة باحتمالات ضعيفة لم يكن له سبيل إلى بقيتها، فالشيخ يقول لهؤلاء المعارضين المعترضين بأقدار الله على المعاصي يلزمكم أن تعرضوا عن كل ظالم للناس في دمائهم وأعراضهم وأموالهم فلا تغضبون على من سفك الدماء وأخذ الأموال بالغصب والسرقة، ولا من شتم الأعراض، ولا على الزناة وقُطَّاع الطريق والمفسدين في الأرض، ولا على قاذف أو شاهد بالزور ولا من سعى في الأرض ليهلك الحرث والنسل، ولا على من حكم بالرشوة وجار في حكمه، بل يجب عندهم كف اللسان عن كل مفسد مُعْتَدٍ على الخلق، بل عليك أن تسهل سبيل الكاذبين على ربهم وتعتذر عنهم وإن سعوا في إضلال الناس.

بل وجادل عن أئمة الكفر كفرعون وقارون وهامان وكل مشرك وكافر كعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة وما أشبههم من الكفار المعاندين، بل على قول هؤلاء عليك أن تخاصم جميع الرسل والأنبياء، حيث جاهدوا الناس على الإيمان وعاقبوا أهل الجرائم؛ لأن الخلق كلهم في جميع

حركـاتهم وسكناتهم ولفظـاتهم ولحظـاتهم تحـت أقـدار الله، وهـذا القـول الفظيع الذي يفضي إلى هذه المكابرات والمجاهرة بتكذيب الله ورسله وكتبه حَسْبُ الناظر لهذا القول أن يتصور هـذه اللـوازم التي هـي غايـة المـشاقة لله ولرسله وفيه فساد الدين والدنيا والآخرة.

وهبـك رفعـت اللـوم عـن كـل فاعـل ... فعـال ردى طـردًا لهـذي المقيـسة
فهـل يمكـنن رفـع المـلام جميعـه ... عـن النـاس طـرًا عنـد كـل قبيحـة
وتـرك عقوبـات الـذين قـد اعتـدوا ... وترك الـورى الإنـصاف بـين الرعيـة
فـلا تـضمنن نفـس ومـال بمثلـه ... ولا يعقـبن عـادٍ بمثـل الجريمـة
وهل في عقول الناس أو في طباعهم ... قبـول لقـول النـذل مـا وجـه حيلتي

لما ذكر الشيخ تلك الإلزامات التي لا محيد لهم عنها ألجأهم أيضًا إلى إلزامات أخر، فقال: فلو فرض وقدر أنك أيها المعتذر بالقدر على المعـاصي رفعت اللوم عن العاملين لمعاصي الله المتجرئين على محارمه، فهل يمكنك طرد ذلك وترك عقوبات المعتدين وترك الحدود عن أهل الجرائم بحيث لا يـضمن القاتـل نفـسًا ولا الغاصـب والمتلـف مـالًا ولا ينـصف الحكـام بـين رعاياهم إذا قـالوا وادعـوا أنهـم معـذورون بالقـدر؟! وهـل في عقـل أحـد أو فطرته قبول قول الواحد من هؤلاء المجرمين: ما وجـه حيلتي وأنـا معـذور، فإني وإن خالفت الشرع فقد وافقـت القـدر؟! وهـل هـذا إلا تلاعـب محـض وتهكم صرف؟!

ثم قال الشيخ:

ويكفيـك نقـضًا مـا بجـسم ابـن آدم ... صـبي ومجنـون وكـل بهيمـة

من الألم المقضي من غير حيلة ... وفيما يشاء الله أكمل حكمة
إذا كان في هذا له حكمة فما ... يظن بخلق الفعل ثم العقوبة
فكيف ومن هذا عذاب مولد ... عن الفعل فعل العبد عند الطبيعة
كآكل سم أوجب الموت أكله ... وكل بتقدير لرب المشيئة
فكفرك يا هذا كَسُمٍّ أكلته ... وتعذيب نار مثل جرعة غصة
ألست ترى في هذه الدار من جنى ... يعاقب إما بالقضا أو بشرعة
ولا عذر للجاني بتقدير خالق ... كذلك في الأخرى بلا مثنوية

يعني أنه يكفيك نقضًا لقولك وإبطالًا له أن الله تعالى يقضي بحكمته الآلام على غير المكلفين من الصبيان والمجانين والبهائم، وهذه الإلزامات من لوازم الطبيعة فلا تنفك الطبائع إلا أن تكون على هذه الصفة تكون صحيحة ومريضة ومرتاحة ومتألمة بحسب ما يعرض للطبيعة من استقامة وانحراف، فإذا كانت أسباب الآلام إذا وجدت تولدت عنها الآلام وترتبت عليها الأسقام، كمن أكل سمًا ترتب عليه الهلاك، أو ألقى نفسه في نار أو مهلكة، فكفر الكافرين وإجرام المجرمين بمنزلة من أكل سمًا أو قذف نفسه في نار أو مهلكة لابد أن يترتب عليه مقتضاه وأثره، فإذا كنت لا تعذر من أكل سمًا أو ألقى نفسه في تهلكة وتنسب هلاكه إلى عمله فالكفر والمعاصي كذلك، بل أبلغ لأن آكل السم والملقي نفسه بالهلكة ربما يعرض بعض العوارض المانعة من الهلاك بخلاف الكفر وتوابعه، فإن آثاره مترتبة عليه قطعًا إلا إذا رفعها العبد بتوبة نصوح.

ومما يؤيد هذا أنك تشاهد في هذه الدار عقوبات الباغين والظالمين والمعتدين، عقوبات يشاهدها كل أحد، إمّا عقوبات قدرية يوقعها الله

بالمجرمين كما أهلك الأمم السابقة بالعقوبات المتنوعة وكما يشاهده من سَبَرَ أحوال الخلق وتتبع مجرياتهم، وكيف كانت عواقب الباغين والمجرمين أشنع العواقب، وإمّا بعقوبات شرعية يقتل القاتل ويقطع السارق ويقام الحد بالرجم أو الجلد على الزاني ويجلد الشارب للخمر ويعزر في كثير من المعاصي، وهذه عقوبات قدرية شرعية.

فهل تقول أيها المعتذر عن العاصين بالقدر إن جميع هؤلاء قد ظلمهم الله حيث أوقع بهم هذه العقوبات، وحيث أحل بهم المثلات؟ فإن قلت ذلك فقد بلغت من عداوة الله وعداوة رسله، و محاربة الله مبلغًا ما بلغه أحد، وإن رجعت إلى الحق، وقلت: إن هذه العقوبات القدرية والشرعية هي عدل الله بين عباده، وهي حكمته التي وضعها موضعها وجعلها في محلها اللائق بها، وليس لهؤلاء الجناة المعاقبين عذر، بل ما أصابهم من مصيبة فبما كسبت أيديهم ويعفو عن كثير، فالرجوع إلى الحق أحق، وبذلك وغيره يتضح بطلان الاعتذار بالقدر عن المجرمين.

* * *

وشبيه بهذا أيضًا قول الشيخ:

وتقدير رب الخلق للذنب موجب ... لتقدير عقبى الذنب إلا بتوبة
وما كان من جنس المتاب لرفعه ... عواقب أفعال العباد الخبيثة
كخير به تمحى الذنوب ودعوة ... تجاب من الجاني ورب الشفاعة
وتقديره للفعل يجلب نعمة ... كتقديره الأشياء طرًا بعلة

يعني كما جعل الله الذنوب والجرائم أسبابًا للعقوبات، فقد جعل الله التوبة وأعمال الخير والدعوات والشفاعات تمحى بها الذنوب وتكشف بها الكروب، فالله تعالى بحكمته ورحمته جعل أعمال العباد خيرها وشرها تترتب عليها آثارها وتحصل موجباتها عاجلًا وآجلًا، فكم جلبت أفعال الخير من نعم وكم دفعت من نقم! كذلك أفعال الشر كم حصل بها من عقوبات وكم ترتب عليها من شرور ومصائب! فهذه أمور لابد فيها في قدر الله وفي حكمه الشرعي وحكمه الجزائي الذي يحمد عليه لما فيه من العدل والفضل.

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقول حليف الشر إني مقدَّر ... علي كقول الذئب هذي طبيعتي
فهل يرفعن ذم الملوم بأنه ... كذا طبعه أم هل يقال لعثرة
أم الذم والتعذيب أوكد للذي ... طبيعته فعل الشرور الشنيعة

يعني أن المجرم إذا اعتذر بذلك العذر المردود وقال: إن الذنب مقدر علي فهو مثل قول الذئب والسبع المفترس، ومثل الشرير إذا فعل الشر والعدوان والبغي وقال: هذه طبيعتي فلا لوم علي، فهل يرفع هذا القول عنه

الملام والعقاب أم يكون لومه أشد وعقوبته أوكد، لأنه عمل العمل القبيح واتصف بالخلق القبيح، فكان أغلظ جرمًا وأشد عقوبة ممن فعل جرمًا عارضًا فإنه يرجى له الرجوع والتوبة بخلاف الشرير الذي طبيعته وقوته متوجهة إلى الشرور والمعاصي.

ثم ذكر الشيخ ما ينجي العبد من هذا المأزق الحرج فقال:

فإن كنت ترجو أن تجاب بما عسى ... ينجيك من نار الإله العظيمة
فدونك رب الخلق فاقصده ضارعًا ... مريدًا لأن يهديك نحو الحقيقة
وذلل قياد النفس للحق واسمعن ... ولا تعص من يدعو لأقوم شرعة
ودع دين ذي العادات لا تتبعنه ... وعج عن سبيل الأمة الغضبية
وما بان من حق فلا تتركنه ... ولا تعرضن عن فكرة مستقيمة
ومن ضل عن حق فلا تقفونه ... وزن ما عليه الناس بالمعدلية
هنالك تبدو طالعات من الهدى ... بتبشير من قد جاء بالحنفية
بملة إبراهيم ذاك إمامنا ... ودين رسول الله خير البرية
فلا يقبل الرحمن دينًا سوى الذي ... به جاءت الرسل الكرام السجية
وقد جاء هذا الحاشر الخاتم الذي ... حوى كل خير في عموم الرسالة
وأخبر عن رب العباد بأن من ... غدا عنه في الأخرى بأقبح خيبة
فهذي دلالات العباد لحائر ... وأما هداه فهو فعل الربوبة
وفقد الهدى عند الورى لا يفيد من ... غدا عنه بل يجري بلا وجه حجة

هذه نصائح نفيسة من نصائح الشيخ مستندة إلى الكتاب والسنة، يقول: إذا كنت أيها العبد تريد نجاتك من عذاب الله والفوز بثوابه فاقصد ربك متضرعًا له آناء الليل والنهار، واسأله أن يهديك الصراط المستقيم، ووطن

نفسك للانقياد للحق، واقبله ممن قاله، وكن ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ودع عنك دين العادات والاقتداء بأهل الغضب والضلال، وأكثر من التدبر لكتاب الله وسنة نبيه، ثم ما بان لك من الحق فاتبعه غير مُبَالٍ بخلاف المخالفين، واجعل كتاب الله وسنة نبيه نصب عينيك وزِنْ بهما أحوالك وأحوال غيرك، فإنهما الميزان العادل غير العائل، فإنك إذا فعلت ذلك حصلت لك تباشير الخير وأمارات السعادة، واتبع ملة إبراهيم حنيفًا مائلًا عن جميع الأديان والبدع إلى دين محمد ﷺ، فإن الله لا يقبل من أحد دينًا سوى الدين الذي ارتضاه لرسله وأتباعهم حتى ختمهم بإمامهم وسيدهم محمد ﷺ الذي جمع الله به وله من المحاسن والكمالات ما لم تجتمع في غيره، وقد أخبر عن ربه أن من اتبعه فهو المهتدي السعيد ومن تولى عنه فهو الضال الطريد.

ثم قال: وهذا الذي بينته في هذه الأبيات فيها الدلالة للحيران والتفاصيل التي يحصل بها الفرقان، والهداية بيد الله لكنه من أقبل على ربه صادقًا وعمل بأسباب الهداية فلابد أن يقبله الله ويسلك به الصراط المستقيم.

وحجة محتج بتقدير ربه ... يزيد عذابًا كاحتجاج مريضة

وذلك لأنه عمل في الحقيقة جرمين، بل ثلاثة:

أحدها: فعله للذنب.

ثانيًا: احتجاجه عليه بالقدر، وهو كذب، فإن مضمون الاحتجاج بالقدر يعني أن الله اضطره وألجأه إليه وأكرهه عليه وهو لا يريد الذنب، وهذا كذب

صريح، فإن الله مكنه من الترك، بل فتح له كل باب يصده عن الذنب، وقد أبت نفسه الأمارة بالسوء إلا أن توقعه في الذنب، فالملام عليه لا على ربه.

ثالثًا: أنه بهذا الاعتذار يمهد لنفسه الإصرار على الذنوب والإقامة على ما يسخط علام الغيوب، فإن هذا الاعتذار يهون عليه كل ذنب كما هو مشاهد.

وأمـا رضـانا بالقـضاء فـإنما ... أمرنا بأن نرضى بمثل المصيبة
كسقم وفقر ثم ذل وغربة ... وما كان من مؤذ بغير جريمة
فأمّا الأفاعيل التي كرهت لنا ... فلا نص يأتي في رضاها بطاعة
وقد قال قوم من أولي العلم لا رضى ... بفعل المعاصي والذنوب الكبيرة
فإن إله الخلق لم يرضها لنا ... فلا نرتضي مسخوطه لمشيئة
وقال فريق نرتضي بقضائه ... ولا نرتضي المقضي أقبح خصلة
وقال فريق نرتضي بإضافة ... إليه وما فينا فنلقى بسخطة
كما أنها للرب خلق وأنها ... لمخلوقه كسب كفعل الغريزة
فنرضى من الوجه الذي هو خلقه ... ونسخط من وجه اكتساب بحيلة

يعني إذا أورد المورد علينا أنه يجب الرضى بقضاء الله، يعني والمعاصي من قضائه، فقد أجاب الشيخ بأربعة أجوبة كل واحد منها كافٍ شافٍ، فكيف إذا اجتمعت؟

أحدها أن الذي أمرنا أن نرضى به المصائب دون المعايب، فإذا أصبنا بمرض أو فقر أو فاقة ونحوها من حصول مكروه أو فقد محبوب فيجب علينا الصبر على ذلك.

واختلف في وجوب الرضى؛ والصحيح استحبابه لأنه لم يثبت وجوب الأمر به على وجه الوجوب ولتعذره على أكثر النفوس؛ لأن الصبر حبس النفس عن التسخط، واللسان عن الشكوى، والأعضاء عن عملها بمقتضى السخط من نتف الشعر وشق الجيوب وحثو التراب على الرؤوس ونحوها، وذلك واجب مقدور.

وأما الرضى الذي هو مع ذلك طمأنينة القلب عند المصيبة وألا يكون فيه تمني أنها ما كانت، فهذا صعب جدًا على أكثر الخلق، فلهذا لم يوجبه الله ولا رسوله وإنما هو من الدرجات العالية، وهو مأمور به أمر استحباب.

وأما الرضى بالذنوب والمعايب فلم نؤمر بالرضى بها ولم يأت نص صحيح أو ضعيف في الأمر بها فأين هذا من ذاك.

الجواب الثاني: ما قاله طائفة من أهل العلم أن الله لم يرض لنا أن نكفر ونعصي فعلينا أن نوافق ربنا في رضاه وسخطه، قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾ [الزمر: ٧]، فالدين موافقة ربنا في كراهة الكفر والفسوق والعصيان مع تركها وموافقته في محبة الشكر والإيمان والطاعة لنا مع فعلها.

الجواب الثالث: أن القضاء غير المقضي فنرضى بالقضاء لأنه فعله تعالى، وأما المقضي الذي هو فعل العبد فينقسم إلى أقسام كثيرة الإيمان والطاعة علينا الرضى بها. والكفر والمعصية لا يحل لنا الرضى بها، بل علينا أن نكرهها، ونفعل الأسباب التي ترفعها من التوبة والاستغفار والحسنات الماحية، وإقامة الحد والتعزير على من فعلها، والمباحات مستوية الطرفين.

الجواب الرابع: أن الشر والمعاصي تختلف إضافتها، فهي من الله خلقًا وتقديرًا وتدبيرًا وهي من العبد فعلًا وتركًا، فحيث أضيفت إلى الله قضاء وقدرًا نرضى بها من هذا الوجه؛ وحيث أضيفت إلى العبد نسخطها ونسعى بإزالتها بحسب مقدورنا.

فهذه الأجوبة عن الأمر بالرضى بالقضاء قد اتضح أنها لا تدل على شيء من مطلوب المعترض.

ثم قال الشيخ:

ومعصية العبد المكلف تركه ... لما أمر المولى وإن بمشيئة
فإن إله الخلق حق مقاله ... بأن العباد في جحيم وجنة
كما أنهم في هذه الدار هكذا ... بل البهم في الآلام أيضًا ونعمة

يعني: أن معصية العبد تركه لما أمر الله به ورسوله، وإن كان ذلك بمشيئة الله، فالله تعالى شاءه وأراده لما له في ذلك من الحكمة، ولعلمه تعالى أنَّ العبد يفعله باختياره ومراغمته لربه، فلا حجة له في ذلك.

وقد أخبر الله تعالى: أن الأبرار لفي نعيم، وأن الفجار لفي جحيم في دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار؛ إما الجنة أو النار.

بل البهائم في الدنيا؛ منها ما هو منعمٌ، ومنها ما هو مريضٌ أو مصيبهُ شيءٌ من الآلام، ولذلك كله أسبابٌ وطرقٌ معروفةٌ؛ يحمد المولى بوضعه الأسباب المنوعة، مُفضية إلى مسبباتها.

ولهذا قرر الشيخ هذا المقام بقوله:

وحكمته العليا اقتضت ما اقتضته من ... فروق بعلمٍ ثم أيدٍ ورحمة

يسوق أولي التعذيب بالسبب الذي ... يقدره نحو العذاب بعزة
ويهدي أولي التنعيم نحو نعيمهم ... بأعمال صدقٍ في رجاءٍ وخشية
وأمر إله الخلق بَيَّن ما به ... يسوق أولي التنعيم نحو السعادة
فمن كان من أهل السعادة أثرت ... أوامره فيه بتيسير صنعة
ومن كان من أهل الشقاوة لم يُبَلْ ... بأمرٍ ولا نهي بتيسير شِقوة
ولا مخُرجٌ للعبد عما به قضى ... ولكنه مختار حُسْن وسَوأة
فليس بمجبور عديم إرادة ... ولكنه شاء بخلق الإرادة

يعني أن حكمة الرب العليا اقتضت افتراق العباد بالعلم والجهل والعمل والكسل، والنعيم وضده

وذلك بحسب عملهم بالأسباب النافعة أو الأسباب الضارة فإن الله دعا إلى دار السلام وبيّن طريقها وأعمال البر الموصلة إليها التي مرجعها إلى ثلاثة أمور: تصديق خبر الله ورسوله، وامتثال أمر الله وأمر رسوله، واجتناب نهيهما وأمر العباد بسلوكها، وأخبر بما لهم عنده من الكرامة، فمن كان من أهل السعادة يسره لعمل أهل السعادة وحبب إليه الإيمان وزينه في قلبه وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان، فسار بحسن طريقه إلى سعادته الأبدية، ومن كان من أهل الشقاوة لم يبال بأمر الله ولا نهيه، بل كذب وتولى فاستحق العذاب بجرمه وذنوبه ـ بيّن الله له الهدى وأمره بسلوكه فأدبر وتولى فولاه الله ما تولى لنفسه ووكله إليها، ومن وُكِلَ إلى نفسه الأمارة بكل سوء الظالمة الجاهلة فقد هلك وذلك بما كسبت يداه ليس بمجبور على ذلك ولا مكره ولا مقسور بل هو مختار مسرف كفور.

فلهذا قال الشيخ بـ:

ومن أعجب الأشياء خلق مشيئة	بها صار مختار الهدى والضلالة
فقولك هل أختار تركًا لحكمه	كقولك هل أختار ترك مشيئتي
وأختار لا أختار فعل ضلالة	ولو نلت هذا الترك فزت بتوبة
وذا ممكن لكنه متوقف	على ما يشاء الله من ذي المشيئة

يقول الشيخ: إن من أعجب الأشياء أن خلق الله للعبد مشيئة يتمكن بها من كل ما يريد، فيختار بها الهدى إن كان من أهل السعادة، ويختار بها الضلالة إن كان من أهل الشقاوة، والعبد هو الذي يفعل ويعمل ويكسب من غير مانع له عما يريده، فقولك أيها المعترض عليه: هل أختار ترك حكم الله وقدره؟ مثل قولك: هل أختار ترك مشيئتي؟ يعني: فأنت الذي اخترت أفعال المعاصي، فلو زعمت أنك لا تختار ولا تحب فعل الضلالة والغي، فأنت بين أمرين: إمّا أن تكون كاذبًا، وهو الواقع لكل من يعترض على المعاصي بالقدر، ولكنه يريد بهذا الكلام دفع الشنعة عليه وقصده معروف، فهو يعرف من نفسه أنه لا يختار ولا يحب أن يترك ما باشره من الكفر والإجرام، فلو فرض وقدر على وجه الإمكان أنه صادق في قوله: إني أختار أن لا أختار فعل الضلالة، وكان ذلك من صميم قلبه صادقًا في ذلك، لو كان الأمر كذلك لكان هذا توبة لأن العبد متى كان له إرادة مصممة على فعل ما يحبه الله، وعلى ترك ما يكرهه الله أقبل بهذه الإرادة إلى الخيرات وانصرف عن السوء والسيئات وكان توبة له من جميع الموبقات.

ولكن من وفق لهذه الحال كان أبعد الناس عن الاحتجاج بالقدر، والوصول إلى هذه الدرجة العالية ممكن في حق كل أحد، ولكنه يتوقف

على مشيئة الله وإرادته، ومن لجأ إلى الله وأناب إليه وتضرع له هداه الله وشاء منه أن يفعل ما يحبه ويرضاه. وأشار الشيخ إلى هذا الفرق اللطيف بقوله: على ما يشاء الله من ذي المشيئة.

وذو المشيئة هو العبد، وهذا الفرق اللطيف هو أنه إن شاء تعالى أن يعين عبده على فعل ما يحبه ويرضاه وشاء من عبده ذلك الفعل حصل المطلوب، وفاز العبد بكل مرغوب، وإن لم يشأ تعالى إعانة عبده، بل أمره بالخير وأحب منه أن يفعله ونهاه عن الشر وكره له فعله، ولكن لم يشأ من نفسه إعانته بقي العبد على ما اختاره لنفسه من الإقامة على مساخط الله.

قال الشيخ بعدما أجاب بهذه الأجوبة السديدة والمعارف المفيدة.

فدونك فافهم ما أجبت به ... معان إذا انحلت بفهم غريزة
أشارت إلى أصل يشير إلى الهدى ... ولله رب الخلق أكمل مدحتي

أي: دونك هذه الأجوبة لما سألت عنه سواء كان السؤال سؤال استرشاد أو سؤال اعتراض وعناد كما هو الظاهر من ألفاظ السائل، وفحوى كلامه وهو الذي فهمه الشيخ، فهذه الأجوبة التي تشير وتبين هذا الأصل وهو أصل القدر، الذي هو أحد أصول الإيمان، وقد بيّن الشيخ في تفاصيل جوابه هذا الأصل بيانًا شافيًا، ووضحه توضيحًا كافيًا لا تجد هذا التفصيل وهذا التحقيق في كلام غير هذا الإمام العظيم، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين عمومًا وأهل العلم خصوصًا أفضل الجزاء، ورفعه في أعلى درجات الصديقين، ونفع بعلومه جميع المسلمين آمين.

خاتمة في ذكر أمثلة منوعة تكشف لك مسألة القضاء والقدر، حيث كان

هذا المقام من أهم الأمور وقد حارت فيه أفهام كثير من الأذكياء، ولم يهتد إلى الصواب المحض كثير من العلماء، وكثير منهم يأخذ مسائله على وجه التقليد غير مقتنع بوجه يجمع فيه بين الإيمان بشمول القضاء والقدر مع أن العبد هو الفاعل حقيقة لفعله وهو الممدوح أو الملوم على كسبه، مع أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا النظم حقق هذا المقام غاية التحقيق وبيّن الهدى فيه من الضلال حتى وضح الطريق، لكن الأمثلة تزيد البصير بصيرة وتزيل عن الشاك الطالب للحق الريب والحيرة، لهذا نقول في ضرب الأمثلة المتعلقة بهذه المسألة العظيمة:

المثال الأول: رجل كان مسرفًا على نفسه كثير الجرأة على المعاصي، فقال له صاحبه وهو يناصحه ويحاوره: أما ترتدع عما أنت عليه، أما تتوب إلى ربك وتنيب إليه، أما علمت أن عقابه شديد على العاصين؟ فقال المسرف: دعني أتمتع فيما أريد، فلو شاء الله لهداني ولو أراد لي غير ذلك لما أغواني، فقال له الناصح بهذا الاعتذار الكاذب: ازداد جرمك وتضاعف ذنبك، فإن الله لم يغوك، بل الذي أغواك الشيطان وانقادت له النفس الأمارة بالسوء حيث قال الشيطان مخاطبًا لربه: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٨٢- ٨٣].

فالشيطان دعاك إلى المعاصي فأجبته والله دعاك إلى الهدى فعصيته، بيّن الله لك السعادة وطرقها وسهل أسبابها ورغبك فيها ووضح لك طريق الشقاوة وحذرك من سلوكها واتباع خطوات الشيطان، وأخبرك بما تؤول إليه من العذاب الشديد، فرضيت واستبدلت الضلالة بالهدى والشقاوة على السعادة، وجعل لك قدرة وإرادة تختار بهما وتتمكن بهما من كل ما تريد،

ولم يلجئك إلى فعل المعاصي ولا منعك من الخير، فسلكت طريق الغي وتركت طريق الرشد فلا تلم إلا نفسك، أما سمعت ما يقول الداعي لأتباعه يوم القيامة حيث يقوم خطيبًا فيهم: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ﴾ الآية [إبراهيم: ٢٢]، فقال المسرف: كيف أستطيع أن أترك ما أنا فيه والله هو الذي قدره علي؟ وهل يمكنني الخروج عن قضائه وقدره؟ فقال له الناصح: نعم يمكنك الخروج من قَدَرِه بقَدرِه، فالتوبة والإقلاع عما أنت فيه، وأنت تعلم علمًا لا تشك فيه من قدر الله فارفع قدر الله بقدره.

ثم إن قولك: إن المعاصي الواقعة مني من قدر الله، إن أردت أن الله أجبرك عليها وحال بينك وبين الطاعة، فأنت كاذب وأول من يعلم كذبك نفسك، فإنك تعلم كل العلم أنك لو أردت ترك الذنوب لما فعلتها، ولو أردت إرادة جازمة فعل الواجبات لفعلتها، فلقد أقدمت على المعاصي برغبة منك ومحبة لها وإرادة لا تشك ولا يشك غيرك فيها وتعلم أن قولك: إنها بقضاء الله وقدره دفع للوم عنك، فهل تقبل هذا العذر لو ظلمك ظالم أو تجرأ عليك متجرئ، وقال: إني معذور بالقدر فلا تلمني، أما يزيدك كلامه هذا حنقًا، وتعرف أنه متهكم بك؟ فقال المسرف: بلى، هذا الواقع، فقال الناصح: كيف ترضى أن تعامل ربك الذي خلقك وأنعم عليك النعم الكثيرة بما لا ترضى أن يعاملك فيه الناس؟

وإن أردت بقولك إنها بقضاء وقدر، بمعنى أن الله علم مني أني سأقدم

عليها وأعطاني قدرة وإرادة أتمكن بهما من فعلها، وأنا الذي فعلت المعاصي بما أعطاني ربي من القوى التي مكنني فيها من المعاصي، وأعلم أنه لم يجبرني ولم يقهرني، وإنما أنا الذي فعلت، وأنا الذي تجرأت فقد رجعت إلى الحق والصواب، واعترفت بأن لله الحجة البالغة على عباده.

المثال الثاني: رجل جاء لبعض العلماء فقال له: أحب أن ترشدني إلى أمر يطمئن له قلبي وتقتنع به نفسي من جهة القضاء والقدر، فإني لا أشك أن جميع الحوادث بقضاء الله وقدره، وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأعلم مع ذلك أن أفعالي كلها باختياري وإرادتي وأنا الذي عملتها، هذا أمر ضروري لا أشك فيه، وأعتقد أنه لا يشك فيه أحد، ولكن أحب طريقة تهديني إلى كيفية الجمع بين الأمرين.

فقال العالم: الجواب المقنع في هذه المسألة أنك إذا علمت أن الله خلقك وخلق أعضاءك الظاهرة وأعضاءك الباطنة، هذا أمر لا تشك فيه ولا يشك فيه مسلم، ومن أعظم الأعضاء الباطنة أن الله جعلك مريدًا لكل ما تحبه، كارهًا لما تبغضه إجمالًا وتفصيلًا، وأن الله أعطاك قدرة توقع بها جميع ما تريد فعله، وتنكف بها عما تريد تركه، فأنت تعترف بذلك ولا تستريب فيه، وتعرف مع ذلك أنك إذا أردت أمرًا من الأمور إرادة جازمة، وأنت تقدر عليه فعلته من دون توقف حتى أن الأمور المستقبلة التي تريد فعلها إرادة جازمة تقول فيها: سأفعل كذا إن شاء الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣- ٢٤]، فإذا اعترفت بذلك كله، يعني اعترفت بأنه تعالى خلقك وخلق قواك الظاهرة والباطنة ومكنك من كل ما تريد بما أعطاك من قدرة ومشيئة، وأنت الذي

تختار وتفعل أو تترك فقد جمعت بين الأصلين: الاعتراف بعموم قدر الله، وأن أفعالك كلها من كسبك، وأنه إن وفقك للخير فبفضله وتيسيره، وإن لم يوفقك بل وكلك إلى نفسك فلا تلومن إلا نفسك، ومعرفة هذه المقدمات سهلة بسيطة، وبها يحصل لك الاقتناع التام.

ففعلك داخل في عموم قدرة الله وخلقه لأن خالق السبب التام هو الخالق للمسبب، والسبب التام قدرتك وإرادتك، والله هو الذي خلقهما وأنت الذي تفعل بهما، وإنما الإشكال الذي لا يمكن حله لبطلان أحد أصليه اعتقادك أنك مجبور على أفعالك، فهذا الذي لا يمكن العبد أن يعترف معه أن الأفعال أفعاله، وهذا يعلم بطلانه بالضرورة كما سبق بيانه، فقال الرجل السائل المسترشد: لقد وضحت المسألة وضوحًا لا أشك فيه، علمت بأن الله خلقني وخلق جميع أوصافي، وخلق الأسباب التي أتمكن بها من الأفعال، وأنا الذي أفعل وأطيع إن ساعدني الله بتوفيقه، وأعصي وأغفل إن وكلني إلى نفسي.

فقال العالم: وأزيدك إيضاحًا وبيانًا لهذا السؤال، قال الله لخيار المؤمنين: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧] فلم يقل: ولكن الله أجبركم على الإيمان إلى آخره، ولكنه لما علم تعالى حالة النفس وأنها ظالمة جاهلة أمارة بالسوء لطف بالمؤمنين، وحبب إلى قلوبهم الإيمان وزينه فيها، فانقادت إلى الخيرات باختيارها لما جعل في قلوبهم من هذه الأوصاف الجليلة، ولما كره إليهم الكفر والفسوق والعصيان انصرفوا عنها لكراهتهم لها، وكان هذا لطفًا وكرمًا منه.

وأما الآخرون فلم يجعل لهم نصيبًا من هذا اللطف فانحرفوا باختيارهم وكانوا هم السبب لأنفسهم، حيث كانت مقاصدهم فاسدة وحيث عرض عليهم الخير فرفضوه، واعترض لهم الشر والغي فاختاروه فولَّاهم ما تولوا لأنفسهم واللوم كله عليهم، والحجة البالغة لله على العباد كلهم: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

وأزيدك إيضاحًا وبيانًا: ألست تفرق ويفرق كل أحد بين حركة المرتعش بغير اختياره وبين حركة الباطش والكاتب باختياره، وتعلم أن الأخير فعل العبد حقيقة، والأول مقسور عليه؟! وما أشبه ذلك من الحركات التي من هذا النوع، تفرق بين الحركة الاختيارية والحركة الاضطرارية، فمن ألحق أحد القسمين بالآخر وساواه فهو مختل الشعور.

قال الرجل: جزاك الله خيرًا، فلقد أزلت عني كل إشكال واقتنعت بذلك غاية الاقتناع.

المثال الثالث: قضية الرجل الجبري:

كان رجل قد غلا في الجبر والقدر غلوًا عظيمًا، فكان يعتذر بالقدر عند كل جليل وحقير حتى آلت به الحال إلى الاستهتار وانتهاك أصناف المعاصي، وكلما نُصِحَ، ولِيمَ على أفعاله جعل القدر حجة له في كل أحواله، وكان له صاحب يعذله وينصحه عن هذه المقالة التي تخالف العقل والنقل والحس، ولا يزيده العذل إلا إغراءً، وكان صاحبه ينتظر وينتهز الفرصة في إلزامه بأمور تختص به وتتعلق، وكان هذا الجبري صاحب ثروة، له أموال منوعة قد وكل عليها الوكلاء والعملة، فصادف في وقت متقارب أن جاءه

صاحب ماشيته فقال: إن الماشية هلكت وتلفت جميعها لأني رعيتها في أرض جدبة، ليس فيها عود أخضر، فقال له: فعلت ذلك وأنت تعلم أن الأرض الفلانية مخصبة؟ فما عذرك في ذلك؟! فقال: قضاء الله وقدره، وكان ممتلئًا غضبًا قبل ذلك، فزاد غضبه من هذا الكلام واستشاط غضبه وكاد يتقطع من هذا الاعتذار.

وجاءه صاحب البضائع فقال: إني سلكت الطريق المخوف فاقتطع المال قُطّاع الطريق، فقال له: كيف تسلك هذا الطريق المخوف مع علمك أنه مخوف وتترك الطريق الآمن الذي لا تشك في أمنه؟! فأجابه بمثل جواب الراعي للماشية وعمل معه الجبري ما عمله مع صاحبه.

ثم جاءه وكيله على تربية أولاده وحفظهم، فقال: إني أمرتهم أن ينزلوا في البئر الفلانية ليتعلموا السباحة فغرقوا، فقال: لِمَ فعلت ذلك وأنت تعلم أنهم لا يحسنون السباحة، والبئر المذكورة تعلم أن ماءها غزير، فكيف تتركهم ينزلون فيها وحدهم، وأنت لست معهم، فقال: هكذا قضاء الله وقدره، فغضب عليه غضبًا لا يشبه الغضب على الأولين، وكاد الغضب أن يقتله، وكل واحد من هؤلاء الذي وكلهم على ما ذكرنا يزداد غضبه عليه إذا قال له: هذا قضاء الله وقدره.

فحينئذٍ قال له صاحبه: يا عجبًا لك يا فلان كيف قابلت هؤلاء المذكورين بهذا الغضب البليغ، ولم تعذرهم حين اعتذروا بالقدر، بل زاد هذا الاعتذار في جرمهم عندك، وأنت مع ربك في أحوالك المخجلة قد سلكت مسلكهم وحذوت حذوهم، فإن كان لك عذر فهم من باب أولى

أعذر وأعذر، وإن أعذارهم تشبه التهكم والاستهزاء، فكيف ترضى أن تكون مع ربك هكذا.

فانتبه الجبري حينئذٍ وصحا بعدما كان غارقًا في غلوه، وقال: الحمد لله الذي أنقذني مما كنت فيه، وجعل لي موعظة وتذكيرًا من هذه الوقائع التي وقعت لي، ولمست فيها غلطي الفاحش، والآن أعتقد أن ما حصل لي من نعمة الهداية إلى الحق أعظم عندي من هذه المصائب الكبيرة، كما تحقق فيها قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

المثال الرابع: تخاصم القدري مع الجبري:

طال الخصام بين قدري يعتقد أن أفعال العباد لا تتعلق بها مشيئة الله، وبين جبري يعتقد ضد ذلك، وأنهم مجبورون على أفعالهم، واقعة بغير اختيارهم لأنهما متباعدان في طرفي نقيض، فاتفقا على التحاكم إلى عالم من علماء أهل السنة يعرفان كمال معرفته، وكمال دينه.

فقال السني ليعرض كل منكما علي مقالته، ولكما علي أن أدقق الحكم بينكما وأن أرد ما مع كل واحد من باطل وأثبت ما معه من الحق.

فقال القدري: أنا أقول: إن الله حكم عدل لا يظلم من عباده أحدًا، ومن مقتضى إثباتي لهذا الأصل أنِّي أنزه ربي عن أن تكون الفواحش الواقعة من العباد واقعة بمشيئة الله بل العبد هو الذي تجرأ عليها، وهو الذي فعلها استقلالًا، وأدلتي على هذا جميع النصوص الدالة على أن الله ليس بظالم لعباده مثقال ذرة، وأنه حكم عدل لأن تعلق مشيئته بأفعالهم، ثم تعذيبهم

عليها ظلم من جهتين: من جهة إضافتها إلى مشيئته، وظلم من جهة كيف يعذبهم على أمر هو الذي شاءه وقدره؟! ثم إني لو قلت: إنها واقعة تحت مشيئة الله لأبطلت بذلك أمر الله ونهيه، بل في ذلك إبطال للشرع، فأنا ما رأيت السلامة من هذا المحذور والمحظور إلا بهذه الطريقة العادلة التي يرتضيها كل عاقل منزه لله.

فقال الجبري: أنا أقول إن الله على كل شيء قدير، وأنه خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، قضايا لا يمكن لمسلمٍ أن ينكرها، ولا ينازع فيها، وهذا عموم لا يخرج عنه حادث، ومن أعظم الحوادث أفعال العباد من طاعات ومعاصٍ وغيرها، فلو أنها خارجة عن قدرة الله ومشيئته لم يكن الله قديرًا على كل شيء، ولا خالقًا لكل شيء، ومقتضى ذلك أن العباد مجبورون على أفعالهم غير مختارين لها، لأنهم لو اختاروها وفعلوها حقيقة لخرجت عن مشيئة الله وقدرته، فتعين القول بالجبر، وأنهم مجبورون مقسورون على أفعالهم قد نفذت فيهم مشيئة الله وصرفتهم الإرادة.

وأدلتي على قولي هذا جميع النصوص المثبتة لعموم خلق الله ومشيئته وقدرته، وإني لو قلت: إن العبد فاعل حقيقة لفعله لأخرجت هذا القسم عن مشيئة الله وإرادته.

فقال الحاكم السني: لقد وضح كل واحد منكما مذهبه توضيحًا كاملًا واستدل كل واحد منكما بأدلة لا يمكن المنازعة فيها لكثرتها ووضوحها، ولكن كل واحد منكما لم ينظر المسألة من جميع نواحيها، بل لحظ جانبًا وعمي عن الجانب الآخر، وكثير من الأغلاط يأتي من هذا السبب،

وسـأحكم بينكما بحكـم يـستند عـلى الكتـاب والـسنة ويـستند إلى العقـل والفطرة، وسأقنع كل واحد منكما إن كان قصده طلب الحقيقة.

أما أنت أيها القدري فأصبت بقولك: إن أفعال العبيد كلها مـن كـسبهم، وكلهـا مـن فعلهـم طاعاتهـا ومعاصـيها وغيرهـا مـن أفعـالهم، وأصـبت في استدلالك عليها بأن الله نسبها وأضافها إليهم، وأصبت في تبريك من قـول يلزم منه إسقاط الأمر والنهي وهو الجبر، ولكنك أخطأت خطأً كبيرًا، حيث زعمت أن مشيئة الله وقدرته وخلقه لا تعلق لها بأفعال العباد، فنفيت عمـوم النصوص الدالة على هذا الأصل وظننت أن إثبات عموم الخلق والمشيئة لله ينافي كون الأفعال الصادرة من العباد تكون باختيارهم ومن كسبهم، وهذا الظن غلط محض، بل المؤمن العارف يجمع بين الأمرين يثبت لله تعالى أنه خالق كل شيء من الأعيان والأوصاف والأفعال، وأنه مع ذلك، الأفعال صادرة منهم حقيقة.

وأما أنت أيها الجبري، فلقد أصبت بإثباتك أن الله على كل شيء قدير، وأنه خالق كل شيء، وأنه ما شاء الله كان، ووجب وجوده، وما لم يشأ لم يكن، وأصبت في هذا الاستدلال ولكنك أخطأت خطأ كبيرًا، حيث زعمت أن من لوازم إثبات عموم مشيئة الله أن العبد مجبور على أفعاله، لم تقع بمشيئته، وظننت أن إثبات عموم القدر يقتضي منك أن تقول هذا القول.

ثم قال السني أيضًا لهما: لقد قال كل منكما قولًا ممزوجًا حقه بباطله وسأحكم بينكما بحكم يتضمن إثبات ما مع كل منكما من حق، وإبطال ما مع كل منكما من باطل، وقد دل على هذا الحكم عدة نصوص، منها قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾

[التكوير: ٢٨ - ٢٩]، فهذه الآية الكريمة حكمت بينكما فإن الله أثبت للعبد مشيئة، بها يفعل ويسلك الصراط المستقيم أو يدعه باختياره ومشيئته، وأخبر أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله غير خارجة عنها، فمشيئة الله عامة لا يخرج عنها شيء، ومع ذلك فالعباد هم الذين يعملون ويطيعون ويعصون، ومع أن هذا هو الذي دلت عليه النصوص الشرعية من الكتاب والسنة فهو الذي يدل عليه العقل والواقع والحس، فإن الله خلق العبد وخلق ما فيه من جميع الأوصاف والقوى، ألستما تعترفان بذلك وكل عاقل يعترف به؟ قالا: بلى.

قال السني: فإن من جملة أوصاف العبد التي خلقها الله فيه أنه أعطاه قدرة ومشيئة يتمكن بهما من كل ما يريده من خير وشر وطاعة ومعصية، وبهما تقع طاعاته ومعاصيه، وتعلمان أن العبد متى أراد أمرًا من الأمور التي يقدر عليها، فعله بتلك القدرة والإرادة اللتين خلقهما الله فيه، فإذا أوقع العبد بهما فعلًا من أفعاله دخلت تحت عموم قدر الله؛ لأن خالق السبب التام الذي هو قدرة العبد وإرادته خالق للمسبب، يعني لما يصدر عنهما، وكل منكما يعترف أن الله خالق قدرة العبد ومشيئته كما خلق جميع قواه الظاهرة والباطنة، فإذا اتفقتما على هذا القول، الذي هو الصواب، بما عرف من دلالة النصوص الشرعية عليه، وأنه هو المعقول المحسوس عاد الأمر إلى الوفاق، فليتبرأ كل منكما من الباطل الذي معه، وليعترف بالحق الذي مع صاحبه ليتبرأ الجبري من اعتقاده أن العبد مجبور مقهور على أفعاله، وليعترف أنها واقعة بكسبه وفعله حقيقة، وليتبرأ القدري من اعتقاده أن أفعاله غير داخلة تحت مشيئة الله، وغير شامل لها خلق الله وقدره، وليعترف بعموم

خلق الله وشمول قدره.

والحمد لله الذي بيّن الصواب ووفق من شاء من عباده لاتباعه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

المثال الخامس: في الآجال والأرزاق:

اعلم أن الآجال والأرزاق كسائر الأشياء، مربوطة بقضاء الله وقدره، فالله تعالى ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦]، ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] فهذا أمر لا ريب فيه ولا شك، ومع ذلك فهي أيضًا كغيرها لها أسباب دينية وأسباب طبيعية مادية، والأسباب تبع قضاء الله وقدره، ولو كان شيء سابق القضاء والقدر من الأسباب لسبقته العين لقوتها ونفوذها.

فمن الأسباب الدينية لطول العمر وسعة الرزق لزوم التقوى والإحسان إلى الخلق لا سيما الأقارب كما ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره** (أي يطيل عمره) **فليصل رحمه**» وذلك أن الله يجازي العبد من جنس عمله، فمن وصل رحمه وصل الله أجله ورزقه وَصْلًا حقيقيًا، وضده من قطع رحمه قطعه الله في أجله وفي رزقه، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، ومن الأسباب الدينية لقطع طول العمر: البغي، والظلم للعباد، فالباغي سريع المصرع، والظالم لا يغفل الله عن عقوبته، وقد يعاقبه عاجلًا بقصم العمر، ومن الأسباب الدينية لمحق الرزق: المعاملات المحرمة بالربا والغش، وأكل

أموال الناس بالباطل، فصاحبها يظن بل يجزم أنها توسع عليه الرزق، ولهذا تجرأ عليها، والله تعالى يعامله بنقيض قصده، قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، فالمعامل بالربا يُمْحَقُ صاحبه ويمحق ماله وإن تمتع به قليلًا فمآله إلى المحق والقل، كما أن المتصدق يفتح الله له من أبواب الرزق ما لا يفتحه على غيره، كما قال النبي ﷺ: «**ما نقصت صدقة من مال بل تزيده ثلاثًا**»(١)، وكذلك الغش وأكل أموال اليتامى والأوقاف بغير حق من أكبر أسباب المحق، مع ما على صاحبها من الإثم والعقوبة.

ومن أسباب طول العمر وقصره الطبيعية: الصحة والمرض، فالمعافى من الأسقام والعافية سبب لطول العمر، كما أن الأمراض بأنواعها سبب لقصره، والمسكن والبقعة إذا كانت صحيّة طيبة الهوى صارت من أسباب عافية أهلها وطول أعمارهم والعكس بالعكس، البقاع الردية المناخ والهوى، أو البقاع الوبية سبب لقصر العمر كما هو مشاهد، والتوقي عن المخاطر والتهالك واستعمال الأسباب الواقية فائدتها في طول العمر ظاهرة، والإلقاء بالنفس إلى التهلكة وسلوك المخاطر وكل أمر فيه خطر سبب ظاهر للهلاك، والأمثلة في هذا كثيرة.

ومن الأسباب المادية في حصول الرزق وسعته استعمال المكاسب النافعة، وهي كثيرة متنوعة كل أحد يناسب له منها ما يوافقه ويحسنه ويليق بحاله كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ

(١) صحيح مسلم ومسند أحمد، وكلها بدون: «بل تزيده».

﴿مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، فيدخل في هذا العمل جميع الأسباب النافعة، وكذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ﴾ [البقرة: ٢٦٧] إلى غير ذلك من الآيات.

وكل هذه الأمور تابعة لقضاء الله وقدره، فإن الله تعالى قدر الأمور بأسبابها، فالأسباب والمسببات من قضاء الله وقدره، ولهذا لما قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئًا؟ قال: «**هي من قدر الله**»(١).

وكذلك الأدعية المتنوعة سبب كبير لحصول المطلوب والسلامة من المرهوب، وقد أمر الله بالدعاء ووعد بالإجابة والدعاء نفسه، والإجابة كلها داخلة في القضاء والقدر.

وقد جمع النبي ﷺ الأمر بالعمل بكل سبب نافع مع الاستعانة بالله، كما ثبت في الصحيح مرفوعًا: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله**»(٢)، فهذا أمر بالحرص على الأسباب النافعة في الدين والدنيا مع الاستعانة بالله؛ لأن هذه الاستقامة، وذلك لأن الانحراف من أحد أمور ثلاثة: إما أن لا يحرص على الأمور النافعة، بل يكسل عنها وربما اشتغل بضدها أو يشتغل بها ولكن يتوكل على حوله وقوته، وينظر إلى الأسباب ويتعلق جميع قلبه به وينقطع

---

(١) الترمذي.

(٢) جزء من حديث رواه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عن مسببها، أو لا يشتغل بالأسباب النافعة ويزعم أنه متوكل على الله، فإن التوكل لا يكون إلا بعد العمل بالأسباب، فهذا الحديث بيّن به النبي ﷺ الطرق النافعة للعباد.

ولنقتصر على هذا فإنه يحصل به المقصود والله أعلم، وصلى الله على محمد وسلم.

قال ذلك وكتبه عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين.

وافق الفراغ منه في ٣ من ربيع الأول سنة ١٣٧٦هـ.

وتم نقله من خط المؤلف بيد الفقير إلى مولاه بكل أحواله محمد بن سليمان البسام في ٢٠ من شعبان سنة ١٤٢١هـ.

بلغ مقابلة وتصحيحًا على نسخة بخط المؤلف وذلك بحسب الإمكان بقلم كاتبه وابنه منصور، نسأل الله المغفرة والرحمة، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. وذلك في يوم ٦/ ٣/ ١٤٢٢هـ.

ثلاث رسائل :

- حكم إجزاء سُبع البدنة والبقرة عن الشاة في الإهداء وغيره
- فائـــدة تشتمل على نبذة من آداب المعلِّمين والمتعلِّمين
- نبـذة مختـصرة إجماليـة عـن الإسـلام والإشـارة إلى مهمـات محاسنه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله.

أما بعد:

فهذه ثلاث رسائل من تأليف شيخنا عبد الرحمن بن ناصر السعدي، إحداها: إجزاء سُبع البدنة والبقرة عن الشاة في كل الأحوال.

والثانية: حكم آداب العالم والمتعلم وما يجب عليهما وما يستحب لهما.

والثالثة: بيّن فيها محاسن الإسلام وما فيه من الخير والسعادة في الدنيا والآخرة.

فجزاه الله خير الجزاء ورفع درجاته في أعلى عليين، وجمعنا به ووالدينا ومن نحب في الدار الآخرة بمنِّه وفضله، إنه الكريم المتفضّل المنان. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

قال ذلك وكتبه الفقير إلى ربه
محمد بن سليمان العبد العزيز البسام
المدرّس في المسجد الحرام سابقًا

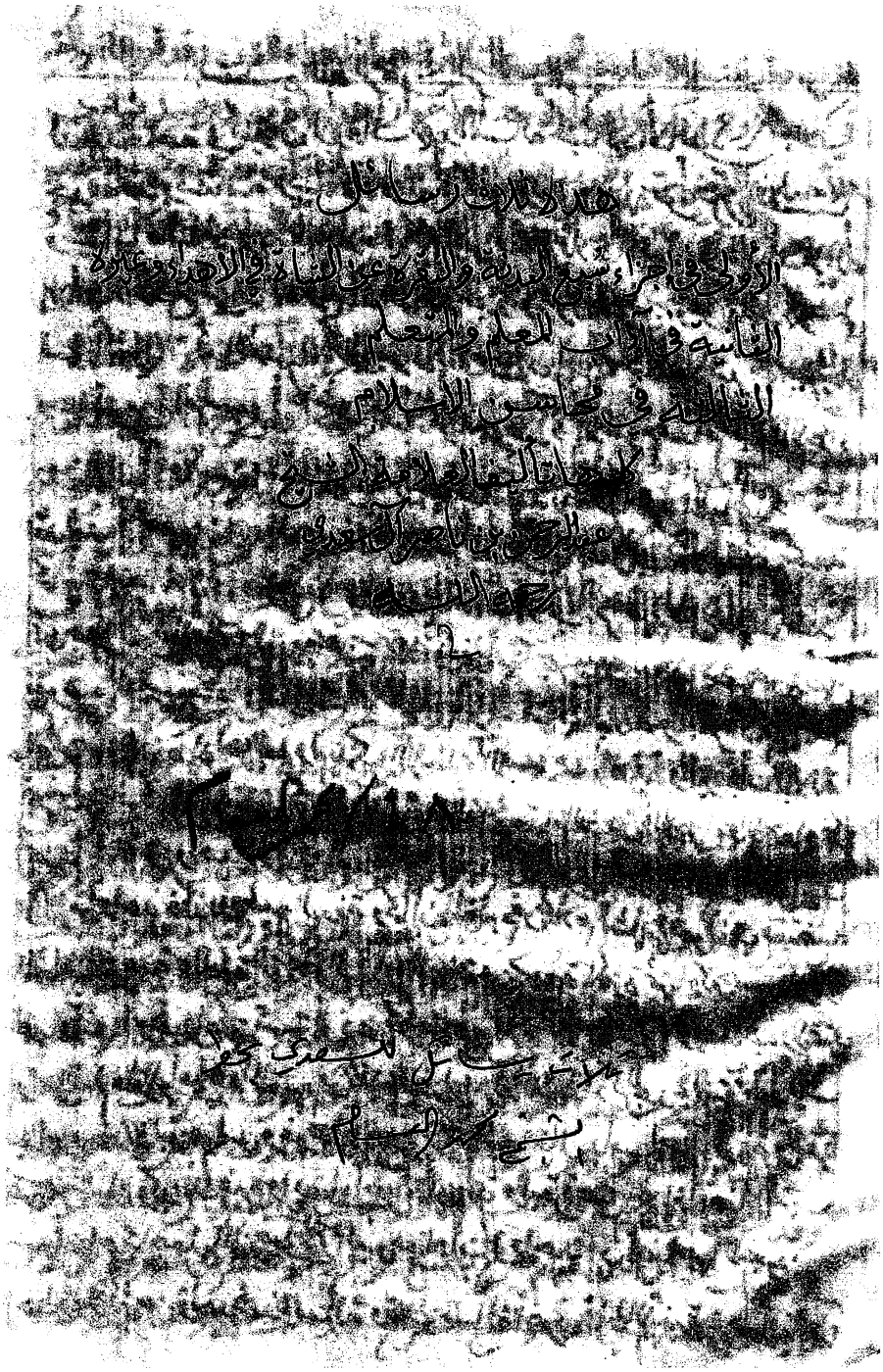

بحيث لايقاربه أي كلام كان . ومن جهة ما فيه من علوم الغيب التي وقعت مطابقة للواقع في زمان النبوة وبعده ولاتزال تظهر حينا بعد حين ومن جهة اتفاق معانيه وعدم الاختلاف فلو كان من عند غير الله لوجد وافيه اختلافا كثيرا . ومن جهة ما اشتمل عليه من العلوم الراقية الشرعية والتشريعية والكونية . ومن جهة عجز الخلق عن معارضته ومناقضته وابداء خلاف ما اخبر به مع التحدي التام للأولين والآخرين فلا تعارض ألفاظه ولا معانيه . ومن جهة تحقيقه لأمور كانت مجهولة للخلق من المسائل العلمية والتاريخية التي لم تكن موجودة في زمن البعثة كما قرر ذلك حكماء هذه الأمة في الأزمنة الأخيرة فهو أكبر دليل وبرهان على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وان الدين الذي استمد منه هو دين الله حقا الذي شرعه لعباده وجعله موصلا الى سعادة الدنيا والآخرة وبالله التوفيق . قال ذلك وكتبه الفقير الى الله من جميع الوجوه عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي غفر الله له ولوالديه وللمسلمين . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ونقله من خط المؤلف الفقير الى مولاه محمد بن سليمان بن عبد العزيز آل بسام بتاريخ ١٣٦٢/٤/٢٥هـ

آخر رسالة من رسائل السعدي

بخط بسمي محمد بسام

حكم إجزاء سُبع البدنة والبقرة عن الشاة

في الإهداء وغيره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لدعاء الحاجة في كثير من الأوقات لهذه المسألة كتبنا فيها ما يلي:

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد، فقد كثر سؤال الناس عن إجزاء البدنة والبقرة عن سَبْع شِيَاهٍ، وهل تقوم مقام السبع في كل شيء من إجزاء وإهداء، أم تقوم مقام السبع في الإجزاء دون الإهداء؟

فأجبت مستعينًا بالله راجيًا منه الهداية الظاهرة والباطنة.

قد ثبت في «الصحيح» من حديث جابر وغيره أن النبي ﷺ جعل البدنة والبقرة عن سبعة(١)، كما ثبت عنه أنه لا يجزي في الأضاحي إلا جذع من الضأن أو ثني المعز(٢)، ففهم أهل العلم من هذا أنَّ جعل النبي ﷺ البدنة عن سبعة يعني أنها تجزي عن سبعة أشخاص، وأنها تنوب مناب سبع شياه. كما أن سبع الشياه تنوب مناب البدنة والبقرة، ولم يزل هذا هو الموجود في أذهان أهل العلم، ولم يذكروا إلا خلافًا لإسحاق بن راهويه وغيره، بأن البدنة تجزي عن عشر شياه.

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٨٧، ٨٨)، والترمذي (٣٦٥)، وانظر: نيل الأوطار (٥/ ١٨٦).

(٢) كما في المقنع (٣٣٨).

ومقتضى هذا أن كل سُبْعٍ منها قائم مقام الشاة في الإجزاء والإهداء، فكما تجزي الشاة عن واحد فيجزي سبع البدنة عن واحد، وكما يجوز إهداء الشاة في الثواب لأكثر من واحد فكذلك سُبع البدنة. وكما أن المفهوم من كلام الشارع فهو الذي تقتضيه المعاني الشرعية، والحكمة التي جعل الشارع البدنة عن سبعة لكثرة ثمنها وكبر جسمها وكثرة لحمها ونفعها، وهذه الحكمة تسبق إلى ذهن كل من سمع كلام النبي ﷺ، لا يشك فيه ولا يمتري.

وأهل العلم ما زالوا على هذا المفهوم من كلام الشارع، ولذلك لما ذكر المجد في «المنتقى» حديث جابر وحديث ابن عباس وغيرهما في ذلك ترجم عليه، فقال: «باب إجزاء البدنة والبقرة عن سبع شياه»(١)، وكذلك غيره. وأيضًا فإجزاء البدنة والبقرة عن سبع إنما معناه أنها سبع أضاحي كما جعلها النبي ﷺ، ليس معناه أن كل واحدة من أضاحيها لا يجوز إهداؤه لأكثر من واحد، فهذه مسألة وتلك مسألة أخرى، فإن الأخيرة هي مسألة إهداء القُرَب، وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة المتكاثرة جواز إهداء القُرَب، وقد قرّرها ابن القيم في كتاب «الروح»(٢). وذكر أدلة كثيرة جدًا على جواز إهداء القُرَب ووصول ثوابها للأحياء والأموات، وهو مذهب الإمام أحمد الذي لا يختلف مذهبه فيه.

والمقصود أنه يجب التفريق بين المسألتين، وأن لا يجعل عدم إجزاء

---

(١) المنتقى (٢٩٤).

(٢) الروح (١٧٢).

البدنة عن غير سبع أضاحي منقولًا إلى تلك المسألة، ويسد باب فضل الله وكرمه من غير مانع ولا دليل.

وأيضًا صاحب هذا القول يتناقض، فإنه يجوّز إهداء الشاة الواحدة لأكثر من سبعة، ولا يجوّز إهداء جملة البدنة لأكثر من سبعة، ومع تناقض هذا القائل فليس عنده حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف في ذلك، ولا قول واحد من الصحابة، بل ولا قول واحد من أصحاب الإمام أحمد، وإنما نصوصهم على خلاف ذلك، كما سنذكرها إن شاء الله تعالى.

وقد قال ابن أبي عمر في «الشرح الكبير»: «ولا بأس أن يذبح الرجل عن أهل بيته شاة واحدة أو بدنة أو بقرة يضحّي بها، نصّ عليه أحمد، وبه قال مالك والليث والأوزاعي وإسحاق» إلى آخر كلامه[1]، فصرّح أن البدنة والبقرة قابلة لإهدائها لأكثر من سبعة كالشاة.

والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين[2] على سعة اطلاعه على كلام الأصحاب، لـمَّا سئل عن إهداء سبع البدنة أو سبع البقرة لأكثر من واحد أجاب بأنه لم ير فيها ما يدل على المنع ولا على الجواز، وإن كان بعض الذين أدركنا يفعلون ذلك، هذا نص فتواه[3]، فلو كان عنده من كلام أحد من الأصحاب ما يدل على المنع لذكره، ولو فهم ما فهمه بعض

(١) «الشرح الكبير» (٣٤٣).

(٢) ولد ١١٩٤، وتوفي ١٢٨٢، انظر إلى «السحب الوابلة» (٦٢٦)، و«علماء نجد» (٢/ ٥٦٧).

(٣) «فتاوى أبا بطين» (٢١٨).

المتأخرين من قول الأصحاب: «وتجزي البدنة والبقرة عن سبعة» أنه سبعة أشخاص حتى في إهداء أجرها= لذكر ذلك، فدلّ على أن الإفتاء بالمنع من جواز إهداء سبع البدنة حادث لم يعرفه الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد حرصت على البحث في هذه المسألة، وراجعت ما تيسّر لي مراجعته من كتب الأصحاب، فلم أر أحدًا منهم صرَّح بالمنع، بل ولا هو ظاهر من عبارته، بل الذي رأيته من كلامهم في عدة مواضع التصريح بهذه المسألة، وأنها هي المذهب قولًا واحدًا، وهاك نقل كلامهم الدال على ما ذكرته ليتّضح لك ويتبيّن لك الصواب.

قال في «المنتهى» و«شرحه»، و«الإقناع» و«شرحه»، وما قبلها وما بعدها من كتب الأصحاب في آخر جزاء الصيد: «وتجزي البدنة والبقرة عن سبع شياهٍ، كعكسه، كما تجزي سبع الشياه عن البدنة والبقرة»، فانظر رحمك الله هذه العبارة، وأنها تدل دلالة لا تقبل الاشتباه أن البدنة جميعها تجزي عن سبع شياه، فإذا كانت سُبعُ الشياه قد تقرر أنه يجوز إهداؤها لأكثر من سبعة أشخاص فالبدنة والبقرة كذلك، وكما أن هذه العبارات تدل على جملة البدنة والبقرة فإنها تدل على سُبعهما من باب أولى وأحرى، وأن سُبع كل منهما قائم مقام الشاة في كل شيء، ومن ذلك إذا أهدى الشاة لأكثر من واحد فإنها تجزي فكذا سُبع البدنة، ولو كان لا يجزي لاستثنوه من هذا العموم كما قالوا مريدين التعميم: «ولو في جزاء الصيد» إشارة لما في جزاء الصيد من الخلاف، بل قد ورد حديث بهذا اللفظ ترجم عليه في «المنتقى»[1]،

(١) المنتقى (٢٩٤).

فقـال: «بـاب إن البدنـة والبقـرة عـن سـبع شـياه وبـالعكس، عـن ابـن عبـاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أن النبـي ﷺ أتـاه رجـل فقـال: إن عـليَّ بدنـة وأنـا مـوسر لهـا ولا أجـدها فأشـتريها، فـأمره النبـي ﷺ أن يبتـاع سـبع شـياه»، رواه أحمـد وابـن ماجه»، ثم ذكر على هذه الترجمة حديث جابر: «أن النبي ﷺ أمرنا أن نشترك في الإبـل والبقـر كـل سـبعة منـا في بدنـة»، متفـق عليـه(١)، وفي روايـة: «في الحج والعمرة».

والمقصود أن كلامهم في هذا الموضع في المختصرات والمطولات متفق على هذا المعنى، وأن البدنة تجزي عن سبع شياه، في كل حال، فمن ادعى استثناء شيء فعليه الدليل وأنّى له ذلك.

الموضع الثاني:

قـالوا في كتـبهم المختـصرة والمطوّلـة؛ «الإقنـاع»(٢) و«المنتهـى»(٣) و«المقنع»(٤) وشروحها ومختصراتها وتوابعها في آخر الجنائز: «وأي قربـة فعلها المسلم وأهداها أو بعضها، كنصفها أو ثلثها أو ربعها لمسلمٍ حيٍّ أو ميت نفعه ذلك»، ومثَّلوا بالصلاة والصيام والصدقة والحج والأضحية، فمنهم من صرَّح بالأضحية في هذا المقام، كصاحب «الإقناع»(٥)، ومنهم

(١) البخاري (٣/ ٤٣٢)، مسلم (٢/ ٨٨٢).
(٢) الإقناع (٣٧٤).
(٣) المنتهى (٢٦٠).
(٤) المقنع (٢٥٧).
(٥) الإقناع (٥٢).

من عمَّم الحكم بجميع القُرَب، وهذا نصٌّ صريح منهم أن من أهدى أضحية سواء كانت من الغنم أو من الإبل أو من البقر، أو أهدى بعضها كالنصف والثلث والربع وأقل من ذلك أنه يصل إلى المُهْدَى إليه، وينتفع به.

فلو قال في حياته: هذه أضحية عني وعن والدي وذبحها من الغنم أو من البُدن فحكمها واحد، وكذلك لو أهداها بعد وفاته وجعل في وصيته أضحية له ولوالديه أو غيرهما جاز ذلك، ووصل إليهم الثواب، ومن قال إن أضحية الشاة تصل إليهم وأضحية البدنة (وهي السُّبع منها أو من البقرة) لا يصل، فقد أتى بشيء من عنده، وخالف نص الأصحاب، كما خالف دليل السُّنّة لغير مستند شرعي، إلا أن يدَّعي أن الأضحية في هذا المقام لا تطلق إلا على الشاة، وأما سُبع البدنة وسُبع البقرة فلا يسمَّى أضحية، وهذا مخالف للنص والإجماع.

وهذا يبين لك أن مرادهم بقولهم في باب الأضحية والهدي: «وتجزي البدنة والبقرة عن سبعة» أنها تكون سَبع أضاحي، ليس مرادهم أن سُبع البدنة والبقرة في باب الإهداء والإحسان لا يُهْدَى لأكثر من واحد؛ لأنه لو كان هذا مرادهم لتناقض كلامهم، ولكنه ولله الحمد متفق على المراد في الموضعين، ففي باب الأضاحي والهدي، يقال: «إن البدنة والبقرة عن سبعة وسبع أضاحي لا أكثر»، كما دل عليه النص: وفي باب الإهداء: «يجوز إهداء سُبْعِها لأكثر من واحد، كما تُهْدَى الشاة لأكثر من واحد»، مع أنها أضحية واحدة لا تجزي إلا عن أضحية واحدة، فالواجب الفرق بين البابين وأن لا يخلط أحدهما بالآخر فيختلط الأمر على صاحبه.

يوضح هذا: أنه لو أهدى صلاةً واحدة أو صيامَ يومٍ واحد أو صدقةً

بدرهم واحد أو ثوب واحد ونحوه لأكثر من واحد لوصل إليه، فما بال الأضحية لا تصل إلا إذا كانت من الغنم؟

فمن نظر إلى كلامهم في هذا الموضع جزم بلا امتراء أن الطريق واحد في الأضاحي كلها، سواء شاة أو سُبع بدنة أو سُبع بقرة.

الموضع الثالث:

في قولهم في الكتب المختصرة والمطولة في الدماء الواجبة: «والدم الواجب شاة أو جذع ضأن أو ثني معز أو سُبع بدنة أو سبع بقرة»، فهذا أيضًا نصٌ صريح أن من وجب عليه دم، سواء كان لواحد كنفسه وأبيه مثلًا أو لعدد، كوصية واجبة فيها أضحية واحدة لعدة أشخاص= أنه يجزي فيها أحد الأمور الثلاثة، وهذا واضح ولله الحمد.

الموضع الرابع: كلامهم في الوقف والوصايا:

فإنهم صرَّحوا بوجوب اتباع لفظ الموصي، فإذا قال الموصي في وصيته: «يخرج منها أضحية لوالدي ووالديهم» مَثَلًا، نظرنا عند تنفيذ هذه الوصية ما يسمَّى أضحية شرعية، فنجده واحدًا من ثلاثة أشياء: شاة، أو سُبع بدنة، أو سبع بقرة، فإذا نفّذنا هذه الوصية بحسب إطلاق الشارع وبحسب العُرْف الجاري؛ وهو أن كلًّا منها أضحية كنا منفّذين لهذه الوصية، وخرجنا من التَبِعَة.

فأما أن نقول: إن نفَّذْناها بشاة خرجنا من التبعة، وإن نفذناه بسُبع بدنة أو بقرة لم نخرج من التبعة، فهو تحكم بلا دليل.

والمقصود: أنه لا يوجد حديث صحيح ولا ضعيف، ولا قول صاحب من الصحابة، ولا قول أحد من الأصحاب، ولا دليل يجب المصير إليه: يمنع من وصول سُبع البدنة أو البقرة لأكثر من واحد، ويصل إذا كان من شاة. بل الأدلة المذكورة على خلاف ذلك، كما ذكرناها، وليس إفتاء بعض المتأخرين استنادًا على العبارة التي ذكرناها، وأجبنا عنها يوجب إهدار شيء مما تقدم، لكن حَسْبُ المفتي بذلك أن يكون معذورًا، حيث ظن أن هذا هو الشرع، والله لا يضيع أجر من أحسن عملًا واجتهد في إصابة الصواب.

وأما أن قوله يجعل رادًّا لما ذكرنا من الأدلة فحاشا وكلا، وليس عذره عذرًا لمن وقف على أدلة المسألة وظهرت له مآخذها، فالواجب على العبد أن يتبع الدليل حيث كان، ومع من كان، كما عليه أن يحترم أهل العلم والدين بحسب مقاماتهم في الدين.

فنسأل الله تعالى أن يوفقنا وجميع إخواننا المسلمين، إنه رؤوف رحيم، وصلى الله على محمد وسلم.

قال ذلك وكتبه الفقير إلى الله تعالى: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي سنة ١٣٥٩، ونقلته من خطه رَحِمَهُ اللَّهُ وأنا الفقير إلى المولى جل وعلا: محمد بن سليمان بن عبد العزيز آل بسام في ٢٧ القعدة عام ١٤١٢.

فائـــدة

تشتمل على نبذة من آداب المعلِّمين والمتعلِّمين

يتعيَّنُ على أهل العلم من المعلِّمين والمتعلِّمين أن يجعلوا أساس أمرهم، الذي يبنون عليه حركاتهم وسكناتهم الإخلاص الكامل، والتقرب إلى الله بهذه العبادة، التي هي أجل العبادات وأكملها وأنفعها وأعمُّها، ويتفقدوا هذا الأصل الجليل في كل دقيق من أمرهم وجليل.

فإن درسوا أو دارسوا، أو بحثوا أو ناظروا، أو أسمعوا أو استمعوا، أو كتبوا أو حفظوا، أو كرَّروا دروسهم الخاصة، أو راجعوا عليها أو على غيرها الكتب الأخرى، أو جلسوا مجلس علم، أو نقلوا أقدامهم لمجالس العلم، أو اشتروا كتبًا أو ما يعين على العلم= كان الإخلاص لله واحتساب أجره وثوابه ملازمًا لهم؛ ليصير اشتغالهم كله قربة وطاعة وسيرًا إلى الله وإلى كرامته، وليتحققوا بقوله ﷺ: «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة**»(١).

فكل طريق حسِّي أو معنوي يسلكه أهل العلم يعين على العلم أو يحصِّله فإنه داخل في هذا.

ثم بعد هذا يتعيَّن البداءَة بالأهم فالأهم من العلوم الشرعية، وما يعين عليها من علوم العربية، وتفصيل هذه الجملة معروف، وينبغي أن يسلك أقرب طريق يوصل إلى المطلوب الذي قصده، وأن ينتقي من مصنفات الفن الذي يشتغل فيه أحسنها وأوضحها وأكثرها فائدة، ويجعل جلَّ همِّه واشتغاله بذلك الكتاب، حفظًا عند الإمكان، أو دراسةَ تكريرٍ، بحيث تكون

---

(١) مسلم (٤/ ٢٠٧٤).

المعاني معقولة له محفوظة، ثم لا يزال يكرِّر ما مرَّ عليه ويعيده.

وعلى المعلِّم أن ينظر إلى ذهن المتعلِّم وقوة استعداده أو ضعفه، فلا يَدَعه يشتغل بكتاب لا يناسب حاله؛ فإن هذا من عدم النصح، فإن القليل الذي يفهمه ويعقله خير من الكثير الذي هو عرضة لعدم الفهم والنسيان، وكذلك يلقي إليه من التوضيح والتقرير لدرسه بقدر ما يتَّسع فهمه لإدراكه، ولا يخلط المسائل بعضها ببعض، ولا ينتقل من نوع من أنواع المسائل إلى نوع آخر حتى يتصوَّر ويحقِّق السابق، فإنه دَرَكٌ للسابق وليتوفر فهمه على اللاحق.

فأما إذا أدخل المسائل بعضها ببعض قبل فهم المتعلم فإنه سببٌ لإضاعة الأول وعدم فهم اللاحق، ثم تتزاحم عليه المسائل التي لم يحققها فَيَمَلُّها ويضيق عَطَنُهُ عن العود إليها، فلا ينبغي أن يهمل هذا الأمر.

وعلى المعلِّم النصح للمتعلم بكل ما يقدر عليه من التعليم والصبر على عدم إدراكه، وعلى عدم أدبه وجفائه، مع شدة حرصه على ما يقوّمه ويحسِّن أدبه؛ لأن المتعلم له حق على المعلِّم، حيث أقبل على العلم الذي ينفعه وينفع الناس، وحيث توجَّه للمتعلم[1] دون غيره، وحيث كان ما يحمله من العلم هو عين بضاعة المعلِّم، يحفظها وينمِّيها، ويطلب بها المكاسب الرابحة، فهو الولد الحقيقي للمعلِّم الوارث له، قال تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٥ - ٦].

(١) كذا وجدتها، ولعله له أو للمعلم.

والمـراد: وراثـة العلـم والحكمـة، فـالمعلِّم مثـاب مـأجور عـلى نفـس تعليمه، سواء فهم أو لم يفهم، فإذا فهم ما علمه وانتفع بـه بنفسه ونفـع غـيره كان أجرًا جاريًا للمعلِّـم مـا دام ذلـك النفـع متسلسلًا متصلًا، وهـذه تجـارة بمثلها يتنافس الموفَّقون:

فعلى المعلِّم أن يسعى سعيًا شـديدًا في إيجـاد هـذه التجـارة وتنميتهـا، فهي من عمله وآثار عمله، قـال تعـالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ﴾ [يس: ١٢]، فـ (ما قدَّموا): مـا بـاشروا عملـه، (وآثـارهم): مـا ترتب على أعمالهم من المصالح والمنافع أو ضدها.

ولْيُرغِّب المتعلِّمَ بكل طريق ولا يُملَّه باشتغاله بما يعسُر عـلى فهمـه مـن أنواع العلوم ومفرداتها.

وعلى المتعلِّم أن يوقّر معلمه ويتأدب معه حسب ما يقـدر عليـه؛ لمـا لـه من الحق العام والخاص.

أما العام فإن معلِّم الخير قد استعد لنفـع الخلـق بتعليمـه وفتـواه، فحقـه على الناس حق المحسنين، ولا إحسان أعظم وأنفـع مـن إحسان مـن يرشـد الناس لأمر دينهم، ويعلمهم مـا جهلـوا، وينبّههم لمـا عنـه غفلـوا، ويحـصل بسبب ذلك من الخير وانقماع الشر ونـشر الـدين والمعـارف النافعـة، مـا هـو أنفع شيء للموجودين ومن أتى من بعدهم من ذريتهم وغيرهم.

فلـولا العلـم كـان النـاس كالبهـائم في ظلمـة يتخبَّطـون، وفي غـيِّهم يعمهون، فهو النور الذي يُهتدَى به في الظلمات، والحياة للقلـوب والأرواح والدين والدنيا.

والبلد الذي ليس فيه من يبين للناس أمر دينهم ويرشدهم لما ينتابهم مما هم مضطرون إليه، لا خير في الإقامة فيه.

فمن كان هذا إحسانه وأثره كيف لا يجب على كل مسلم محبته وتوقيره والقيام بحقوقه؟

وأما حقه الخاص على المتعلم فَلِمَا بذله من تعليمه، والحرص على ما يرشده ويوصله إلى أعلى الدرجات، فليس نفع الآباء والأمهات نظيرًا لنفع المعلمين المربين للناس، بصغار العلم قبل كباره، الباذلين نفائس أوقاتهم، وصفوة أفكارهم، في تفهيم المسترشدين بكل طريق ووسيلة يقدرون عليها، وإذا كان من أحسن إلى الإنسان بهديَّة مالية ينتفع بها، ثم تذهب وتزول، له حق كبير على المحسن إليه، فما الظن بهدايا العلم النافع الكثيرة المتنوعة؛ الباقي نفعها ما دام العبد حيًا وبعد مماته، المتسلسل بحسب حال تلك الهدايا، فحينئذٍ يعرف حقه ويوقِّره ويحسن الأدب معه.

ولا يخرج عن إشارته وإرشاده، وليجلس بين يديه متأدبًا ويظهر غاية حاجته إلى علمه، ويدعو له حاضرًا وغائبًا، وإذا أتحفه بفائدة وتوضيح لعلم فلا يظهر له أنه قد عرفه قبل ذلك وإن كان عارفًا له، بل يصغي إليه إصغاء المتطلِّب بشدة إلى الفائدة، هذا فيما يعرفه؟! فكيف بما لا يعرفه؟ ولهذا كان هذا الأدب مستحسنًا مع كل أحدٍ في العلوم والمخاطبات في الأمور الدينية والدنيوية.

وإذا أخطأ المعلِّم في شيء فلينبِّهه برفق ولطف بحسب المقام، ولا يقول له: أخطأت، أو: ليس الأمر كما تقول، بل يأتي بعبارةٍ لطيفة يدرك بها

المعلم خطأه من دون أن يتشوَّش قلبه، فإن هذا من الحقوق اللازمة، وهو أدْعَى للوصول إلى الصواب، فإن الرد الذي يصحبه سوء الأدب وانزعاج القلب يمنع من تصور الصواب ومن قصده.

وكما أن هذا لازم على المتعلم، فعلى المعلم إذا أخطأ أن يرجع إلى الحق، ولا يمنعه قولٌ قاله ثم رأى الحق في خلافه من مراجعة الحق والرجوع إليه، فإن هذا علامة الإنصاف والتواضع للحق، فالواجب اتباع الصواب سواء جاء على يد الصغير أو الكبير.

ومن نعمة الله على المعلم أن يجد من تلاميذه من ينبهه على أخطائه ويرشده إلى الصواب، ويزول استمراره على جهله، فهذا يحتاج إلى شكر الله ثم إلى شكر من أجرى الله الهدي على يديه متعلمًا أو غيره.

ومن أعظم ما يجب على المعلمين: أن يقولوا لما لا يعلمونه: (الله ورسوله أعلم)، وليس هذا بناقصٍ لأقدارهم، بل هذا مما يزيد قدرهم، ويُستدَلُّ به على دينهم وتحرّيهم للصواب.

وفي توقفه عما لا يعلم فوائد كثيرة:

منها: أن هذا هو الواجب عليه.

ومنها: أنه إذا توقّف وقال: (لا أعلم)، فما أسرع ما يأتيه عِلْم، ذلك إما من مراجعته أو مراجعة غيره، فإن المتعلِّم إذا رأى معلِّمه توقف جدَّ واجتهد في تحصيل علمها وإتحاف المعلِّم بها، فما أحسن هذا الأثر.

ومنها: أنه إذا توقَّف عما لا يعرف كان دليلًا على ثقته وإتقانه فيما يجزم به من المسائل، كما أن من عُرِف منه الإقدام على الكلام فيما لا يعلم كان

ذلك داعيًا للريب في كل ما يتكلم به، حتى في الأمور الواضحة.

ومنها: أن المعلم إذا رأى منه المتعلمون توقفه عما لا يعلم كان ذلك تعليمًا لهم وإرشادًا إلى هذه الطريقة الحسنة، والاقتداء بالأحوال والأعمال أبلغ من الاقتداء بالأقوال.

ومما يعين على هذا المطلوب أن يفتح المعلم للمتعلمين باب المناظرة في المسائل والاحتجاج عليها، وأن يكون القصد واحدًا، وهو اتباع ما رجحته الحجة والأدلة، فإنه إذا جعل هذا الأمر نصب عينيه وأعينهم تنوَّرت الأفكار، وعرفت المآخذ والبراهين واتبعت الحقائق، وكان القصد الأصلي وتوابعه معرفة الحق واتباعه.

والحذر الحذر من التعصُّب للأقوال والقائلين؛ وهو أن يجعل القصد من المناظرة نصر القول الذي قاله[1] أو قاله من يعظمه، فإن التعصب مُذْهِبٌ للإخلاص مزيل لبهجة العلم، مُعْمٍ للحقائِق، فاتح لأبواب الخصام والحقد. كما أن الإنصاف هو زينة العلم، وعنوان الإخلاص والنصح والفلاح.

وليحذر مِنْ طلب العلم للأغراض الفاسدة والمقاصد السيئة؛ من المباهاة والمماراة والرياء والسمعة[2]، أو أن يكون له وسيلة إلى الأغراض الدنيوية والرئاسة، فليست هذه حال أهل العلم الذين هم أهله في الحقيقة،

(١) انظر: إعلام الموقعين لابن القيم (ج٢).

(٢) ابن ماجه، من طلب العلم يباهي به العلماء أو ليماري به السفهاء إلى آخره.

ومن طلب العلم واستعمله في أغراضه السيئة أو رياء أو سمعة فليس له في الآخرة من خلاق.

ومن أعظم ما يتعيَّن على أهل العلم الاتصاف بما يدعو إليه العلم من الأخلاق والأعمال والتعليم، فهم أحق الناس بالاتصاف بالأخلاق الجميلة والتخلِّي من كل خلق رذيل، وهم أولى الناس بالقيام بالواجبات الظاهرة والباطنة وترك المحرمات، لما تميزوا به من العلم والمعارف، التي لم تحصل لغيرهم، ولأنهم قدوة الناس في أمورهم ولأنه يتطرَّق إليهم من الاعتراض والقوادح عندما يتركون ما يدعو إليه العلم أعظم مما يتطرق إلى غيرهم.

وأيضًا فكان السلف يستعينون بالعمل على العلم(١)؛ فإن عُمِل به استقر ودام ونَمَى وكثرت بركته، وإن تُرك العمل به ذهب أو عُدِمت بركته، فروح العلم وحياته وقوامه إنما هو بالقيام به، عملًا وتخلُّقًا وتعليمًا ونصحًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وينبغي سلوك الطريق النافع عند البحث تعلمًا وتعليمًا، فإذا شرع المعلم في مسألة وضَّحها وأوصلها إلى إفهام المتعلمين بكل ما يقدر عليه، من التعبير، وضرب الأمثال، والتصوير، والتحرير، ثم لا ينتقل منها إلى غيرها قبل تحققها وتفهيمها للمتعلمين، ولا يدع المتعلمين يخرجون من الموضوع الذي لم يتم تقريره إلى موضوع آخر حتى يُحْكِمُوه ويفهموه، فإن الخروج من الموضوع إلى غيره قبل الانتهاء منه يشوِّش الذهن ويحرم

(١) كذا بالأصل. قلت: ولعله بالعلم على العلم.

الفائدة ويخلط المسائل بعضها ببعض.

وينبغي تعاهد محفوظات المتعلمين ومعلوماتهم بالإعادة، والامتحان، والحث على المذاكرة والمراجعة، وتكرار الدرس، فإن التعلم بمنزلة الغرس للأشجار، والدرس والمذاكرة والإعادة بمنزلة السقي لها، وإزالة الأشياء المضرة لتنمو وتزداد على الدوام.

وكما أن على المتعلِّم توقير معلِّمه والأدب معه، فكذلك أقرانه في التعلم معه، عليه توقيرهم واحترامهم؛ فالصحبة في طلب العلم تجمع حقوقًا كثيرة؛ لأن لهم حق الأخوّة والصحبة، وحق الاحترام لما قاموا به من الاشتغال بما ينفعهم وينفع الناس، وهو الانتماء إلى معلِّمهم، وأنهم بمنزلة أولاده، وحق لنفع بعضهم بعضًا.

ولهذا ينبغي أن لا يدع ممكنًا يقدر عليه من نفع من يقدر على نفعه منهم، من تعليمه ما يجهل، والبحث معه للتعاون على الخير وإرشاده لما فيه نفعه، وينبغي أن يكون اجتماعهم في كل وقت غنيمة يتعلم فيه القاصر ممن هو أعلى منه، ويعلِّم العارفُ غير العارف، ويتطارحون المسائل النافعة، وليجعلوا همهم مقصورًا على ما هم بصدده، وليحذروا من الاشتغال بالناس والتفتيش عن أحوالهم والعيب لهم، فإنه إثم حاضر.

والمعصية من أهل العلم أعظم من غيرهم، لأن الحجة عليهم أقوم، ولأن غيرهم يقتدي بهم، ومن كان طبعه الشر من غيرهم جعلهم حجة له، ولأن الاشتغال بالناس يضيع المصالح النافعة والوقت النفيس، ويُذْهِب بهجة العلم ونوره.

واعلم أن القناعة باليسير من الرزق، والاقتصاد في أمر المعيشة مطلوب من كل أحد، لا سيما المشتغلون بالعلم، فإنه كالمتعيِّن عليهم، لأن العلم وظيفة العمر كله أو معظمه، فمتى زاحمته الأشغال الدنيوية والضروريات حصل النقص بسبب ذلك، والاقتصاد والقناعة من أكبر العوامل لخصر[1] الأشغال الدنيوية وإقبال المتعلم على ما هو بصدده.

ومن آداب العالم والمتعلِّم النصح وبث العلوم النافعة بحسب الإمكان، حتى لو تعلم الإنسان مسألة وبثها كان ذلك من بركة العلم، ولأن ثمرات العلم أن يأخذه الناس عنك، فَمَن شحَّ بعلمه مات علمه بموته، وربما نسيه وهو حي، كما أن من بث علمه كان له حياة ثانية وحفظًا لما علمه وجازاه الله بحسب عمله.

ومن أهم ما يتعيَّن السعي في جمع كلمتهم وتأليف القلوب على ذلك، وحسم أسباب الشر والعداوة والبغضاء بينهم، وأن يجعلوا هذا الأمر نصب أعينهم، وغاية يسعون إليها بكل طريق؛ لأن المطلوب واحد والقصد واحد، والمصلحة مشتركة، فيحققون هذا الأمر بمحبة كل من كان من أهل العلم ومن له قدم فيه أو اشتغال أو نفع، ولا يدعون الأغراض الفاسدة تملكهم وتمنعهم من هذا المطلوب الجليل، فيحب بعضهم بعضًا، ويذب بعضهم عن بعض، ويبذلون النصيحة لمن رأوه منحرفًا عن الآخر، ويبرهنون على أن الأمور الجزئية التي تدعو إلى ضد المحبة والائتلاف لا تقدَّم على الأصول الكلية التي فيها جمع الكلمة.

---

(١) كذا في المخطوطة، ولو قال: لاختصار، لكان أوضح.

ولا يدعون أعداء العلم من العوام وغيرهم يتمكنون من إفساد ذات بينهم وتفريق كلمتهم، فإن في تحقيق هذا المقصد الجليل والقيام به من المنافع والمصالح ما لا يحصى، ولو لم يكن فيه إلا أن هذا هو الدين الذي حث الشارع عليه بكل طريق.

وأعظم من يلزمه القيام به أهله، ولأنه من أعظم الأدلة على النصح والإخلاص الذين هما قطب الدين وروحه، وإن بهذا الوصف يتصف العبد بأنه من أهل العلم الذين هم أهله الذين ورد في الكتاب والسنة من مدحهم والثناء عليهم ما لا يتسع هذا الموضع لذكره.

وفيه من تكثير العلم وتوسعة الوصول إليه وتنوع طرقه ما هو مشاهد، فإن أهل العلم إذا كانت طريقتهم واحدة تمكَّن أن يتعلم بعضهم من بعض، ويعلِّم بعضهم بعضًا، وإذا كانت كل طائفة منهم منزوية عن الأخرى منحرفة عنها انقطعت الفائدة وحل محلها ضدها، وحصل التعصب والبغض والتفتيش عن عيوب الطائفة الأخرى وأغلاطها، وكل هذا مناف للدين والعقل، ولما يتعين على أهل العلم ولما كان عليه السلف الصالح.

فالموفَّق تجده ناصحًا لله بتوحيده والقيام بعبوديته ظاهرًا وباطنًا، بإخلاص واحتساب وتكميل لها بحسب وُسْعِه، ناصحًا لكتاب الله بالإيمان بما اشتمل عليه، والإقبال على تعلُّمه وتعلّم ما يتعلق به ويتفرَّع عنه من علوم الشريعة كلها، ناصحًا لرسوله بالإيمان بكل ما جاء به من أصول الدين وفروعه وتقديم محبته على كل محبة بعد محبة الله تعالى، وتحقيق متابعته في شرائع الدين الظاهرة والباطنة، ناصحًا لأئمة المسلمين من ولاتهم

وعلمائهم ورؤسائهم في محبة الخير لهم والسعي في إعانتهم عليه قولًا وفعلًا، ومحبة اجتماع الرعية على طاعتهم وعدم مخالفتهم الضارة، ناصحًا لعامة المسلمين، يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه، ويصدِّق ظاهرُه باطنَه، وأقواله أفعاله، ويدعو إلى هذا الأصل القويم والصراط المستقيم.

فنسأل الله الكريم أن يرزقنا حبه وحب من يحبه، وحب العمل الذي يقربنا إلى حبه، ويهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب.

وصلَّى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قال ذلك وكتبه الفقير إلى ربه: عبد الرحمن الناصر بن سعدي، ونقله من خط المؤلف الفقير إلى مولاه: محمد بن سليمان بن عبد العزيز آل بسام.

بتاريخ ١/ ذي الحجة عام ١٤١٢هـ.

نبذة مختصرة إجمالية
عن الإسلام والإشارة إلى مهمات محاسنه

الإسلام الذي هو الاستسلام لله بالتوحيد باعتقاد كماله، الذي لا غاية فوقه في الكمال، الذي متعلَّقه ما جاءت به الرسل من صفات المولى، وإثبات الصفات على الوجه اللائق بعظمة الله وكماله المطلق، والعلم اليقيني بأنه الخالق الرازق المدبر لجميع الكائنات؛ دقيقها وجليلها، علويها وسفليها، وأنه لا يأتي بالخير إلا هو ولا يدفع الشر إلا هو، وأن النعم كلَّها من الله، لا فرق بين الدينية والدنيوية، ولا بين ما حصل بسبب أو بغير سبب من العبد، فإن الأسباب كلها بيد الله.

ثم امتلاء القلب من تعظيم الله والإنابة إليه في كل الأمور، والتألُّه والتعبد لله بما شرعه على ألسنة رسله، وطاعته وطاعة رسله، خصوصًا محمدًا ﷺ، الذي نحن مأمورون بالإيمان به وبما جاء به جملة وتفصيلًا، معرفة واعتقادًا وعملًا.

هذا هو حقيقة دين الإسلام ومجمله، والعقائد والشرائع الظاهرة والباطنة المشروعة على لسان رسوله تفصيل لهذا الأصل، فهو دين الله الذي ليس له دين يُدان به سواه: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وهو الذي عليه جميع الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم إلى يوم الدين، وقرره على لسان نبيه محمد ﷺ، فأثبت ما جاءت به الرسل من الحق، وهَيْمَن على جميع الكتب السابقة؛ بإثبات جميع ما فيها من الحق، ورد ما زيد فيها أو نقص أو حُرِّف، ثم أكمل الله له الدين، وأتم عليه وعلى أمته النعمة، ورضي لهم الإسلام دينًا.

وهو الدين المشتمل على الإيمان بجميع الرسل، وما أوتوه من عند الله

من عقائد وشرائع عامة، قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٦]، إلى آخرها، فهو كما ترى قد تضمن جميع الإيمان بكل رسول أرسله الله، وبكل كتاب أنزله الله، وبكل حقٍ كان ويكون إلى أن تقوم الساعة، فلم يبق دينٌ حق إلا دخل فيه واشتمل عليه.

ومن براهينه: أنه يأمر بالإيمان بكل حق وصدق وبر وعدل وصواب، وبكل خير وصلاح وإصلاح وهدي ورشاد وإحسان وخلق جميل، وينهى عما يضاد ذلك، وأن جميع محاسن ما عليه الأمم قديمًا وحديثًا قد دعا إليها وأرشد لها وبيّنها بأحسن عبارة وأوضحها وقرب طريقها، وأن كل قبيح وشر قديمًا وحديثًا قد نهى عنه، وحذر وأرشد إلى الطرق المبعدة عنهِ.

ومن أعظم محاسنه: أنه مبني على التوحيد الخالص، والدين الخالص في الاعتقاد والأقوال والأفعال؛ فمن آثار هذا التوحيد: إخلاص العمل الظاهر والباطن لله، في حقوق الله وحقوق خلقه، والاعتماد الكامل على الله في جلب المنافع ودفع المضار، لعلم الموحِّد أنه المتفرِّد بالنفع والضر والعطاء والمنع، وأن الخلق كلهم أعجز وأقل من أن يعارضوا إرادة الله ومشيئته.

ومن آثار هذا التوحيد نبذ الشرك والغلو في المخلوقين، وأن لا يُرْفَع المخلوق فوق منزلته التي أنزله الله بها، ولا يُعْطَى من خصائص الربوبية والإلهية شيئًا، لعلم الموحِّد أنه لا مألوه ولا معبود بحقٍّ إلا الله، وأن الشرك بالله هو أظلم الظلم وأقبح القبيح.

ثم من محاسن هذا الدين ما يتبع هذا الأصل الجليل من الأوامر

الجميلة، الكفيلة بصلاح الدين والدنيا والأحوال كلها؛ كالأمر بالصلاة والزكاة والصدقة، وأنواع البذل في المشاريع الخيرية، والصيام والحج والعمرة، والجهاد لمن عارض الحق ومنع الدعوة إلى الدين الحق، والأمر بكل معروف والنهي عن كل منكر.

وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى المماليك والجيران والأصحاب وعموم الخلق، من بذل العلم والمال والجاه، وطلب العلوم النافعة المتنوعة، والعفو عن الناس، وإجابة الدعوة وعيادة المريض وتشييع الجنازة.

والسلام والتحية، وردّها بمثلها أو أحسن منها، وتشميت العاطس وإجابته، و محبة الله وخوفه ورجاؤه والإنابة إليه في جميع النوائب، والفزع إليه في كل المهمات، والتوكل عليه.

والعمل بالأسباب النافعة والصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة ابتغاء وجهه، والشكر لله على نعمه، وشكر من أحسن إليك من الخلق، و محبة ما يحبه الله ورسوله.

والحياء والعفة عن القبائح كلها، والعدل في الأحكام و في جميع المعاملات والحقوق، وحسن الوفاء والاستيفاء، والوفاء بالعقود والعهود والأمانات كلها، والصدق وترك الغضب والحقد والحسد، والحث على التواضع وعدم التكبر على الحق وعلى الخلق، وترك العجب والخُيلاء، ونهي النفس عن الهوى.

والرضا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا، وحسن الظن بالله والإكثار

من ذكره آناء الليل والنهار، والتفكر فيما دعا الله عباده إلى التفكر فيه؛ في آياته المسموعة وآياته المشهودة، والاستدلال به على مدلوله، والعمل بمدلوله.

وسَنّ كل سنة حسنة، والتحذير من ضدها، والتوبة من جميع المعاصي، والخروج من المظالم ونصر المظلومين وقمع الظالمين، وغير ذلك من الشرائع الظاهرة والباطنة، التي بمجرد ما يتصورها صاحب اللب يجزم جزمًا لا ريب فيه أن الدين المشتمل عليها هو الدين الحق، وأن كل ما عارضه فهو باطل، وأنه هو الدين الصالح لكل زمان ومكان، وأنه لم يدخل ولن يدخل على الخلق نقص ولا ضرر في دينهم ولا دنياهم إلا من تضييع هذا الدين، الذي كفل كفالة صارمة أن من قام به استقامت أموره وصلحت أحواله، وأنه هو الدين الذي يُصْلِح العقول والقلوب والأخلاق والآداب والتربية النافعة، ويحفظ من الانهيار إلى الدمار والشقاء، والواقع أكبر شاهد على هذا.

وما من صلاح تسرَّب إلى أي أمة من الأمم إلا وأصله ومنبعه هذا الدين القويم، وإذا أردت أن تعرف مقداره فزنه بالميزان الصحيح والعقل الرجيح بكل دين خالفه؛ تجد أنه لا نسبة بينها وبينه بوجه من الوجوه.

ويكفي في هذا المقام أن تعرف أن الدين الإسلامي مشتمل على أخبار وشرائع، وأن أخباره كلها ليس منها خبر واحد صحيح قد أتى بما يخالف المعقولات والمحسوسات، ومن ادعى خلاف هذا تبين فساد قوله بأدنى تأمل، بل أخباره نوعان؛ نوع يشهد العقل بصحتها ومطابقها للحق، ونوع لا يهتدي العقل إلى تفصيلها، بل يحار فيها وليس عنده ما يبطلها ويقدح فيها.

وقد أظهر الباري تعالى في هذه الأزمنة المتأخرة من آياته الكونية ومن العلوم الكونية والاختراعات الباهرة ما هو من أكبر الأدلة على ما أخبر الله به ورسوله من أمور الغيب، فلقد كان الكفار الملحدون ينكرون ما أخبر الله به ورسوله من الأمور التي يستبعدونها على قُدَر المخلوقين؛ فأنكروا البعث بعدما كانوا ترابًا ورفاتًا، واستبعدوا الإسراء برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في ليلة واحدة، واستبعدوا تنادي أهل الجنة وأهل النار مع البعد السحيق، واستبعدوا كثيرًا من أمور الغيب استنادًا على مجرد عقولهم الفاسدة، ولم يزل الملحدون يستبعدون وينكرون كل ما لم يشاهدوه، فأراهم الله في هذه الأوقات ما يكذبهم وينقض استبعاداتهم مما شاهدوه في الآفاق وفي أنفسهم(١).

فإذا كان المخلوق الناقص من كل وجه ضعيف العلم، ضعيف الإرادة، ضعيف القدرة، ضعيف العمل، قد علَّمه الله ما لم يكن يعلم من علوم الطبيعة والمادة، حتى تمكّن الناس من الطيران في الهواء، والغوص في لجج البحار، والتخاطب من مشارق الأرض ومغاربها، وغير ذلك من المخترعات الحديثة، فكيف بمن هو على كل شيء قدير، الذي انقادت لقدرته عناصر العالم العلوي والسفلي، ونفذت مشيئته في جميع الكائنات، وأحاط علمه بكل شيء، وأظهر البراهين القاطعة والأدلة الواضحة على صدق ما أخبر به، وأخبرت به رسله من أدلة عقلية ونقلية وفطرية وكونية؟

---

(١) دليل ذلك: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

فبعدًا للمكذبين و﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الجاثية: ٧ - ٨].

وكذلك الشرائع والأوامر والنواهي كلها على وفق الميزان الصحيح، لأنها تضمنت الأمر بكل خير نافع والنهي عن كل شر ضار، فما أمر بشيء فقال العقل: ليته نهى عنه، ولا نهى عن شيء فقال العقل: ليته أمر به، ولا أخبر بشيء فجاء على خلاف المحسوس المعقول.

وما من علم صحيح يوجد في أي أمة كانت إلا وقد دعا إليه وأرشد، ونبَّه الخلق على سلوك طريقه، وما من عمل صالح نافع إلا وقد أمر به وأرشد إليه، وكلما ازدادت الجماعات أو الأفراد في القيام به عَلَتْ درجتهم وارتقوا في دَرَج الكمال.

ولقد خضعت أرباب العقول لهدايته وشرائعه وإصلاحه الكامل، ولقد حاول أعداؤه الانتقاد على بعض أفراد الشرائع لفرط العداوة والهوى والتعصُّب، فبيّن بالبراهين الواضحة بطلان انتقاداتهم، وأن الشرع مطلقًا من دون قيد وشرط قد مشى على الصراط المستقيم أصولًا وفروعًا، وأن كل أمر خلصت مصلحته أو كانت مصلحته أرجح من مضرته فقد أمر به، وما خلصت مفسدته أو كانت المفسدة راجحة على المصلحة إلا وقد نهى عنه. واعتبر هذا الأصل في العبادات والمعاملات والجنايات وغيرها تجدها شاهدة لهذا الأصل الشرعي المؤيد بالبراهين.

ومن محاسن هذا الدين ما أمر به من أداء الحقوق للأهل والأولاد والمماليك، وحقوق الراعي والرعية بعضهم لبعض، فكلها مطابقة للعدل

والصلاح والإصلاح، وقد نبَّهنا على بعض هذا الحكم في كتابنا (السؤال والجواب)(١).

وكذلك المواريث وتفاصيلها الجميلة والمعاملات الواسعة بين الناس كلها مبنية على العدل والمصلحة، وتمام الانتظام المشتمل على مصالح المعاش والمعاد.

ومن محاسنه: ما شرعه من الحدود على الجرائم، وتنوعها، وصفاتها بحسب الجرائم، لما يحصل بها من تمام الردع والزجر على أكمل وجه وأعدله.

ومن أجَلّ محاسن هذا الدين أنه أحلّ كل طيب من المآكل والمشارب والملابس والمناكح والأقوال والأفعال، وحرم كل خبيث منها، وأنه ما من طريق محرم يتوهَّم المتوهِّم أن الحاجة أو الضرورة تدعو إليه إلا وفي الطريق المباح غنية عنه وفسحة، ممَّا اشتمل عليه المباح من المنفعة والخير.

وبالجملة فقد بعث الله محمدًا بالهدى ودين الحق، فكل علم نافع وعمل صالح فقد دعا إليه وجاء به، وظهر ذلك في أخلاقه الكريمة وأخلاق أمته القائمين بدينه، فكان في أخلاقه الجميلة المتنوعة وأخلاق أمته القائمين بما جاء به علمًا وعملًا، وآثار هذا الدين في علومهم وأخلاقهم وتربيتهم العالية وما فاقوا به الأولين والآخرين أكبر شاهد ودليل على كمال دينهم، الذي أوصلهم إلى ما وصلوا إليه.

---

(١) سؤال وجواب في أهم المهمات ص(١٨)، مطبعة دمشق ١٣٧٢هـ.

وما حصل النقص على المسلمين إلا بتركهم لبعض دينهم؛ فحيث كان قيامهم بالدين تامًا كانت أحوالهم كلها مستقيمة، وحيث ضعف قيامهم به حصل النقض بحسب ذلك، فهذا برهان على أن الصلاح يدور مع دين الإسلام وجودًا وَعدمًا.

فأصل الصلاح وفرعه وقيامه وتمامه بسلوك دين الإسلام، الذي هو الصراط المستقيم والحق المبين، وما سواه من كل دين يعارضه فهو منبع الشر، والفساد والإفساد للعقائد والأخلاق والأعمال والدين والدنيا، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ولو لم يكن من محاسن هذا الدين الإسلام إلا هذا القرآن العظيم، الذي هو روحه وأساسه ومنبعه، الذي احتوى على ما لم يحتو عليه كتاب طَرَقَ العالم منذ أنشأ الله العالم؛ حيث احتوى على كل علم نافع ومعارف صحيحة، وأخبار صادقة، وعقائد جليلة، وأحكام جميلة، وأخلاق حميدة، وصلاح وإصلاح للدين والدنيا جميعًا، وبلاغة عالية وغيوب صادقة، مطابقة وإحقاق لكل حقّ وإبطال لكل باطل، لكفى به شرفًا وفضلًا وعلوًّا وارتفاعًا.

وهو الكتاب الذي لو جَعَلَتْه جميع الأمم أمامها لقادها إلى كل سعادة وفلاح، ولمنعها من كل انهيار وشقاء، وليس هذا مجرد دعوى ومبالغة، بل هو أقل ما يقال عن القرآن، ومن عنده أدنى فهم[1] وإنصاف اعترف بذلك بلا ريب، لأنه مشتمل على جميع وجوه الإعجاز، الذي هو آيات بينات، وبراهين ساطعات، من جهة لفظه وحسنه وبلاغته وأسلوبه العجيب، بحيث

(١) كذا ولعله أدنى علم.

لا يقاربه أي كلام كان.

ومن جهة ما فيه من علوم الغيب التي وقعت مطابقة للواقع في زمان النبوّة وبعده لا تزال تظهر حينًا بعد حين، ومن جهة اتفاق معانيه وعدم الاختلاف، فلو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا.

ومن جهة ما اشتمل عليه من العلوم الراقية الشرعية والتشريعية والكونية. ومن جهة عجز الخلق عن معارضته ومناقضته وإبداء خلاف ما أخبر به مع التحدي التام للأولين والآخرين، فلا تعارض ألفاظه ولا معانيه.

ومن جهة تحقيقه لأمور كانت مجهولة للخلق، من المسائل العلمية والتاريخية التي لم تكن موجودة في زمن البعثة، كما قرر ذلك حكماء هذه الأمة في الأزمنة الأخيرة، فهو أكبر دليل وبرهان على نبوّة محمد ﷺ، وأن الدين الذي استمد منه هو دين الله حقًا الذي شرعه لعباده وجعله موصلًا إلى سعادة الدنيا والآخرة، وبالله التوفيق.

قال ذلك وكتبه الفقير إلى الله من جميع الوجوه: عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي غفر الله له ولوالديه وللمسلمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ونقله من خط المؤلف الفقير إلى مولاه: محمد بن سليمان بن عبد العزيز آل بسام بتاريخ ٣/ الحج/ ١٤١٢هـ.

تمت مراجعته حسب الإمكان بيد كاتبه: محمد بن سليمان البسام وابنه منصور.

فوائد مستنبطة من قصة يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، خير البريّة والمبعوث رحمة للعالمين، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحابته الغرّ الميامين، وتابعيهم بإحسان، وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدِّين.

أما بعد:

فإن «فوائد مستنبطة من قصة يوسف» عليه وعلى نبينا السلام، قد استنبطها شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى في عام ١٣٧٥هـ، وطبعت في حياته، ولكن كانت الطبعة مغلوطة، وقد طبعت عدة طبعات وجروا على منوال الطبعة الأولى، ومما زاد الطين بلة أنهم أضافوا حواشي لا فائدة منها، مع أنها واضحة أتم الوضوح لا تحتاج إلى توضيح، مع أن موضوعها مختصر مفيد المعاني ليس له نظير.

هذا، وقد عنيت بهذه الفوائد وصححت ما فيها من آيات، وعزوتها إلى محلاتها من كتاب الله، كما عزوت بعض الأحاديث إلى مخرِّجيها. ومن الله نستمد العون والتوفيق إنه نعم المولى ونعم النصير.

هذا وأسأل الله أن يجزي شيخنا خير الجزاء، ويرفع درجته في العليين،

وأن يجمعنا به في مستقر رحمته، إنه جواد كريم، وصلَّى الله على خير خلقه المصطفى من بريته نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

كتبه الفقير إلى الله في جميع الأحوال

محمد بن سليمان بن عبد العزيز آل بسام

المدرس في المسجد الحرام

٢٠/ ١٠/ ١٤٢٤هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم، أما بعد: فهذه فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام(١) وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، فإن الله تعالى قصَّها علينا مبسوطة، وقال في آخرها: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

والعبرة ما يعتبر به، ويعبر منه إلى معان وأحكام نافعة، وتوجيهات إلى الخيرات، وتحذير من الهلكات.

وقصص الأنبياء كلها كذلك، ولكن هذه القصة خصها الله بقوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ [يوسف: ٧] فيها آيات وعبر منوعة لكل من يسأل ويريد الهدى والرشاد، لما فيها من التنقلات من حال إلى حال، ومن محنة إلى محنة، ومن منحة إلى محنة(٢) ومِنَّة، ومن ذلة ورِقّ إلى عز وملك، ومن فرقة وشتات إلى اجتماع وإدراك غايات، ومن حزن وترح إلى سرور وفرح، ومن رخاء إلى جدب، ومن جدب إلى رخاء، ومن ضيق إلى سعة، إلى غير ذلك مما اشتملت عليه هذه القصة العظيمة، فتبارك من قصها ووضحها وبيَّنها.

---

(١) هو نبي الله يوسف، ابن نبي الله يعقوب، ابن نبي الله إسحاق، ابن نبي الله وخليله إبراهيم عليه السلام.

(٢) الصواب: منحة، ويدل على ذلك أمران: أحدهما: التقسيم، والثاني: عطف المِنّة عليه.

فمن فوائد هذه السورة أن فيها أصولًا لعلم تعبير الرؤيا؛ فإن علم تعبير الرؤيا علم عظيم، منهم من بناه على حسن الفهم والعبور من الألفاظ والمحسوسات والمعنويات، أو ما يناسبها بحسب حال الرائي، وبحسب الوقت والحال المتعلقة بالرؤيا. وقد أثنى الله على يوسف عليه الصلاة والسلام بعلمه بتأويل الأحاديث؛ تأويل أحاديث الأحكام الشرعية والأحاديث المتعلقة بتعبير الرؤيا، والفرق بين الأحلام، التي هي أضغاث أحلام لا تأويل لها، مثل ما يراه من يفكر ويطيل تأمله لبعض الأمور فإنه كثيرًا ما يرى في منامه من جنس ما يفكر به في يقظته، فهذا النوع الغالب عليه أنه أضغاث أحلام لا تعبير له، وكذلك نوع آخر ما يلقيه الشيطان على روح النائم من المرائي الكاذبة والمعاني المتخبطة، فهذه أيضًا لا تعبير لها، ولا ينبغي للعاقل أن يشغل بها فكره، بل ينبغي له أن يلهى[1] عنها.

وأما الرؤيا الصحيحة فهي إلهامات يلهمها الله للروح عند تجردها عن البدن وقت النوم، أو أمثال مضروبة يضربها الملك للإنسان ليفهم بها ما يناسبها. وقد يرى الشيء على حقيقته ويكون تعبيره هو ما رآه في منامه[2].

فيوسف ﷺ أعطاه الله من العلم ما يميز به بين المرائي الصحيحة والباطلة، والحق والباطل منها، وهذه القصة فيها الدلالة على تعبير الرؤيا من وجوه؛ أحدها رؤيا يوسف التي قصها على أبيه يعقوب ﷺ: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾

(١) أي يسلو عنها ويترك ذكرها.

(٢) الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة. صحيح الجامع الصغير.

[يوسف: ٤] ففسرها[١] يعقوب ﷺ بغاياتها وما تؤول إليه، وبوسائلها التي تتقدم عليها، ففسر الشمس والقمر بأبي يوسف وأمه، والكواكب الأحد عشر بإخوته، وإن الحال سيكون مآلها أن الجميع ليسجدون ليوسف ويخضعون له، ولهذا لما حصل الاجتماع ودخل أبوه وأمه وإخوته مصر، ورفع أبويه على العرش خر الجميع له سجدًا، وقال يوسف متذكرًا ذلك التعبير والتفسير[٢]: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾ [يوسف: ١٠٠] وهذا أمر عظيم اتصل بيوسف في الحال أن يكون معظمًا تعظيمًا بليغًا عند أبويه وإخوته، وكذلك عند الناس.

وهذه الغاية تستدعي وسائل ومقدمات لا تحصل إلا بها؛ وهو العلم الكثير العظيم والعمل الصالح والإخلاص والاجتباء من الله، والقيام بحق الله وحقوق الخلق، فلهذا قال سبحانه في ذكر السبب الموصل لهذه الغاية الجليلة: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ

(١) قلت: لم يذكر الله أن يعقوب فسر رؤيا يوسف، ولو كان فسرها لأشار إلى ذلك ولو إشارة لطيفة، وإنما ذكر أنه حذر يوسف من أن يقصها على إخوته، وأيضًا لو كان فسرها لعلم أن ما حصل على يوسف من الفراق والشدة سيكون لا محَالَةَ، ولأيقن بذلك أتم اليقين، ولم يستسلم للحزن العظيم حتى ابيضت عيناه، ولكنه فهم من الرؤيا إنه سيكون ليوسف فضيلة يفوق بها على إخوته، فلهذا حذره أن يقصها عليهم.

(٢) إلى هنا غير معقول؛ حيث إن التفسير حين رأى أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر له ساجدين، فهذا وقوعها الذي آلت إليه ووصلت فلم يجعلها أضغاث أحلام. التفسير (٢/ ٨٠٦) ابن الجوزي.

﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [يوسف: ٦] يعني: لابد أن يتم الله عليك نعمته بتعليم العلوم النافعة والأعمال الصالحة والاجتباء من الله، وحصول الأخلاق الجميلة والمقامات الجليلة، فتبشره بحصول هذه الأمور ثم بالوصول إلى الرفعة في الدنيا والآخرة.

وفي ضمن[1] هذا التعبير من يعقوب ليوسف بشارة له وتسهيل لما سيناله من المشقات والكروب مع إخوته وفي السجن، فإن من عَلِمَ أن المكاره والمشقات تفضي إلى الخير والراحات تسلَّى وهانت عليه مشقتها، وسهلت عليه وطأتها، وحصل بذلك من اللطف والروْح شيء عظيم، وهذا من جملة اللطف الذي أشار إليه يوسف في قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ﴾ [يوسف: ١٠٠] وهذا من مقتضى حكمة الله أن المراتب العاليات لا تنال إلا بالوسائل الجليلة، ولهذا قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [يوسف: ٦].

ومن فوائد هذا التعبير لرؤيا يوسف بشارة عظيمة ليعقوب وأم يوسف وإخوته بحصول الرفعة والصلاح والخير؛ فيعقوب ﷺ من أكابر الأنبياء وأفاضل الأصفياء، وأمه لها من الخير والصلاح والرفعة في الدنيا والآخرة؛ حيث شبهت بالشمس أو بالقمر على اختلاف القولين، وإخوة يوسف وإن كان قد جرى منهم في حق أبيهم وأخيهم من الأذية والعقوق والقطيعة ما

---

(١) ذكرنا فيما سبق أن التعبير من يعقوب لم يذكره الله، وأما الاطمئنان الذي حصل له فهو بإلهام الله حيث يقول: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥]، فحصل له بذلك الإلهام الطمأنينة التامة وزوال الخوف والفزع حيث ألقوه في الجب، ولولا عناية الله له في تلك الحال لزال عقله.

جرى، ولكن أباهم وأخاهم عفيا عنهم، واستغفرا الله تعالى أرحم الراحمين، فالشمس والقمر والنجوم تضمنت النور والارتفاع، ولكنها متفاوتة في نورها بحسب التفاوت بين الأبوين وبين الإخوة.

فالحاصل أن هذه الرؤيا تضمنت ما حصل ليوسف ﷺ من خير الدنيا والآخرة، والمقامات العظيمة والوسائل والمنن، التي أوردتها هذه الأمور وما حصل لأبويه وإخوته من مشاركته في خير الدنيا والآخرة، والله تعالى أعلم.

* * * *

الفصل الأول

وأما رؤيا الفَتَيين حيث: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ﴾ [يوسف: ٣٦]، فتلطفوا ليوسف أن ينبئهما بتأويل رؤياهما لما شاهدوا من إحسانه للأشياء وإحسانه إلى الخلق، ففسر رؤيا من رأى أنه يعصر خمرًا أنه ينجو من سجنه، ويعود إلى مرتبته وخدمته لسيده، فيعصر له العنب الذي يؤول إلى الخمر. وفسر رؤيا الآخر فيقتل ثم يصلب فتأكل الطير من رأسه.

فالأول: رؤياه جاءت على وجه الحقيقة، والآخر رؤياه جاءت على وجه المثال، وإنه يقتل ومع قتله يصلب ولا يدفن حتى تأكل الطيور من رأسه، وهذا من الفهم العجيب والغوص إلى المعاني الدقيقة.

وذلك أن العادة أن المقتول يدفن في الحال ولا تتمكن السباع والطيور من الأكل منه، ففهم أن هذا سيقتل ولا يدفن سريعًا حتى يصل إلى هذه الحال، وفي هذا من فضيحته وخزيته وسوء مصيره الدنيوي ما تقشعر منه الجلود، وحيث علم أن هذه الرؤيا صحيحة لابد من وقوعها، قال لهما: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١]، وهذا من كمال علمه للتعبير الذي لا يعبر عن ظن وتوهم وإنما يعبر عن علم ويقين، وأما المناسبة في ذلك أن الطيور لا تقرب الحي وإنما تتناول الميت إذا لم يكن عنده أحد، وهذا إنما يكون بعد قتله وصلبه.

ومن كمال يوسف ونصحه وفطنته العجيبة أنهما لما قصَّا عليه رؤياهما،

تأنى في تعبيرها ووعدهما بتعبيرها بأسرع وقت، فقال: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾ [يوسف: ٣٧]، فوعدهما بتعبيرها قبل أول طعام يأتيهما من خارج السجن ليطمئنا ويشتاقا إلى تعبيرها، وليتمكن من دعوتهما ليكون أدعى لقبول الدعوة إلى الله؛ لأن الدعوة لهما إلى الله أعظم من تعبير رؤياهما، فدعاهما إلى الله بأمرين:

أحدهما: بحاله وما هو عليه من الوصف الجميل الذي أوصله إلى هذه الحال الرفيعة، بقوله: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧- ٣٨].

الأمر الثاني: دعاهما بالبرهان الحقيقي الفطري، فقال: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٣٩- ٤٠].

فإن من توحد بالكمال من كل وجه، وبالقهر للعالم العلوي والسفلي المستحق للألوهية الكاملة، الذي خلق الخلق لعبادته وأمرهم بها، وله الحكم على عباده في الدنيا والآخرة ــ هو الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده دون المعبودات الناقصة المتفرقة، التي كل قوم يَدَّعون إلهيتها، وليس فيها من معاني

الإلهية شيء ولا استحقاق، وإنما هي أسماء اصطلحوا على تسميتها أسماء بلا معاني، فرأى ﷺ دعوتهما إلى الله أولى بالتقديم على تفسير رؤياهما وأنفع لهما ولغيرهما.

* * * *

الفصل الثاني

وأما رؤيا الملك فإنه رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات عجاف، وسبع سنبلات خضر يأكلهن ويستولي عليهم سبع سنبلات يابسات ضعيفات(١)، فهالته وجمع لها كل من يظن فيه المعرفة، فلم يكن عند أحد منهم علم بتعبيرها، وقالوا: ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ [يوسف: ٤٤].

وبعد هذا تفطن الذي خرج من السجن لحالة يوسف، وما هو عليه من العلم العظيم والعلم بالتعبير، وتفطن لوصيته التي أنساه الشيطان ذكر ربه، لحكمة قد فصح أمرها، وأنه لا يخرج من السجن إلا بعد اشتهاره، وتميزه العظيم على الناس كلهم بتعبير رؤيا الملك، فطلب هذا الرجل من الملك أن يرسله إلى يوسف وإنه كفيل بمعرفة تفسيرها، فلما جاء يوسف قال له: يا ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾ [يوسف: ٤٦].

فإن الملك والناس معه أرسلوني إليك لتفسيرها لهم، وهم بانتظار ذلك متشوقين إليه غاية التشوق، ولهذا قال: ﴿لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٦]، ما ألهم(٢) الملك وأزعجه ولاعَه.

---

(١) ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣].

(٢) لعله: أهمَّ.

ففي الحال فسَّرها يوسف ﷺ، وزادهم مع التفسير حسن العمل بها وحسن التدبير؛ فأخبرهم أن البقر السمان والسنابل السبع الخضرات هي سنون رخاء وخصب متواليات، تتقدم على السنين المجدبات، وأن البقر العجاف والسنابل اليابسات سنون جدب تليها، وأن بعد هذه السنين المجدبات عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون، وأنه ينبغي لهم في السنين المخصبات أن ينتهزوا الفرصة ويعدوا العدة للسنين الشديدات، فيزرعون زروعًا هائلة أزيد بكثير من المعتاد، ولهذا قال: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾(١) [يوسف: ٤٧].

ومن المعلوم أن جميع السنين يزرع الناس، لكنه أراد منهم أن يزرعوا زروعًا كثيرة، ويبذلوا قواهم في كل ما يقدرون عليه، وأنهم يحتاطون في الغلات إذا حصلت بالتحصين والاقتصاد فقال: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ [يوسف: ٤٧] أي: احفظوا الحاصلات من الزرع حفظًا تسلم به من الفساد والسوس بأن تبقى في سنابلها، ويقتصدون في هذه المدة مدة الرخاء فلا يسرفون في الإنفاق، بل يأكلون القليل ويحفظون الكثير. وإن بعد هذه السنين المُخْصِبات سيأتي سبع سنين مجدبات شديدات، تشمل الديار المصرية وما حولها، وإنها تأكل ما قدم لها مما حفظ في سنين الخصب إلا قليلًا مما تحصنون، ووجه المناسبة أنه كما تقدم أن الرؤيا تعبر بحال رائيها، والمناسبات المتعلقة بها كالرائي لها الملك الذي تتعلق به أركان الرعية وأمورها، ولهذا كانت رؤياه ليست خاصة له بل تشمل الناس والرعية. ووجه المناسبة في تفسير البقرات والسنابل بالسنين ظاهر في البقر

(١) دأبًا بتسكين الهمزة، والمعنى: متوالية متتابعة، الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٠٣).

من وجهين:

أحدهما: إنها هي التي في الغالب يحرث عليها الأرض، والحروث والزروع وتوابعها تبع للسنين في خصبها وجدبها.

والوجه الثاني: البقر من المواشي التي سمنها وعجفها تبع للسنين أيضًا، فإذا أخصبت سمنت وإذا أجدبت عجفت وهَزِلَتْ، وكذلك السنابل تزهو الزروع وتكمل وتنمو مع كثرة الماء والسنين المخصباتِ، وتضعف وتيبس مع السنين المجدبات، فكانت رؤياه في البقر والسنابل من أوصاف السنين وآثارها ومن ذكر الوسائل والغايات، فالحرث للأراضي وسيلة ونمو الزرع وحصول السمن في المواشي هو الغاية من ذلك والمقصود.

وأما قوله: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٩] أي: يحصل للناس فيه غيث مغيث تعيد الأراضي خصبها ويزول عنها جدبها، وذلك مأخوذ من تقييد السنين المجدبات بالسبع، فدل هذا القيد على أنه يلي هذه السبع ما يزيل شدتها، ويرفع جدبها، ومعلوم أن توالي سبع سنين مجدبات لا يبقي في الأرض من آثار الخضر والنبات والزروع ونحوها لا قليلًا ولا كثيرًا، ولا يرفع هذا الجدب العظيم إلا غيث عظيم، وهذا ظاهر جدًا، أخذه من رؤيا الملك.

ومن العجب أن جميع التفاسير التي وقفت عليها لم يذكروا هذا المعنى مع وضوحه، بل قالوا: لعل يوسف ﷺ جاءه وحي خاص في هذا العام الذي فيه يغاث الناس وفيه يعصرون، والأمر لا يحتاج إلى ما ذكروه، بل هو ولله الحمد ظاهر من مفهوم العدد، وأيضًا ظاهر من السياق، فإنه جعل هذا

التعبير والتفسير توضيحًا لرؤيا الملك(١).

ثم اعلم أن رؤيا الملك وتعبير يوسف لها، وتدبيره ذلك التدبير العجيب من رحمة الله العظيمة على يوسف، وعلى الملك وعلى الناس، فلولا هذه الرؤيا وهذا التعبير والتدبير لهجمت على الناس السنون المجدبات قبل أن يعدُّوا لها عدتها، فيقع الضرر الكبير على الأقطار المصرية، وعلى ما جاورها.

فصار ذلك رحمة بهم وبغيرهم من الخلق، ألا ترى كيف شمل الجدب البلاد المصرية، وشمل البلاد الشامية وفلسطين وغيرها، حتى احتاجوا إلى الاكتيال من مصر، واحتاج يوسف أن يقدر للجميع ويوزع عليهم توزيعًا عادلًا فيه الرفق بالجميع والإبقاء عليهم. وكان هذا العلم العظيم من يوسف هو السبب الأعظم في خروجه من السجن، وتقريب الملك له من اختصاصه به وتمكينه من ﴿ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾(٢) [يوسف: ٥٦]، وهذا من إحسانه، والله لا يضيع أجر المحسنين، ومع هذا الفضل وفضل الله أعظم من ذلك يصيب برحمته من يشاء ممن يختاره(٣) ويختصه ويجمع له خير الدنيا والآخرة.

---

(١) يدل الكلام على سعة علم شيخنا.

(٢) ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤].

(٣) ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يوسف: ٥٦- ٥٧].

الفصل الثالث

ومن فوائد هذه القصة أنه يتعين على الإنسان أن يعدل بين أولاده، وينبغي له إذا كان يحب أحدهم أكثر من غيره أن يخفي ذلك مهما أمكنه، وأن لا يفضله بما يقتضيه الحب من إيثار بشيء من الأشياء، فإنه أقرب إلى صلاح الأولاد وبرهم به، واتفاقهم فيما بينهم، ولهذا لما ظهر لإخوة يوسف من محبة يعقوب الشديدة ليوسف وعدم صبره عنه وانشغاله به عنهم، سعوا في أمر وخيم، وهو التفريق بينه وبين أبيه، فقالوا: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ٨- ٩].

وهذا صريح جدًا؛ أن السبب الذي حملهم على ما فعلوا بيوسف من التفريق بينه وبين أبيه هو تمييزه بالمحبة، خلاف ما ذكر كثير من المفسرين أن يوسف أخبرهم برؤياه، فحسدوه لذلك، فإنه مناف للآية الكريمة، وسوء ظن بيوسف حيث استكتمهُ أبوه، فقال: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥]، فيوسف أبر وأعقل من أن يخبرهم بها، ولكن كثير من الإسرائيليات تروج على كثير من الناس، مع أن أقل تأمل في النصوص الشرعية يعلمهم ببطلانها.

والمقصود: أن الذي حمل إخوة يوسف على ما فعلوا هو تمييز يعقوب ليوسف، ومع هذا فلا يحل هذا الأمر الشنيع وهم يعلمون أنه لا يحل لهم، ولكنهم قالوا: افعلوا هذا الجرم العظيم وتوبوا إلى الله بعده، فلهذا قالوا: ﴿وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ٩] وهذا لا يحل أن يواقع

العبد الذنب بأي حالة يكون ولو أضمر أنه سيتوب منه، فالذنب يجب اجتنابه، فإذا وقع وجبت التوبة منه. ولعل من حكمة الله ورحمته بيعقوب ما قدَّره عليه من الفرقة التي أحدثت له من الحزن والمصيبة ما أحدثت رفعة لمقاماته في الدنيا والآخرة، وليكون للنعمة عند حصول الاجتماع لها الموقع الأكبر والشكر الكثير والثناء على الله بها، وليصل ولده يوسف إلى ما وصل إليه من المقامات الجليلة، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ومن فوائدها: الحث على التحرز مما يخشى ضرره لقوله: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ﴾ [يوسف: ٥]، وما فيها من التأكيد عليهم في حفظه حين أرسله معهم، ثم عند إرسال أخيه بنيامين بعد ذلك، أخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلك. فالإنسان مأمور بالاحتراز، فإن نَفَعَ فذاك، وإلا لم يلم العبد نفسه.

ومنها: أن من الحزم إذا أراد العبد فعلًا من الأفعال أن ينظر إليه من جميع نواحيه، ويقدر كل احتمال ممكن، وأن الاحتراز بسوء الظن لا يضر إذا لم يحقق، بل يحترز من كل احتمال يخشى ضرره، ولو تضمن ظن السوء بالغير إذا كانت القرائن تدل عليه وتقتضيه، كما في هذه الآية، وكما قويت القرائن في قوله: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ﴾ [يوسف: ٦٤]، فإنه سبق لهم في أخيه ما سبق، فلا يلام يعقوب إذا ظن بهم هذا الظن، وإن كانوا في الأخ الأخير لم يجر منهم تفريط ولا تَعَدٍّ.

ومنها: الحذر من الذنوب التي يترتب عليها ذنوب أخر ويتسلسل

شرها، كما فعل إخوة يوسف بيوسف، فإن نفس فعلهم فيه عدة جرائم في حق الله، وفي حق والديه وقرابته، وفي حق يوسف، ثم يتسلسل كذبهم كلما جرى ذكر يوسف وقضيته، أخبروا بهذا الكذب الفظيع، ولهذا حين تابوا وخضعوا وطلبوا من أبيهم السماح: ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٩٧].

ومنها: أن بعض الشر أهون من بعض، فحين اتفقوا على التفريق بين يوسف وأبيه، ورأى أكثرهم أن القتل يحصل به الإبعاد الأبدي: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ﴾ [يوسف: ١٠]، فخفف به الشر عنهم، ولهذا لما وردت السيارة الماء وأدلى واردهم دلوه تبشر بوجوده، وقال: ﴿هَـٰذَا غُلَـٰمٌ﴾ [يوسف: ١٩]، وكان إخوته حوله فقالوا: إنه غلام آبق منّا وتبايعوه معهم ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَّعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠]. وإنما قصدهم إبعاده والتأكيد على مشتريه منهم، صورة أن يحتفظ به لئلا يهرب، ومن لطف الله أن الذي أخذه وباعه[1] في مصر على عزيزها فحين رآه رغب فيه جدًا وأحبه، وقال لامرأته: ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [يوسف: ٢١]، فبقي مكرمًا عندهم معفى من الأعمال الشاقة وغيرها متجردًا للخير، وهذا من اللطف بيوسف، ولهذا قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ

(١) لعل الواو زائدة؛ حيث لم يأت خبر إن لأنه خبر، فالجملة التي بعد الواو هي خبر.

﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾ [يوسف: ٢١]، فكان تفرغه عند العزيز من أسباب تعلمه للعلوم النافعة ليكون أساسًا لما بعده من الرفعة في الدنيا والآخرة، كما أن رؤياه مقدمة اللطف، وكما أن الله أوحى إليه حين ألقاه إخوته في الجب: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥].

وهذه بشارة له بالنجاة مما هو فيه، وإنه سيصل إلى أن ينبئهم بأمرهم وهم لا يشعرون، وقد وقع ذلك في قوله: ﴿هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩] إلى آخر الآيات. وألطاف المولى لا تخطر على البال.

ومنها: أن العبرة في حال العبد بكمال النهاية لا بنقص البداية، وذلك لأن إخوة يوسف جرى منهم ما جرى من هذه الجرائم، لكن في آخر أمرهم ونهايته تابوا إلى الله، وطلبوا السماح من أخيهم يوسف، ومن والديهم[1] الاستغفار فحصل لهم السماح التام والعفو الكامل، فعفا الله عنهم وأوصلهم إلى الكمال اللائق بهم.

قيل: إن الله جعلهم أنبياء؛ كما قاله غير واحد من المفسرين في تفسير الأسباط إنهم إخوة يوسف الاثنا[2] عشر[3]، وقيل بل كانوا قومًا صالحين، كما قاله آخرون، وهو الظاهر؛ لأن المراد بالأسباط قبائل بني إسرائيل، وهو

(١) قلت: صريح القرآن إنهم لم يطلبوا الاستغفار إلا من أبيهم.

(٢) الصواب الأحد عشر.

(٣) قاله قتادة وغيره، تفسير ابن كثير (١/ ٢٠٠).

اسم لعموم القبيلة لَا لِأَوْلَادِ يعقوب الاثني عشر منهم، فهم آباء الأسباط وهم من الأسباط، ولهذا في رؤيا يوسف رآهم بمنزلة الكواكب في إشراقها وعلوها، وهذه صفة أهل العلم والإيمان، والله أعلم.

ولهذا تفسر رؤيا الشمس والقمر والكواكب بالعلماء والصالحين، وقد تفسر بالملوك، والمناسبة ظاهرة.

ومنها: تكميل يوسف صلوات الله عليه لمراتب الصبر، الصبر الاضطراري: وهو صبر على أذية إخوته، وما ترتب عليها من بُعْدِه عن أبويه، وصبره في السجن بضع سنين. والصبر الاختياري: هو صبر على مراودة سيدته امرأة العزيز مع وجود الدواعي القوية من جمالها وعلو منصبها، وكونها هي التي راودته عن نفسه وغلقت الأبواب، وهو في غاية ريعان الشباب، وليس عنده من قرابته ومعارفه الأصليين أحد.

ومع هذه الأمور ومع قوة الشهوة منعه الإيمان(١) الصادق والإخلاص الكامل من مواقعة المحذور، وهذا هو المراد بقوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤]، فهو برهان الإيمان الذي يغلب جميع القوى النفسية، فكان هو مقدم السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لَا ظل إلا ظله، وهو رجل دعته امرأة ذات منصب و جمال، فقال: إني أخاف الله(٢).

---

(١) قلت: وهنا داع أقوى من هذا، وهو صرف الله له عن الوقوع في المعصية لقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ [يوسف: ٢٤].

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠)، وأحمد (٢/ ٤٣٩)، ومسلم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة.

ثم بعد ذلك راودته المرأة وراودته، واستعانت بالنسوة اللاتي قطعن أيديهن، فلم تحدثه نفسه، ولم يزل الإيمان ملازمًا له في أحواله، حتى قال بعدما توعدته بقولها: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٢، ٣٣]، فاختار السجن على مواقعة المحظور، ومع ذلك فلم يتكل على نفسه بل استغاث بربه أن يصرف عنه شرهن، فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن، إنه هو السميع العليم.

وكما أنه كمل مراتب الصبر فقد كمل مراتب العدل والإحسان للرعية حين تولى خزائن البلاد المصرية، وكمل مراتب العفو والكرم حين قال له إخوته: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩١، ٩٢]، فارتقى ﷺ إلى أعلى مقامات الفضل والخير والصدق والكمال، ونشر الله له الثنائين الكاملين في العالمين.

* * * *

الفصل الرابع

ومنها: أن الإخلاص لله تعالى أكبر الأسباب لحصول كل خير واندفاع كل شر، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]، وفي القراءة الأخرى المخلِصين[١]، أي: الذين أخلصهم الله بخالصةٍ ذِكْرَى[٢] الدار، وهما متلازمتان فأخلَصهم لإخلاصهم له، فمن أخلص لله أخلصهُ وخلَّصه من الشرور وعصمه من السوء والفحشاء.

ومنها: ما دلت عليه القصة من العمل بالقرائن القوية من عدة وجوه؛ منها حين ادّعت امرأة العزيز أن يوسف راودها، وقال: هي راودتني عن نفسي فشهد شاهد من أهلها، أي: حكم حاكم بهذا الحكم الواضح، وكانت قد شقَّت قميص يوسف وقت[٣] مراودتها إياه: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [يوسف: ٢٦]؛ لأنه يدل على إقباله عليها وأن المراودة صادرة منه، ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ٢٧]، فكان هذا هو الواقع؛ لأنها تريده وهو يفر منها ويهرب عنها، فقدَّت قميصه من خلفه، فتبين لهم أنها هي المراودة في تلك الحال، وبعد ذلك اعترفت اعترافًا تامًا؛ حيث قالت: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ

---

(١) أي: بكسر اللام.

(٢) بأن يذكروا الدار الآخرة ويتأهبوا لها. انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢١٨).

(٣) لعله وقت هروبه منها حين استبقا الباب كما هو صريح الآية.

﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٥١ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥١- ٥٢].

ومن العمل بالقرائن وجود الصواع في رحل أخيه، وحكمهم عليه بأحكام السرقة لهذه القرينة القوية.

ومنها: إنه ينبغي للعبد أن يبتعد عن أسباب الفتن ويهرب منها عند وقوعها، كما فعل يوسف حين راودته امرأة العزيز، واعلم أن كثيرًا من المفسرين ذكروا في تفسير البرهان الذي رآه يوسف، حين اعتصم عن الفاحشة إسرائيليات تنافي العقل والدين، وتنافي ما عليه الرسل من الكمال؛ حيث قال بعضهم: تبدَّى له جبريل في الهواء، أو تبدى له يعقوب عاضًا إبهاميه أو ما أشبه ذلك من الأمور، التي لو حصلت على أفجر الناس لامتنع من فجوره، فكلها باطلة.

وكذلك من الأقوال الباطلة ما قاله بعضهم في قوله: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: ٢٤]، أي: همَّ أن يضربها، وهذا تحريف ظاهر، وصاحب هذا القول أراد الفرار من الهم المعروف، خشية أن يكون فيه نقص، وتنقيص الأنبياء محذور في ذلك، فإن الهم والهوى ونحوهما إذا قاومه العبد وقدم عليه الخوف والإيمان فهو كمال، كما قال تعالى: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]. وكما ثبت في الصحيح مرفوعًا: «**من همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله حسنة كاملة**»(١) فإنه إنما تركها من جرائي ـ أي: تركه لها لأجل الله

(١) البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١) من حديث ابن عباس مرفوعًا.

خوفًا من عقابه ورجاءً لثوابه ـ من أكبر العبادات، والله أعلم.

ومنها: ما عليه يوسف صلوات الله عليه من الجمال الظاهر الذي أخذ بلُبِّ امرأة العزيز وشغفها حبًا، وحين رأتهُ النسوة قطعن أيديهن وأكبرنه، وقلن: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١]، ومن الجمال الباطن وهو العفة والإخلاص الكامل والصيانة.

ومنها: أنه ينبغي للعبد أن يلتجأ إلى الله عند خوف الوقوع في فتن المعاصي والذنوب، مع الصبر والاجتهاد في البعد عنها، كما فعل يوسف ودعا ربه قال: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]، وإن العبد لا حول ولا قوة ولا عصمة له إلا بالله، فالعبد مأمور بفعل المأمور وترك المحظور والصبر على المقدور مع الاستعانة بالملك الشكور.

* * * *

الفصل الخامس

ومنها: فضل الإيمان الكامل واليقين والطمأنينة بالله وبذكره(١)، حيث اتصف بها يوسف ﷺ فأوجبت له الثبات في أموره كلها، والاشتغال فيما هو بصَدَدِهِ من وظائفه الحاضرة، وهو في أحواله وتنقلاته مطمئن القلب ثابت النفس، ليس عنده قلق لبعده عن أبيه وأحبابه، مع ما يعلمه من شدة الشوق والحب المفرط بينه وبين والديه، خصوصًا أباه، وهو يعلم المكان الذي هو فيه، ويتمكن من مراسلته، ولكن اقتضت حكمة الله أن لا يحصل اللقاء إلا في تلك الحال التي اشتدت مشقتها وعظمت شدتها، فأعانه الله وأيده بروح منه، وهذا من أَجَلِّ ثمرات الإيمان.

ومنها: أنه لا بأس بالاستعانة بالمخلوق في الأمور العادية التي يقدر عليها بفعله أو قوله، وإخباره، كما قال يوسف للذي ظن أنه ناج منهما: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]، ومن كمال إخلاص يوسف وكمال خلقه أنه لم يعاتب هذا الذي أوصاه أن يذكره عند ربه فنسي، وجاءه يسأله عن رؤيا الملك، فأجابه ولم يعاتبه أو يعنفه أو يعامله بسوء خلق، وبحسن الخلق تحصل للعبد الحياة الطيبة العاجلة والآجلة(٢).

ومنها: أن الإنسان إذا وجهت له تهمة هو بريء منها لا يلام على طلب الطرق والوسائل التي يحصل بها الوضوح والبيان العام للناس، كما فعل يوسف ﷺ مع طول مكثه لما جاءه الرسول يستدعيه للحضور عند الملك،

---

(١) ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

(٢) كما في الحديث: «**وخالق الناس بخُلُق حسن**»، أخرجه أحمد (٥/ ١٥٣).

قال: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ﴾ إلى آخر الآية [يوسف: ٥٠]، حيث بان لكل أحد براءته التامة التي لا شبهة فيها، فلم يخرج من السجن لمواجهة الملك إلا في حالة براءته وهيبته ورفعته، وتعظيم منهم لعلمه وفضله ونزاهته عليه الصلاة والسلام.

* * * *

الفصل السادس

ومن ذلك أن يوسف ﷺ جمع لهم بين تعبير رؤيا الملك وبين ما ينبغي لهم أن يفعلوه ويدبروه في سِنِيِّ[1] الخصب، للاستعداد لسِنِيِّ[2] الجدب، وحين قال له الملك: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤]، أي: تتمكن من أمور المملكة وتدابيرها، مُفَوَّضٌ إليهِ الأمور لأمانته وكفاءته وكمال الثقة به. فالملك هو الذي ابتدأ توليته وتفويض الأمور إليه، وهو الذي اقترح أن يكون على خزائن الأرض وجبايتها وتصريفها لأجل عموم المصلحة، ولهذا قال: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، أي: أحفظ الحاصلات والغلات وأعلم كيف يتم تصريفها وتدبيرها.

فحينئذٍ اعتنى في سِنِيِّ[3] الخصب بالزروعات الهائلة وجباها في مخازنها في سنبلها، وأجتهد في الاقتصاد في أكلهم أيام السنين الخصيبة لتتوفر الغلال ويكون لها النفع العام، فحين جاءت السنون المجدبات وعم الجدب للأقطار المصرية وما جاورها، وفني ما عند الناس جعلوا يقصدون مصر من كل جهة، فجعل يكيل لهم كيل العدل والاقتصاد بحسب الحاجة لا يزيد كل واحد على حمل البعير؛ خوفًا من أن يجتاحه المحتكرون ويحصل الضرر على المحتاجين المعوزين، ولهذا من جملة ما عالج إخوة يوسف أباهم لإرسال بنيامين معهم أن قالوا: ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ﴾ [يوسف:

---

(١) حذف النون في اللفظتين للإضافة.

(٢) حذف النون في اللفظتين للإضافة.

(٣) حذف النون في اللفظتين للإضافة.

٦٥]، أي: إذا كان معنا حصل لنا زيادة كيل بعير؛ لأن عائلة يعقوب كثيرون يحتاجون إلى ميرة كثيرة، فحصل لهذه الأعمال الجليلة على يد يوسف نفع للخلق عظيم، وإزالة ضرورات ودفع حاجات وتهوين للشدات والكربات.

ومنها: مشروعية الضيافة، وإنها من سنن الرسل وقررتها هذه الشريعة لقول يوسف: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [يوسف: ٥٩].

ومنها: أن استعمال الأسباب الواقية من العين[١] أو غيرها غير ممنوع، بل جائز ومستحب بحسب حاله، وإن كانت جميع الأمور بقضاء الله وقدره، لكن الأسباب الواقية أو الدافعة من قضاء الله وقدره، بشرط أن يفعلها العبد وهو معتمد على مسببها؛ لأن يعقوب عليه السلام حين أراد أن يوصي بنيه لمَّا أرسل بنيامين معهم، قال: ﴿يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [يوسف: ٦٧]. وأخبر تعالى أنهم امتثلوا أمر أبيهم، وإن هذا الأمر لم يغن شيئًا إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها؛ وهو شفقة الوالد على أولاده. والشريعة جاءت بإثبات الأسباب النافعة الدينية والدنيوية، والحث عليها مع الاستعانة بالله، كما ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله**»[٢].

ومنها: جواز استعمال الحيل والمكايد التي يتوصل بها إلى حق من الحقوق الواجبة والمستحبة أو الجائزة، كما استعمل يوسف ذلك مع أخيه،

---

(١) «**استعيذوا بالله من العين فإن العين حق**»، أخرجه ابن ماجه (٣٥٠٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

حيث وضع السقاية في رحل أخيه، ثم أذن مؤذن بعد رحيلهم(١): ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ [يوسف: ٧٠ - ٧٦]، فعمل مع أخيه هذا العمل ليتوصل به إلى بقائه عنده من غير شعور منهم(٢)، فلما تقرر عندهم أنه هو الذي أخذ الصواع استفتاهم عن حكم السارق في دينهم فقالوا: ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يوسف: ٧٥]، أي: جزاء السارق أن يتملكه المسروق منه، فحكموا على أنفسهم هذا الحكم الذي هو المقصود ليوسف، ولو أجرى عليه حكم ملك مصر لكان له حكم آخر، فيسَّر الله هذا العمل وهذا الحكم ليبقى أخوه عنده. فالحيل التي على هذا النوع لا حرج فيها، وإنما المحرم الحيل والمكائد التي يتوصل بها إلى إحلال المحرمات أو إسقاط الواجبات.

ومنها: استعمال المعاريض عند الحاجة إليها؛ فإن في المعاريض مندوحة عن الكذب، وذلك من وجوه؛ منها قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ﴾ [يوسف: ٧٥] ولم يقل سرقها، وكذلك قوله: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ [يوسف: ٧٩] ولم يقل: من سرق متاعنا. وإذا قيل إن هذا اتهام للبريء، قيل: إنما فعل ذلك بإذن أخيه ورضاه، وإذا رضي زال المحذور.

---

(١) يظهر أنه قبل رحيلهم.

(٢) استفتاؤه قبل وجود الصواع في رحله.

ومنها: أن الإنسان لا يحل له أن يشهد إلا بما يعلم، لقولهم: ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ [يوسف: ٨١]، وإن العلم يحصل بإقرار الإنسان على نفسه، وبوجود المسروق ونحوه معه وفي يده أو رحله.

وفيها: أن وجود المسروق بيد السارق بينة وقرينة على أنه السارق، ولذلك حكم وحكموا على أخي يوسف بحكم السارق.

ومنها: هذه المحنة العظيمة التي امتحن الله بها نبيه وصفيه يعقوب عليه السلام، حيث قضى بالفراق بينه وبين يوسف هذه المدة الطويلة، التي يغلب على الظن أنها تبلغ ثلاثين سنة فأكثر، من ذلك أنه بقي مدة في بيت العزيز قبل السجن في الإمكان، أو تكون من سبع السنين إلى العشر أو نحو ذلك على وجه الخرص والحزر، ثم مكث بضع سنين في السجن، والأكثر أنها سبع سنين، ثم بعد خروجه دخلت السبع السنين المخصبات، فهذه نحو إحدى وعشرين سنة، ثم دخلت السبع المجدبات، وتردد إخوة يوسف إليه مرات، والظاهر أن اللقاء كان في آخرها، فهذه تقارب الثلاثين ونحوها، وهو في هذه المدة لم يفارق الحزن قلبه، وهو دائم البكاء حتى ابيضت عيناه من الحزن، وفقد بصره وهو صابر لأمر الله، محتسب الثواب عند الله قد وعد من نفسه الصبر، ولا شك أنه وفى بذلك، ولا ينافي ذلك قوله: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، فإن الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر، وإنما ينافي الصبر الشكوى إلى المخلوق.

ومنها: أن الفرَج مع الكرب[1]، فإنه لما اشتد الكرب بيعقوب وقال: يا أسفى على يوسف، قال: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وهم حين دخلوا على يوسف وقفوا بين يديه موقف المضطر فقالوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ﴾ [يوسف: ٨٨]، أي: قليلة حقيرة لا تقع الموقع فأوف لنا الكيل ﴿وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: ٨٨]، فحينئذٍ لما بلغ الضر منتهاه من كل وجه عرَّفهم بنفسه، فحصل بذلك البشارة الكبرى لأبويه وإخوته وأهلهم، وزال عنهم الضر والبأساء وخلفه السرور والفرح والرخاء.

ومنها: أن الله يبتلي أنبياءه وأصفياءه بالشدة والرخاء والسرور والحزن واليسر والعسر ليستخرج منهم عبوديته في الحالين بالشكر عند الرخاء والصبر عند الشدة والبلاء، فتتم عليهم بذلك النعماء كما ابتلى يعقوب ويوسف، وكذلك غيرهم من أنبيائه وأصفيائه[2].

ومنها: جواز إخبار الإنسان بما يجد وما هو فيه من مرض أو فقر أو غيرهما على غير وجه التسخط؛ لقول إخوة يوسف: ﴿مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ [يوسف: ٨٨]، وأقرهم يوسف على ذلك.

---

(١) لحديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «**يا غلام**..» إلخ. أخرجه أحمد (١/ ٣٠٧، ٣٠٨).

(٢) من حديث أبي سعيد: أيّ الناس أشد بلاء؟ قال: «**الأنبياء**...» إلخ. أخرجه ابن ماجه (٢٠٢٤).

ومنها: فضيلة التقوى والصبر، وأن كل خير في الدنيا والآخرة فمن آثارهما، وأن عاقبة أهلهما أحسن العواقب لقوله: ﴿قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]، وإن إخبار العبد من(١) نفسه بحصول التقوى والصبر إذا كان صدقًا، وفي ذلك مصلحة من باب التحدث بنعمة الله، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]، وهي تشمل نعم الدنيا ونعم الدين، وأن الله يجمع للمتقين بين خير الدنيا والآخرة، كما في هذه الآية والآية السابقة وهي قوله: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يوسف: ٥٦- ٥٧]، وإنه ينبغي للعبد أن يتذكر في حال الرخاء والسرور حالة الحزن والشدة ليزداد شكره وثناؤه على الله، ولهذا قال يوسف: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ [يوسف: ١٠٠].

ومنها: أنه ينبغي للعبد أن يتضرع إلى الله دائمًا في تثبيت إيمانه ويعمل الأسباب لذلك، ويسأل الله حسن الخاتمة وتمام النعمة، ويتوسل بنعمه الحاصلة(٢) إلى ربه أن يتمها عليه ويحسن له العاقبة، كما قال يوسف ﷺ: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، وليس هذا من يوسف تمنيًا للموت كما ظنه بعضهم، بل هو دعاء لله أن

(١) لعله: عن.

(٢) قلت: ليس بوعد في المستقبل وإنما هو جزم في الحال حيث قيده في اليوم.

يحسن خاتمته ويتوفاه على الإسلام، كما يسأل العبد ربه ذلك كل وقت.

ومنها: ما منَّ الله به على يوسف من حسن عفوه عن إخوته وأنه عفا عما مضى، ووعد في المستقبل أن لا يثرِّب عليهم، ولا يذكر منه شيئًا لأنه يجرحهم ويحزنهم، وقد بدؤوا[1] الندامة التامة، ولأجل هذا قال: ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓ﴾ [يوسف: ١٠٠]، ولم يقل: من بعد أن نزغهم، بل أضاف[2] الفعل إلى الشيطان الذي فرق بينه وبين إخوته، وهذا من كمال الفتوة وتمام المروءة.

ومنها: ما في هذه القصة العظيمة من البراهين على رسالة محمد ﷺ حيث قصها على الوجه المطابق، وهو لم يقرأ من الكتب السابقة شيئًا ولا جالس من له معرفة بها، ولا تعلَّم من أحدٍ، إن هو إلا وحي أوحاه الله إليه، ولهذا قال: ذلك من أنباء الغيب نقصه إليك[3] ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا، كما ذكر الله هذا المعنى في قصّة موسى وغيره من الأنبياء لأن الغيوب نوعان: أمور سابقة قد اندرس علمها، نبأه الله بها، وأمور

---

(١) لعله: وقد أبدوا.

(٢) قلت: ولكنه في أول الأمر أضاف الفعل إليهم لقوله: ﴿هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم...﴾ [يوسف: ٨٩] إلخ. والفرق بين الحالين أنه في حال التقرير أسنده إليهم ليتقرر في نفوسهم إساءتهم إليه وليعرفوا فضله. وفي النهاية أظهر لهم كرمه وتمام مروءته ﷺ وعلى سائر الأنبياء.

(٣) صواب الآية: ﴿نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢].

مستقبلة قد نبأه الله بها قبل أن تقع فوقعت، ولا تزال تقع شيئًا بعد شيء مطابقة لما أخبر به ﷺ في كتاب الله وفي سنة رسوله(١)، وكلها براهين على رسالته.

* * * *

(١) ومن أراد المزيد فليراجع: الفتن والملاحم لابن كثير.

الفصل السابع

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ [يوسف: ٥٣]، دليل على أن هذا وصف النفس من حيث هي وأنها لا تخرج عن هذا الوصف إلا برحمة من الله وعناية منه؛ لأن النفس ظالمة جاهلة، والظلم والجهل لا يأتي منهما إلا كل شر، فإن رحم الله العبد ومَنَّ عليه بالعلم النافع وسلوك طريق العدل في أخلاقه وأعماله خرجت نفسه من هذا الوصف، وصارت مطمئنة إلى طاعة الله وذكره، ولم تأمر صاحبها إلا بالخير، ويكون مآلها إلى فضل الله وثوابه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: ٢٧ـ ٣٠].

فعلى العبد أن يسعى في إصلاح نفسه وإخراجها من هذا الوصف المذموم، وهو أنها أمارة بالسوء، وذلك بالاجتهاد وتخلُّقها بأحسن الأخلاق، وسؤال الله على الدوام[1]، وأن يكثر من الدعاء المأثور: «**اللهم اهدني لأحسن الأعمال والأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئ الأعمال والأخلاق، لا يصرف عني سيئها إلا أنت**»[2].

وفي تضاعيف القصة فضيلة العلم من وجوه كثيرة وبيان أنه سبب الرفعة في الدنيا والآخرة، وسبب صلاح الدين والدنيا، فيوسف ﷺ لم ينل ما نال إلا بالعلم، ولهذا قال له أبوه: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ

(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ٢٤٢).
(٢) أخرجه مسلم (٧٧٠).

﴿ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦]. وامتن عليه وقت مكثه عند عزيز مصر بالتجربة والعلم، وحاز مقام الإحسان بالعلم، وخرج من السجن في حال العز والكرامة بالعلم، وتمكن عند ملك مصر واستخلصه لنفسه حين كلمه وعرف ما عنده من العلم، ودبر أحوال الخلق في الممالك المصرية بإصلاح دنياهم، وحسن تدبيره في حفظ خزائن الأرض وتصريفها وتوزيعها بالعلم، وعند نهاية أمره توسل إلى ربه أن يتولاه في الدنيا بالعلم، حيث قال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، ففضائل العلم وثمراته الجليلة العاجلة والآجلة لا تعد ولا تحصى.

وفيها: أن شفاء الأمراض، كما تكون بالأدوية الحسية تكون بأسباب ربانية، بل يحصل بهذا النوع من أنواع الشفا ما لا يحصل بغيره، فيعقوب عليه السلام قد ابيضت عيناه من الحزن وذهب بصره، فجعل الله شفاءه وإبصاره بقميص يوسف حين ألقاه على وجهه فارتد بصيرًا لما كان فيه من رائحة يوسف، الذي كان داء عينيه من حزنه عليه، فصار شفاؤه الوحيد مع لطف الله في قميص جسده.

ومن قال إن القميص من الجنة فليس عنده بذلك دليل، والله قادر على أن يشفيه من دون سبب، ولكنه حكيم، جعل الأمور تجري بأسباب ونظامات قد تهتدي العقول إلى معرفتها وقد لا تهتدي، ونظير ذلك أيوب ﷺ وصل به المرض والضر إلى حالة تعذر منها الشفا وأعيت الأطباء، فحيث أراد الله شفاءه أمره أن يركض برجله الأرض، فأنبع له عينًا باردة

وأمره أن يشرب منها ويغتسل، فأذهب الله ما في باطنه وظاهره من هذا الضرر، وعاد كأحسن ما أنت راء، قال تعالى: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢].

فهو تعالى يشفي العباد بأدوية وأسباب حسية وبأسباب ربانية معنوية: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]، كما أنه تعالى يوجد الأشياء بأسباب حسية معلومة وبأسباب ربانية لا تهتدي العقول إليها، كما في معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، وآياته النفسية والكونية، وهو المحمود على هذا وعلى هذا.

ومنها: جواز سؤال الخلق خصوصًا الملوك عند الضرورة؛ لقول إخوة يوسف: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: ٨٨]، فإنهم سألوا المحاباة في المعاملة والصدقة بدون عوض، وإنما قلت: خصوصًا الملوك، [لأنهم](١) لا يسألون من أموالهم الخاصة، وإنما يسألون من بيت المال، الذي هو للمصالح العمومية، وأهم المصالح دفع ضرورة المضطرين.

ومن فوائد القصة: أن الجهل كما يطلق على عدم العلم، فإنه يطلق على عدم الحلم، وعلى ارتكاب الذنب، لقوله تعالى: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]، وأما قوله: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ

(١) لعله سقط: لأنهم.

﴿وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩] فليس المعنى في ذلك عدم العلم، وإنما هو عدم العمل به واقتحام الذنوب، ومنه قول موسى ﷺ: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]، وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٧]، وكل من عصى الله فهو جاهل باعتبار عدم العمل بالعلم؛ لأن العلم الحقيقي ما زال به الجهل وأوجب العمل.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٢]، استدل به على ثلاثة أبواب من أبواب العلم: باب الجعالة، وباب الضمان، وباب الكفالة؛ لأن قوله: ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ [يوسف: ٧٢] من نوع الجعالة، وهو أن يجعل شيئًا معلومًا أو مقاربًا للمعلوم كحمل البعير، لأنه متعارف لمن يعمل له عملًا معلومًا وعملًا مجهولًا، وهي جائزة لما فيها من مصلحة الجاعل والعامل، وقوله: ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾، أي: ضامن وكفيل، وهي من عقود التوثقة بالحقوق التي يتم بها توسيع المعاملات وإصلاحها.

ومنها: أن العمل بالشريعة فيها[1] إصلاح الأرض والبلاد واستقامة الأمور، والعمل بالمعاصي من سرقة وغيرها فيها[2] فساد، ذلك لقولهم: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ [يوسف: ٧٣]، وكم

(١، ٢) لعله «فيه» في الموضعين؛ لأن الضمير عائد على العمل وهو مُذكّر لا مؤنث.

في القرآن من التصريح أن العمل بالمعاصي ومخالفة الرسل فساد للأرض، ومتابعة الرسل هو الصلاح المطلق صلاح الدين والدنيا.

ومنها: الدلالة على الأصل الكبير الذي أعاده الله وأبداه في كتابه، أن لكل نفس ما كسبت من الخير والثواب، وعليها ما اكتسبت من الشر والعقاب، وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى، لقوله: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٧٩].

ومنها: الحث على فعل الأسباب الجالبة للخيرات والحافظة من الكريهات. وفي القصة مواضع تدل على هذا الأصل الكبير، وتمام ذلك أن يقوم بالأسباب مستعينًا بالله واثقًا به، وقد عمل يعقوب عليه السلام الأسباب التي يقدر عليها في استحفاظ أولاده ليوسف ثم لأخيه حين أرسله معهم، وقال مع ذلك: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

وكذلك على العبد إذا همته المصائب وحلت به النكبات عليه أن يصبر ويستعين بالله على ذلك، قال يعقوب ﷺ حين عمل إخوة يوسف ما عملوا بيوسف وحلت به المصيبة الكبرى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، وذلك أن الصبر على الطاعات والصبر عن المحرمات والصبر على المصيبات لا يتم وينجح صاحبه إلا بالاستعانة بالله وأن لا يتكل العبد على نفسه، قال يوسف: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

* * * *

الفصل الثامن

ومن فوائد القصة: الإرشاد إلى طريق نافع من طريق الجدال والمقابلة بين الحق والباطل، وهو بيان ما في الحق من الخير والمنافع العاجلة والآجلة، وما في الباطل من ضد ذلك.

قال تعالى في دعوة يوسف للتوحيد: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، فذكر ما في الشرك من القبح وسوء الحال واتباع الظنون الباطلة، وأن كل طائفة من المشركين لهم معبود؛ إما نار أو صنم أو قبر أو ملك أو ميت أو غير ذلك من المعبودات المتفرقة، التي لا تملك لنفسها ولا لأهلها نفعًا ولا ضرًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا. وكل طائفة تضلل الأخرى، وكلهم ضالون هالكون فيها، هذه الأرباب والمعبودات خير أم الله الواحد القهار؟

فذكر له ثلاثة أوصاف عامة عظيمة؛ أنه الله الذي له الأسماء والصفات العليا، ومنه النعم كلها، وبذلك استحق أن يكون الله المألوه إله أهل الأرض وأهل السماء، وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله، وأنه الواحد المتفرد بكل صفة كمال، المتوحد بنعوت الجلال والجمال، الذي لا شريك له في شيء من الأفعال، وأنه القهار لكل شيء، فجميع العالم العلوي والسفلي كلهم مقهورون بقدرته خاضعون لعظمته متذللون لعزته وجبروته، فَمَنْ هذه صفاته العظيمة هو الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له.

ومنها: أن الدين المستقيم الذي عليه جميع الرسل وأتباعهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، لقوله: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ

﴿ٱلْقَيِّمُ﴾ [يوسف: ٤٠]، فهو الدين المستقيم المقيم للعقائد والأخلاق والأعمال، الذي لا تستقيم أمور الدين والدنيا إلا به.

ومنها: وجوب الاعتراف بنعم الله الدينية والدنيوية، لقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا﴾ [يوسف: ٣٨]، فهو الذي مَنَّ بالعافية والرزق وتوابع ذلك، وهو الذي مَنَّ بنعمة الإسلام والإيمان والطاعة وتوابع ذلك، فعلى العبد أن يعترف بها بقلبه ويتحدث بها، ويستعين بها على طاعة المنعم.

ومنها: أن الإحسان في عبادة الله والإحسان إلى العباد سبب يُنالُ به العلم وتُنال به خيرات الدنيا والآخرة، لقوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢]، وقوله: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يوسف: ٥٦- ٥٧]، فجعل الله الإحسان سببًا لنيل هذه المراتب العالية.

ومنها: أن النظر إلى الغايات المحبوبة يهوِّن المشاق المعترضة في وسائلها، فمتى علم العبد عاقبة الأمر وما يؤول إليه من خير الدنيا والآخرة هانت عليه المشقة وتسلى بالغاية، لقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥]، فأوحى إلى يوسف في هذه الحال المزعجة أن الأمر سيكون إلى خير وسعة، وبعد هذه الإهانة الصادرة من إخوتك لك ستكون لك الأثرة عليهم والعاقبة الحميدة، وفي هذا من اللطف والتسلية وتخفيف البلاء ما هو من أعظم نعم الله على العبد، ولهذا المعنى الجليل يذكِّر الله عباده عند المشاق والأمور المزعجة ما يترتب على ذلك

من الثواب والخير والطمع في فضله، قال تعالى: ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ﴾ [النساء: ١٠٤].

وقوله تعالى: ﴿وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ﴾ [يوسف: ١٥] دليل على رجوعهم كلهم إلى رأي من قال: ﴿لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ [يوسف: ١٠] كما أن قوله: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ﴾ [يوسف: ٣٣- ٣٤]، دليل على أن النسوة ساعدن امرأة العزيز على يوسف، وجعلن يغرينه بهذا العمل، فبعد ما رأين من جمال يوسف الباهر ما رأين أصبحن لامرأة العزيز مساعدات بعد أن كن قبل ذلك عاتبات عليها بقولهن: ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٣٠].

ومنها: أن العقود تنعقد بما يدل عليها من قول وفعل، لا فرق بين عقود التبرعات وعقود المعاوضات؛ لأن يوسف ﷺ ملَّك إخوته بضاعتهم التي اشتروا بها ميرتهم من حيث لا يشعرون، ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم في رحالهم(١)... الآية(٢)، وذلك من دون إيجاب وقبول قولي لأن الفعل والرضى يدل على ذلك.

* * * *

(١) الصواب: ردّت إليهم.

(٢) ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ﴾ [يوسف: ٦٥].

الفصل التاسع

إذا قيل: كيف خفي موضع يوسف على يعقوب وما بينه إلا مسافة قليلة مع طول المدة وقوة الداعي الـمُلِحِّ، وعلمه أنه على الوجود وحرصه الشديد على لقياه؟

فالجواب: ليس ذلك بغريب على قدرة الله، فإن الأسباب وإن قويت جدًا لا خروج لها عن قضاء الله وقدره. فإن الله تعالى أراد أن لا يحصل الاجتماع إلا في الوقت الذي أجَّله، والحالة التي أرادها، لما له في ذلك من الحكم العظيمة، ومتى أراد الله شيئًا في وقت مخصوص قدر من الأسباب الحسية أو المعنوية ما يمنع حصوله قبل ميقاته، كما يقدر من الأسباب ما يحصل به ما أراد، فالأسباب بيد العزيز الحكيم. وليس هذا بأغرب من قضية بني إسرائيل في التيه وهم أمة عظيمة، والتيه مسافة قصيرة، وهم بين أظهري قرى ومدن كثيرة، والمدة أربعون سنة لم يهتدوا طريقًا إلى مقصدهم، ولم يتيسر لهم من يرشدهم إلى قصدهم.

وكذلك أصحاب الكهف مكثوا في كهفهم ثلاثمائة وتسع سنين وهم في غار قريب من مدينة عظيمة، لم يصل إليهم أحد في هذه المدة الطويلة لأمر يريده الله.

فهذه الأمور وما أشبهها دليل على كمال قدرة الله وحكمته، مع أن يوسف عليه السلام بقي مدةً الله أعلم بها وهو في بيت العزيز، ثم مدة وهو في السجن، ثم ترقى إلى تدبير الـمُلك، ولم يخطر ببال أحد أن ينتقل من الرق والسجن إلى الملك العظيم.

ثم أنه وقت توليه يغلب على الظن أنه اشتهر عند الناس باسم المنصب والوزير للملك، ولا يكاد أحد يعرف اسمه كما هو الغالب على الملوك وأشباههم، ولهذا تردد إخوته عليه فعرفهم، وهم لا يعرفونه لما هو فيه من بهجة الولاية. وأيضًا قد فارقوه وهو صغير، ولم يروه إلا بعدما كبر، ومعلوم أن أوصاف الإنسان تتغير إذا وصل إلى سن الكهولة، والله أعلم.

هذا من جهة يعقوب وأولاده، أما من جهة يوسف فإنه قد علم وقصد التأخير ليبلغ الكتاب أجله، ولهذا تردد عليه إخوته وقد عرفهم ولم يعرِّفهم بنفسه، ولم يستدع أبويه وأهله إلا في نهاية الأمر.

* * * *

الفصل العاشر

قوله تعالى عن يعقوب في أول ما صنع أبناؤه بأخيهم يوسف: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، وقوله عندما اشتد به الأمر حين احتبس الابن الآخر: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣]، في هذا دليل على أن أصفياء الله إذا نزلت بهم الكوارث والمصيبات قابلوها في أول الأمر بالصبر والاستعانة بالمولى، وعندما ينتهي وتبلغ الشدة منتهاها يقابلونها بالصبر والطمع في الفرج والرجاء، فيوفقهم الله للقيام بعبوديته في الحالتين، ثم إذا كشف عنهم البلاء قابلوا ذلك بالشكر والثناء على الله وزيادة المعرفة بلطفه لقول يوسف: ﴿يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

ومنها: قوله تعالى: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ ۙ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ﴾ [يوسف: ٧٩]، يدل على أنه لا تزر وازرة وزر أخرى، ويؤخذ منه مسألة(١) دقيقة، وهو أن الإحسان إنما يكون إحسانًا إذا لم يتضمن فعل

(١) قلت: في كلام المؤلف هنا نظر، فإن المسألة أصلها خدعة لم يحصل فيها سرقة ولا شيء يوجب الأخذ، وإنما القصد أخذ شقيقه وقد مَهَّدَ له الأمر قبل ذلك بقوله: ﴿أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف: ٦٩]، ولو وافقهم على أن يأخذ =

محرم أو ترك واجب، فإنهم طلبوا من يوسف أن يحسن إليهم بترك هذا الأخ أن يذهب إلى أبيه ويأخذ أحدهم بدله فامتنع، وقال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٧٩]، فالإحسان إذا تضمن ترك العدل كان ظلمًا، ولهذا كان تخصيص بعض الأولاد على بعض وبعض الزوجات على بعض وإن كان إحسانًا إلى المخصص والمفضل لا يجوز لأنه تركٌ للعدل، وكذلك ما أشبه ذلك، والله أعلم.

ومنها: أن آيات الله إنّما ينتفع بها السائل المستهدي الذي قصده معرفة الحق واتباعه؛ لقوله: ﴿لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [يوسف: ٧]، أما الغافلون المعرضون أو المعارضون المعاندون فإنه يصدق عليهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٩٦ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦- ٩٧].

فالنظر في آيات الله المتلوة وآيات الله الكونية تنفع من قصده الحق كما قال تعالى: ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة: ١٦]، وكم في القرآن تقييد الانتفاع بهذا القيد كقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر: ٧٧]، ﴿ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠]، ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، ﴿لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [آل عمران: ١٣].

ومنها: أن المشاورة نافعة في كل شيء حتى في تخفيف الشر، لهذا

=

بدله واحدًا منهم لفات مقصوده.

تشاور إخوة يوسف ما يعملون به من قتل أو طرح في الأرض قَرَّ رأيهم على رأي من أشار عليهم بإلقائه في الجب ليلتقطه بعض السيارة[1]، ففيه شاهد للقاعدة المشهورة ارتكاب أخف المفسدتين أولى من أغلظهما.

ولما قر القرار على أخذ من وجد الصواع في رحله، وعالجوا يوسف على أخذ بدله لأجل ما يعلمون من مشقة أبيهم فامتنع، خلصوا نجيًا يتشاورون، فقرَّ رأيهم على رأي كبيرهم أن يبقى هو في مصر يلاحظ مسألة أخيه، وهم يذهبون ويخبرون أهلهم ويخبرون أباهم بالقضية وتفصيلها. ولا شك أن بقاءه في مصر أهون على يعقوب وأرجى لتحصيل المطلوب، وفيه نوع مواساة منه بأخويه يوسف وبنيامين، ولهذا قال: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣].

* * * *

(١) أقول: ليس فيه شاهد للقاعدة كما ذكر، فإن الأمر لم يتحتم عليهم شرعًا أو أمرًا ظلمًا، حتى ينظروا أخف الأمرين فيفعلوه، وإنما هو حث من الشيطان، ساعد عليه ما ألقى في نفوسهم من أمر السوء وعدم الرحمة.

الفصل الحادي عشر

إنما لم يصدق يعقوب بنيه حين قالوا: أكله الذئب، وعملوا تلك القرائن المبررة لقولهم؛ لأن المعلوم لا يعارضه الشك والوهم، فإنه قد علم برؤيا يوسف، وربما بغيرها ما يؤول إليه حال يوسف من تمام النعمة التي تشمله وتشمل آل يعقوب.

وفيها: أيضًا أنه لا ينبغي أن يغتر بمجرد صورة القرائن، ولما أتت إلى شُرَيح امرأة مع خصمها أرسلت عينيها بالبكاء، فقال لشريح بعض الحاضرين: ما أظن البائسة إلا مظلومة. فقال شريح: ألم تسمع قصة إخوة يوسف إذ أتوا أباهم عشاء يبكون، هل كانوا مظلومين؟! أو ظالمين؟ فكم حصل بمثل هذه التمويهات من الاغترار وقلب الحقائق. لهذا كان الأذكياء يجعلون كل احتمال على بالهم، وينظرون إلى الأمور من جميع جهاتها ونواحيها.

وتدل القصة على أن الولايات الكبار والصغار لابد لمتوليها أن يكون كفوًا في قوته وأمانته وعلمه بأمور الولاية، لأن الملك لما كلم يوسف ورأى من علمه وخبرته بالأمور وحسن نظره استخلصه لنفسه، وقال: ﴿قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤] وقال يوسف: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، فعلل ذلك بكمال حفظه لما تحت يده وتصرفه، وكمال علمه بوجوه المستخرج والمنصرف وحسن التدبير، وليس في هذا طلب الولاية ابتداء كما قاله كثير من أهل العلم، بل إنه لما رأى الملك[1]

(١) قد ظهر من العبارة أن الفاعل هو يوسف، فلا حاجة إلى الاستظهار المذكور، والله أعلم.

استـخلصه ومكنه من الأمور، وأن الأمور كلها تحت طوعـه وتـدبيره، طلـب من الملك تولي خزائن الأرض فقـط لأنهـا أهـم، ولأنـه يعلـم أن ولايتـه لهـا أنفع للملك وللخلق، وهذا من كمال نصحه وصدق نظره.

* * * *

الفصل الثاني عشر

لما قص الله تعالى علينا هذه القصة العجيبة بتفاصيلها قال في آخرها: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، فنفى عن هذا القرآن الكذب والخطأ من جميع الوجوه، ووصفه **بثلاث صفات**؛ كل واحدة منها فيها أكبر برهان على أنه من عند الله، وأنه الحق الذي لا ريب فيه.

الصفة الأولى: أنه تصديق الذي بين يديه، أي: من الكتب المنزلة من السماء، ومن كلام الرسل المعصومين الذي أوحى الله إليهم، كما قال تعالى: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٧].

فهذا القرآن الذي جاء به محمد ﷺ جاء بالحق؛ وهو الصدق في إخباره عن الله وعن ملائكته وعن اليوم الآخر، وعن جميع الغيوب السابقة واللاحقة، والعدل في إحكامه فلا يأمر إلا بخير ولا ينهى إلا عن الشر، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ (١) رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، صدقًا في أخبارها، عدلًا في أحكامها وأوامرها ونواهيها.

وأيضًا فإن هذا القرآن صدَّق جميع ما جاءت به الرسل وهيمن عليها، واتفق منها على الأصول العظيمة والشرائع الكبار العامة الشاملة، وأيضًا فإن الرسل أخبروا وبشروا بمحمد ﷺ وبما جاء به محمد ﷺ، فصدق مخبرها وحقت بشارتها.

---

(١) القراءة المشهورة: كلمة، بالإفراد.

الصفة الثانية: أنه تفصيل لكل شيء؛ وهذا شامل لجميع ما يحتاجه الخلق في عقائدهم وأخلاقهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة، وفي دينهم ودنياهم، فقد شرح الله به وفصل التوحيد والرسالة والجزاء وجميع العقائد الصادقة الصحيحة شرحًا وتفصيلًا عظيمًا لا يساويه في ذلك أي كتاب كان، وفصل فيه الحث على حقائق الإيمان وعلى التخلق بالأخلاق الجميلة والتنزه من الأخلاق الرذيلة، وبيَّن الطرق والأسباب التي يحصل حسنها والتي يدفع به سيئها، كما فصل الشرائع الظاهرة والأعمال الصالحة والحلال والحرام والخير والشر، وفصل فيه جميع المقاصد والغايات النافعة الدينية والدنيوية، وفصل ما يتوصل به إليها، وفصل فيه البراهين العقلية كما فصل فيه البراهين السمعية.

الصفة الثالثة: أنه ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ [المائدة: ١٦]، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، أي: لكل حالة قويمة وطريقة مستقيمة، يهدي لأحسن الأعمال والأخلاق، ويهدي لمصالح الدين كلها ومنافع الدنيا التي بها يقوم الدين وتتم السعادة.

والفرق بين الهدى والرحمة: أن الهدى هو الوسائل والطرق الموصلة إلى خيرات الدنيا والآخرة، والرحمة هي نفس الخيرات والثواب العاجل والآجل، فسعادة الدنيا والآخرة متوقفة على اتباع هذا القرآن علمًا وعملًا، وخص الله المؤمنين بالهدى والرحمة لأنهم هم المنتفعون على الحقيقة، وبإيمانهم اهتدوا وزادهم الله هدى ورحمة.

فهذا القرآن بصائر للناس كلهم بصَّرهم جميع ما يحتاجون إليه؛ فلم يبق خير إلا دلهم عليه، ولا شر إلا حذرهم منه، فقامت به الحجة على كل أحد، ولكنه هدى ورحمة لقوم يؤمنون.

اللهم تفضل علينا بالإيمان الصادق، واجعل هذا القرآن لنا هدى ورحمة، إنك أنت القريب المجيب. وصلَّى الله على محمد وسلَّم.

قال ذلك وكتبه العبد الفقير إلى الله عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين آمين.

وافق الفراغ منه في صفر سنة ١٣٧٥ هـ.

وقع الفراغ منه يوم ٢٠/ ٨/ ١٤٢٣هـ بيد كاتبه الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته، محمد بن سليمان بن عبد العزيز آل بسام، غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ومحبيه وجميع المسلمين.

تم تصحيحه والمقابلة بيد كاتبه محمد بن سليمان آل بسام وابنه منصور في ١٩/ ١/ ١٤٢٥هـ.

التعليق وكشف النقاب على نظم قواعد الإعراب

مقدمة الطبعة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذا كتاب «التعليق وكشف النقاب على نظم قواعد الإعراب».

لمؤلفه العلامة الزاهد وحيد زمانه، سماحة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي، انتقاه من شرح الشيخ خالد الأزهري. قام بتحقيقه فضيلة شيخي العلامة الوالد محمد بن سليمان بن عبد العزيز آل بسام حفظه الله ورعاه ومتّعه بالصحة والعافية آمين، حيث وجهني إلى إعادة طبع الكتاب لنفاد الطبعة الأولى لما لها من إقبال على هذا الكتاب لسهولة عباراته وشرحه الوافي.

لذا فقد تم العزم على إعادة طباعته وتمييز هذه الطبعة بزيادات في ترجمة الشيخ ونبذة عن الشارح والناظم، وجعل النظم باللون الأحمر والشرح باللون الأسود بخط مميز وتعليق الوالد حفظه الله تعالى في آخر الصفحة.

نسأل الله تعالى أن يغفر لناظمها وشارحها ومحققها، ومن الله نستمد العون والتوفيق لما يحبه ويرضاه إنه جواد كريم.

ابنه وتلميذه

منصور محمد البسام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هذه ترجمة موجزة

لشيخنا عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشدًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه وسلك سبيله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فقد اطلعت على تراجم لشيخنا عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي، فوجدت فيها بعض الأخطاء في أمور أتيقنها ولا أشك فيها، وأمور أخرى يترجح عندي مخالفتها للواقع، فأحببت أن أضع له ترجمة موجزة، متحريًا فيها الواقع؛ لأني أعتبره رَحِمَهُ اللَّهُ أبًا شفيقًا ومربيًا رحيمًا عطوفًا، كما أنه يعتبرني من أعز أبنائه، فحقه عليَّ كبير، فأرجو المولى أن يجزيه عني أفضل ما جزى به محسنًا على إحسانه، وأن يتغمده بواسع رحمته، وأن يسكنه فسيح جناته ووالديَّ وجميع المسلمين، وأن يغفر لي زللي وخطئي، وأن يختم لي بخاتمة السعادة ويلحقني بهم بمنّه وفضله وجوده وكرمه وإحسانه، إنه الكريم المتفضل المنان واسع الجود والإحسان.

فأقول: هو شيخنا العلامة المفسِّر المحدث الفقيه الأصولي النحْوي واسع الاطلاع، بحر العلم الزاخر عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي، من النواصر من بني عمرو، أحد أفخاذ تميم الكبار، وأمّه من آل عثيمين من آل مقبل، يتصلون بـ(زاخر) الجد الجامع لأفخاذ الوُهَبَة، (قيل: إن الوهبة من الرباب، وقيل: من بني حنظلة، وهو الأرجح) أحد أفخاذ تميم.

وُلد شيخنا في عنيزة في محرم عام ١٣٠٧ هجرية، وحدّثنا رَحِمَهُ اللَّهُ عن زوجة أبيه التي كفلته بعد وفاة أمه: «أن أمه حين حملت به رأت رؤيا في المنام كأنها تبول في محراب المسجد الجامع، ففزعت لذلك فقصّت رؤياها على زوجها، وكان عنده طرف من علم التعبير، فقال لها: إن صدقت رؤياك فستلدين غلامًا يكون إمامًا فيه». انتهى.

وفعلًا صدقت الرؤيا وصحَّ التعبير، فماتت أمه وله أربع سنين، ومات أبوه وله سبع سنين، وقد أوصى به إلى زوجته أم أخيه الأكبر حمد، وإلى أخيه حمد بن ناصر، فقاما برعايته وتربيته أتم قيام، حتى كأنه لم يفقد أبويه، ونشأ نشأة صالحة، وقرأ القرآن وحفظه وهو صغير لم يبلغ الحلم، ثم حُبِّبَ إليه العلم، وكان زميلًا لأبي في طلبهما العلم ودراستهما على الشيخ محمد بن عبد الكريم بن شبل، مع أن أبي يفوقه في السن؛ ولكنه كان أحرص وأفْقَهْ.

ومما يدل أيضًا على زمالتهما: أنّ أبي كان ينسخ نظم ابن عبد القوي في الفقه، وكان يساعده في ذلك وينسخ معه، فقد كان خطه واضحًا في نسختنا، كما أنه كثير المراسلات لأبي رَحِمَهُمَا اللَّهُ، فجدّ واجتهد ودرس على عدة

علماء في عنيزة، ولم يخرج منها لطلب العلم، وما ذكره بعض من ترجم له غير مؤكد؛ حيث يقول: إنه درس على محمد العبد الله بن سليم في بريدة، وهذه مما يترجح عندي عدم وقوعها في بريدة، وذلك لأمور، منها:

صعوبة الأحوال في ذلك الوقت، ومنها عدم وجود من يرعاه ويقوم بكفايته في بريدة، ومنها أنه ليس مطلق الحرية؛ بل هو في كفالة زوجة أبيه وأخيه، وما إخالها تمكنه من الرواح إلى بريدة، وليست تعرف فيها من يقوم برعايته مع شدة عطفها وحنوّها عليه، وليس هو بصاحب أخلاق معاكسة لا يبالي بأحد، مع أن العموم في ذلك الوقت مذعنون لأوليائهم، ليس عندهم شذوذ.

ومنها أني لم أسمع منه ولا من غيره أنه سافر إلى بريدة مع أنها في ذلك الزمان قرية وليست مدينة، ولكن الذي وضع الترجمة رأى أن عائلة آل سليم مقرهم بريدة فظن أنه ذهب إليها، ولكن الواقع أن دراسته على الشيخ محمد حين كان في عنيزة في وقت ولاية الشيخ إبراهيم بن حمد الجاسر قضاء عنيزة، وفي ذلك الوقت، كان للشيخ محمد بن سليم قصة مع الشيخ إبراهيم: حين وقع ارتباك في رؤية هلال شوال. وهي تؤيد ما قلت، وذلك أن الشيخ إبراهيم حكم بثبوت رؤية هلال شوال بشاهدَي عدل، ثم مضى ثلاث ليال ولم يروا الهلال، فجعل الناس يأتون إلى الشيخ إبراهيم أرسالًا يسألون عن ما وقع منهم في يوم العيد من جماع وغيره، فارتبك لذلك ولم يدر ما يقول، وحزن حزنًا شديدًا لما أكثروا عليه هذا وهو في المسجد، وكان الشيخ محمد بن سليم قريبًا منه، فقام إليه وقال له: ألم تحكم بشهادة عدلين؟ فقال: بلى! فقال: لو لم تحكم بذلك كنت مخالفًا، فقد اتبعت الشرع

في حكمك، فقال الشيخ إبراهيم: فرَّجت عني فرَّج الله عنك.

فهذه القصة تدل دلالة واضحة على سكنى الشيخ محمد في عنيزة، مع أنها مشهورة وله فيها أولاد.

وقد أخذ شيخنا العلم عن عدة مشايخ منهم: محمد العبد الكريم ابن شبل، و محمد بن عبد الله بن سليم ـ كما قدمنا[1] ـ ومنهم الشيخ إبراهيم ابن حمد الجاسر، وعبد الله بن عايض، وعلي المحمد السناني، وعلي أبو وادي، وصعب التويجري، و محمد العبد العزيز بن مانع، و محمد أمين الشنقيطي في مدة إقامته في عنيزة، وإبراهيم بن صالح بن عيسى، وله من بعضهم إجازات، والشيخ صالح بن عثمان القاضي، وهو الذي لازمه ملازمة تامة إلى أن توقف درسه قُبيل آخر حياته.

وكان شيخنا في دراسته كلها ملتزمًا للمذهب الحنبلي لا يخرج عنه، ولم يتوسع في معلوماته، وله نظم في الفقه الحنبلي على طريقته السابقة يبلغ أربعمائة بيت على بحر الرجز، وكان لا يحب إظهاره لمخالفة الكثير من مسائله لاعتقاده الأخير.

---

(١) قد ترجح عندنا عدم قراءة شيخنا على الشيخ محمد العبد الله بن سليم، حيث بلغنا أن المذكور الشيخ محمد غادر عنيزة في العام الذي وُلد فيه شيخنا ولا نعلم هل رجع إليها مرة أخرى أم لا، مع أن وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ عام ١٣٢٣هـ، فعُمْرُ شيخنا حين وفاته بالسابعة عشرة لم يكملها رَحِمَهُمَا اللَّهُ. وقضية الارتباك في هلال شوال يذكر البعض أنها وقعت على الشيخ علي المحمد آل راشد وليست على الشيخ إبراهيم ابن حمد الجاسر، والله أعلم.

وقـد جلـس للتـدريس بطلـب مـن زملائـه حـين رأوا تفوقـه علـيهم في العلـوم، وذلـك في حيـاة شـيخه الـشيخ صـالح، ولمـا تـوفي شـيخه اسـتقل بالتدريس، ولم يكن هناك من ينافسه فيه، وأقبل عليه الطلبة إقبالًا كاملًا.

ثم إنه اهتم بمطالعة مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وقد يسرها الله له مع قلة وجودها وخاصة في القصيم بسبب تمسك العلماء في ذلك الوقت بالمذهب، وعدم خروجهم عنه وانتقادهم من يخرج عنه، وأيضًا صعوبة المواصلات بين الأقطار، فلما أقبل عليها نوّر الله بصيرته، وانتفع بها وازدادت علومه، وتوسعت دائرة معارفه، ووصل إلى درجة الاجتهاد ونبذ التقليد، وصار يرجح بالدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ونفع الناس وسهَّل عليهم الأمور المعقدة، فصار المرجع في جميع الفتاوى داخلًا وخارجًا، تأتيه الأسئلة من أماكن نائية فيجيب عليها.

وقد بذل نفسه للخاص والعام، فعقود الأنكحة والكثير من الوثائق هو المعتمد فيها، وكثرت حلقات الدرس حتى بلغت خمسة أوقات في اليوم، وابتدأ بالتأليف، ولم ينقطع عن زيارة الداعين له يوميًّا إلى محلاتهم، وبارك الله في وقته، ولم يتضجر ولم يسأم، ولم يُرَ الغضبُ في وجهه، بل كان سمحًا طلقًا بشوشًا مع الصغير والكبير والمعارف وغيرهم، حتى الذين جاهروه بالعداوة يقابل إساءتهم بالإحسان القولي والفعلي.

وبالجملة فأخلاقه من أعلى الأخلاق، وصفاته من أكرم الصفات، ولم يلتفت إلى الدنيا من صغره إلى أن توفاه الله، وإذا جلس في مجلس فيه جملة من الحضور يعطي كلًّا على مشربه، كأنه دارس لأحوال الناس، ولا يحتقر أحدًا مهما كان، ولا يخلو مجلسه من فائدة، ومهما حاولنا الإطناب

في علو أخلاقه وكريم صفاته، فالقلم عاجز عن حصرها، ويكفيه من الثناء والأجر ما زرع الله له في القلوب من المحبة والثناء، وما يسَّر الله لمؤلفاته من الانتشار، وإقبال الناس عليها، والانتفاع بها. فنرجو المولى أن يجعل ذلك ذخرًا له مع ما سبق من أعماله في حياته.

ومن الخطأ قول بعض المترجمين عنه: إنه في سنة ١٣٦٠هـ قام بتأسيس المكتبة على نفقة الوزير ابن حمدان. والصحيح أنه لم يؤسس المكتبة، وليس له يَدٌ في ذلك إلا فيما نبينه في موضعه إن شاء الله.

فالذين أسسوا المكتبة هم بعض الطبقة الثانية من تلاميذه، وأخصهم في ذلك والذي له اليد الطولى في تأسيسها هو علي الحمد الصالحي، فإنه كتب معروضًا ذكر فيه حاجة الطلبة للكتب للدرس والمراجعة، ووقّع فيه جملة من الطلبة، وأنا ـ كاتبَ هذه الأحرف ـ من ضمن من وقّع فيه، ثم عرضه المذكور علي الصالحي على الشيخ عبد الله المحمد المانع؛ لأنه القاضي في عنيزة ذلك الوقت عام ١٣٥٨هـ، فكتب في أسفل المعروض كتابة طيبة بَيَّنَ فيها حاجة الطلاب إلى الكتب، وحض على مساعدتهم رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثم عرضه المذكور علي الصالحي على الأمير عبد الله الخالد السليم، وكتب فيه أيضًا كتابة طيبة رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان موسم الحج قد قارب، فسافرنا إلى الحج، ثم إن المذكور علي ذهب إلى الوزير عبد الله السليمان، وقدم له المعروض، فأمر الوزير بصرف نسخة من كل كتاب من مطبوعات الحكومة، وأمر أن يشترى من جميع الكتب الموجودة في باب السلام، حيث كان هذا الموضع مقر جميع أصحاب الكتب آنذاك، وموقعه كان بين

المسجد الحرام والمسعى، ثم أمر أيضًا بما يلزم للدواليب من زجاج ومسامير ومفصلات وبسيارة لنقلها.

وكان فكرنا أن نجعل الكتب في حجرة كانت في قبلة المسجد الجامع لأنها مقر الطلبة، ولما وصلت الكتب وإذا هي كثيرة بحالة لم تخطر على البال، عند ذلك تشاورنا فيما بيننا، ثم تراجعنا مع شيخنا عن المحل اللائق لها، فحصل الاتفاق على أن يجعل لها بناية فوق طريق المسجد الجامع الداخل من ناحية الشمال الشرقي، ولكن ليس لدينا قدرة على النفقة لذلك، فطلبنا من شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ أن يكتب لبعض المحسنين ويخبرهم بذلك، ويطلب منهم المساعدة، وفعلًا كتب لجملة من الذين في البحرين والعراق والهند، وكُلٌّ منهم قدم ما جادت به نفسه، ومن ضمنهم: أبي، وعبد الله المنصور أبا الخيل رَحِمَهُمَا اللَّهُ، فقد عمداني بتسليم ما بذلا، وبعد تمام البنيان، اتفقت أنا مع أحد النجارين على عمل الأبواب للمكتبة والدواليب، ولما تم ذلك نقلنا الكتب وكانت في بيت علي الحمد الصالحي ورتبناها.

عند ذلك اجتمع طلاب كثيرون صغار السن، فرتب لهم شيخنا مدرّسَين هما: محمد العبد العزيز المطوع، وعلي الحمد الصالحي، فقاما بتدريسهم، وكان المطوع يتخلف عن الحضور في بعض الأوقات فيطلب مني أن أقوم بتدريسهم فأقوم بذلك، ولكن الكثير منهم لم يداوموا على الدراسة، فلما قلُّوا جدًا أمر الشيخ أن يلتحق الذين استمروا، بحلقات الدرس فصاروا من الطبقة الثالثة من تلاميذه رَحِمَهُ اللَّهُ، فهذه حقيقة المكتبة لا كما تخيلوها.

ومن الأخطاء في بعض التراجم: إلحاق بعض المستمعين للدرس بالتلاميذ، وهذا غير صحيح، فإن التلميذ هو الذي يواظب على الدرس،

ويجلس في حلقة الدرس ويهتم بالدرس، أما من يجلس ناحية ولا يواظب على الحضور وإنما يأتي صدفة أو زيارة أو نحو ذلك فلا يعد من التلاميذ، ولو أدخلنا مع التلاميذ مثل هؤلاء لملأنا منهم مجلدات.

كذلك مما يعاب على المترجمين خلطهم التلاميذ الأقدمين بالمتوسطين والمتأخرين، بل قدموا ذكر المتأخرين على الكل وهذا من العجب.

طبقات التلاميذ:

الطبقة الأولى:

وأنا إن شاء الله أذكرهم مرتبين على الطبقات الثلاث، وكل طبقة على حروف الهجاء، مع أن الطبقة الأولى يخفى عليَّ بعضهم؛ لأني لم أحضرهم ولم أتلق عددهم ولا أسماءهم من مصدر موثوق، ولكن أذكر من أعرفه منهم: إبراهيم بن عبد العزيز الغُرَيّر، زامل الصالح الزامل، سليمان الحمد المحمد العبد العزيز البسام، سليمان الحمد العبد الله البسام، سليمان الصالح البسام، سليمان المحمد الحميضي، صالح العبد الله الشبيلي، صالح المحمد العوهلي، عبد العزيز الحمد المصيريع، عبد العزيز المحمد البسام، عبد العزيز المحمد العوهلي، عبدالله الحسن البريكان، عبد الله السليمان القاضي، عبد الله العبد الرحمن المحمد البسام، عبد الله العبد الرحمن العبدلي، عبد الله المحمد العوهلي، عبد الله المحمد المطرودي، عبد الله المنصور الزامل، عبد المحسن الخريدلي، محمد العبد العزيز المطوع، محمد المنصور الزامل، محمد الناصر الحناكي، ناصر الحمود العوهلي،

يوسف العبد العزيز الخرب.

هذا ما أعرفه من هذه الطبقة، وله زملاء في الدراسة ولا أتيقن هل درسوا عليه أم لا، وبعض المترجمين جعلهم من التلاميذ، وهم: صالح العبد الله الزغيبي، صالح المحمد الحمد البسام، عثمان الصالح القاضي وثلاثة أخلاء له، وهم: عبد المحسن العبد الله السلمان، محمد العبد الرحمن العبدلي، ومحمد العبد الله المانع، وقد مات هؤلاء الثلاثة أثناء دراستهم، والظاهر أنهم جميعًا ماتوا عام الوباء الذي يسميه العامة سنة الرحمة وهي سنة ١٣٣٧هـ، وقد رثاهم بعدة أبيات ذكرت في كتاب «الفتاوى السعدية» في آخره مطلعها:

مات المحب ومات الخِلُّ يتبعه ... ومات ثالثهم والوقت مقترب

وفي أثناء دراسة هذه الطبقة، اجتمع طلاب كثيرون، لكن دراستهم لم تستمر لأسباب أوجبت إيقافها، فمنهم: حمد بن سليمان البسام، حمد ابن عبد الرحمن القاضي، صالح بن عبد الرحمن العبدلي، عبد الرحمن ابن حمد السعدي، عبد الرحمن السليمان الزامل، عبد الرحمن المنصور الزامل، عبد العزيز الصالح الحماد، عبد الله الصالح العيسى، عبد الله المحمد الحماد، علي السليمان الزامل، علي الصالح السليم، كاتب هذه الأحرف محمد بن سليمان البسام، محمد الصالح العيسى، يحيى الصالح السليم. والباقون لا يحضرني ذكرهم، وكانت هذه الدراسة سنة ١٣٤٨هـ تقريبًا.

الطبقة الثانية:

إبراهيم العلي الخويطر، إبراهيم المحمد العامود، أحمد السليمان البسام، حمد الإبراهيم القاضي، حمد المحمد البسام، سليمان الإبراهيم البسام، سليمان الصالح الخزيم، سليمان العبد الكريم السناني، سليمان العبد الله السلمان، سليمان المحمد الشبل، صالح الجارد، عبد الرحمن العبد العزيز الزامل، عبد الرحمن المحمد السماعيل، عبد الرحمن المحمد المقوشي، عبد العزيز الفهد البسام، عبد العزيز المحمد السلمان، عبد الله بن صالح الفالح، عبد الله العبد الرحمن السعدي، عبد الله العبد العزيز الخضيري، عبد الله العبد العزيز الشبيلي، عبد الله العبد العزيز العقيل، عبد الله المحمد الفهيد، علي الحمد الصالحي. وكاتب هذه الأحرف محمد بن سليمان البسام، محمد بن عبد الرحمن الحنطي.

الطبقة الثالثة:

حمد المحمد المرزوقي، سليمان العبد الرحمن الدامغ، صالح العبد الرحمن الصالح البسام، عبد العزيز الإبراهيم الغُرَيّر، عبد العزيز العلي المساعد، عبد العزيز العلي النعيم، عبد الله السليمان السلمان، عبد الله العبد الرحمن الصالح البسام، عبد الله العلي النعيم، عبد الله العمر العمري، عبد الله المحمد الصيخان، علي المحمد الزامل، محمد الصالح العثيمين، محمد العبد الله العفيسان، الملقبون الصغير، محمد العثمان القاضي.

ومن الخطأ في بعض التراجم قولهم: إن خليفة الشيخ هو محمد الصالح العثيمين، فيظن بعض الناس أنه هو الذي خلفه، وهذا خلاف

الواقع، فخليفته في حياته هو عبد العزيز المحمد البسام، كان يخلفه عند حاجته إلى سفر، أو مرض يمنعه من الخروج، واستمر إلى وفاته خليفة له، ولما توفي رحمه الله اعتزل المذكور عبد العزيز عن الإمامة، وحجته في اعتزاله حجة شرعية هي أن موكله قد توفي، فحين كنا حاضرين للصلاة على الشيخ، كان القاضي آنذاك محمد المطوع وكان بجانبي، فجاء إليه صهر الشيخ ـ زوج ابنته ـ صالح بن عبد الله الخرب، وطلب منه الصلاة، فقال القاضي: أين عبد العزيز؟ ما يصلي؟ فقال: إني قلت له وأجابني بأنه انعزل بوفاة الشيخ، فقال القاضي: قل له: يقول لك فلان ـ يعني نفسه ـ : يستمر بالصلاة، فامتثل الأمر واستمر يصلي أيامًا...

وهذا تأييد تام لا يجوز نقضه إلا بمسوّغ شرعي ولم يوجد، ولكنه بدا له بعد ذلك أن يعزله، ويجعل مكانه محمد العثيمين، ولم يبين السبب لذلك، وهو غرض نفسي محض، فهذا هو الأمر الواقع.

ومن الأخطاء قول بعضهم: إنه في عام ١٣٥٨هـ، ألف رسالة عن يأجوج ومأجوج فسببت له بعض المشاكل، والصواب أن الرسالة قد سبق تأليفها هذا الوقت ولم تسبب له شيئًا، وإنما الواقع أنه حينما كان يدرِّس التفسير بعد صلاة المغرب، وكان يتكلم على قصة يأجوج ومأجوج من آخر سورة الكهف قال في كلامه: «إن الأرض الآن قد اكتشفت ولم يبق منها شيء خفي، ويأجوج ومأجوج بنص القرآن موجودون على ظهر الأرض، فالظاهر أنهم الإفرنج عمومًا أو الصين»اهـ.

وكان يحضر الدرس من المستمعين خلق كثير، ومن جملة الحاضرين أناس ينتمون إلى الخير، ولكنهم خُلْوٌ من العلم والفهم، وربما عندهم نقص

في صفات أخرى، فطاروا بها وكتبوا إلى قاضي بريدة آنذاك عمر بن سليم يخبرونه بما سمعوا، فجاءهم جوابه: بأنكم تثبتوا الأمر واطلبوا منه كتابة في ذلك، فجاؤوا إلى الشيخ وطلبوا منه ذلك، ولحسن نيته ورغبته في التأليف ونشر العلم وإرضاء الخاص والعام أجابهم؛ بأنه قد ألّف رسالة في الموضوع وسيطلعهم عليها، وفعلاً أعطاهم الرسالة ولم يقع بفكره ما هَمّوا به من الوقيعة مع اعتماده على الله ورضاه بما قدر.

بعد أخذهم الرسالة قابلت أحدهم فقلت له: ماذا رأيتم فيها؟ فأجابني بأننا ندرسها، والظاهر أنهم ينسخونها، وإلا فليسوا بأهل للدراسة لِخُلُوِّهم من العلم، فأرسلوا نسخة الرسالة إلى الشيخ عمر، فحين وصلت إليه بعثها إلى الرياض؛ لا ندري هل إلى الملك رأسًا، أو إلى غيره؟ فعند ذلك بعث الملك عبد العزيز عام ١٣٦٠هـ برقية إلى أمير عنيزة عبد الله الخالد السليم يأمره بإحضار الشيخ إلى الرياض، فأخبر الأمير الشيخ بالأمر، فامتثل الشيخ ذلك، فأحضر الأمير سيارته الخاصة وأركبه بها وسافر معه علي الحمد ابن الشيخ علي المحمد الراشد وابنه أحمد رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وحين وصل الرياض وجد اللطف والعناية من المولى قد سبقاه، وتمهدت الأمور على أتم حال، فقابله المشايخ بالإكرام التام والعناية الفائقة.

وما إن حضروا عند الملك قال لهم من باب الدعابة: إنه حين بلغني ذلك انزعجت أنا وأولادي؛ نظن أن القيامة قد قامت، فأطلب منكم أن تهتموا بأمور الدين التي تنفع الناس... فالملك رَحِمَهُ اللَّهُ شديد العناية بأمور الدين لا يغفل عنها، ويوليها جُلّ اهتمامه.

والظاهر أنهم طالعوا الرسالة ووجدوا ما قاله عين الصواب، وكنا بعد سفره قد خرجنا إلى البر في نزهة نسلي أنفسنا لما أصابنا من الأسى مع جملة من زملائنا طلبة العلم، وكان أحد زملائنا قد كتب إلى أخيه يخبره بما حصل، فجاءه الجواب يُطمّنه ويقول: لا تقلق ولا تهتم، فإن هذا مكرمة إن شاء الله له، واستشهد بقول الشاعر:

وإذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود

فسلَّى هذا الجواب عنا بعض التسلية، وأمّلنا من المولى الكريم حسن العاقبة. أما الذين قاموا بهذه الوشاية فقد تبدلت حالهم فكانت من أسوأ الأحوال، فقد رجمهم الناس عن قوس واحدة، ونابذوهم بالعداوة هم ومعاونيهم، فمنهم أصحاب دكاكين، وكان الجهال يأتون بالنجاسات في الليل ويلقونها في دكاكينهم، نعوذ بالله من كل سوء.

أما الشيخ فلما رجع من الرياض مكرمًا معززًا ظافرًا فقد قابلهم بالبشاشة والطلاقة والبشر التام امتثالًا لقوله تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ﴾ الآية [المؤمنون: ٩٦].

ومما قاله تلميذه عبد العزيز الفهد البسام:

أقبل فقد سعدت بك الدار ... وتشرفت في مدحك الأشعار
أرادوا بك كيد يكود بهم ... فليس يحميك سوى الجبار
فهل نرى بعد الرحيل بشير ... فلا صبر لدينا ولا قرار
فمن تاه النهار فلا يرجى بليل ... فخيبة لقوم ساروا وجاروا
هناءً مديدًا لكريم المقاصد ... ولسماحة شوق يلتقيه أبرار

فأهـل العلـم قـد سـاروا أمامًـا ... وأهـل الجهـل في الأخـير سـاروا
قـدمت يـابن سـعدي فمرحبـا ... بـشيخ نـال عـزة وافتخـار
عـودة حميـدة في يـوم فـوز ... ورحلـة قـد سـعدت بهـا الأسـفار
بلادنـا فـازت مـن محامـده ... قد حدثت عن فيض علمه الأخيار
ادنـا لفيحانـا قاصـية المنـى ... علـم وزهـد وبـرٌ ووقـار
فتحـدثت عـن علمـه كـل قبيلـة ... فليهنك العلم ولتسعد بك الدار

ومما قال الشيخ عبد العزيز بن عقيل آل عقيل رحمه الله تعالى نختار هذه الأبيات منها، فقال:

ولـه فيـه دقـائقْ حـكمة ... طـالِعِ التفسير وأخصص منه طه
ولـه في الفقـه تقريـر ولمـا ... ثبتـت فيـه أحاديـث رواهـا
ولـه في النـاس سـمت صـالح ... عـمّ معروفًـا رجـالًا ونـساها
حـاطهم نـصحًا وعلـمًا في تقـى ... مَـا قُـصِدْ في حاجـة إلّا قـضاها
ملفـتُ الأنظـار في أمتـه ... لـم تـزل آمـالهم فيـه تباهـا

... إلخ

هـذا، وإني لم أقـصد بهـذه الكلـمات البـسيطة إلا تـصحيح الأخطـاء المـذكورة في التراجم، وإلا فمناقبه شـهيرة وفضائله كثيرة، وصيته الـذائع ومؤلفاته القيّمة النافعة تغني عن كل التراجم، فرحمه الله برحمته الواسعة، وأسكنه فسيح الجنان، ورفع درجاته مع الـذين أنعـم الله عليهم من النبيِّين والصديقين والشهداء والصالحين، وجمعنا به في دار الرضوان.

مؤلفاته:

أما مؤلفاته فهي تربو على الخمسين مؤلفًا أكثرها في التوحيد والعقائد السلفية، ويتلوها في الكثرة الفقه ثم التفسير، وكلها مفيدة ونافعة خالية من الحشو والأقوال الزائفة، تدلك دلالة واضحة على مغزاها بدون تكلف أو تفكير، وغالبًا ما يوضح المسائل بالأمثلة ليصل المعنى إلى الذهن مباشرة بدون عناء.

وإليك بيانها مرتّبة على المرتبة العلمية، فأولًا التفسير، يتلوه الحديث، ثم التوحيد، وما يتعلق به، ثم الفقه وما يتبعه.

وإليك بيان مؤلفات شيخنا:

العدد الكلي	العدد الخاص	اسم الكتاب
١	١	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، طبع عدة مرات
٢	٢	تيسير اللطيف المنان
٣	٣	الدلائل القرآنية في العلوم العصرية
٤	٤	فوائد مستنبطة من قصة يوسف
٥	٥	القواعد الحسان
٦	٦	المواهب الربانية
٧	١	بهجة قلوب الأبرار
٨	١	القول السديد في مقاصد التوحيد
٩	٢	الحق الواضح المبين في توحيد الأنبياء والمرسلين

العدد الكلي	العدد الخاص	اسم الكتاب
١٠	٣	توضيح الكافية الشافية
١١	٤	الأدلة القواطع والبراهين
١٢	٥	التوضيح والبيان لشجرة الإيمان
١٣	٦	التنبيهات اللطيفة على الواسطية
١٤	٧	سؤال وجواب في أهم المهمات
١٥	٨	الدين الصحيح يحل جميع المشاكل
١٦	٩	الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة
١٧	١٠	الدرة البهية في حل المشكلة القدرية
١٨	١١	تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في إغلاله
١٩	١٢	فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق
٢٠	١٣	الجهاد في سبيل الله
٢١	١٤	انتصار الحق
٢٢	١٥	الدرة المختصرة في محاسن الإسلام
٢٣	١٦	منظومة في السير إلى الله
٢٤	١٧	أصول العقائد الدينية
٢٥	١٨	وجوب التعاون بين المسلمين
٢٦	١٩	الوسائل المفيدة للحياة السعيدة

العدد الكلي	العدد الخاص	اسم الكتاب
٢٧	٢٠	الخطب المنبرية على المناسبات
٢٨	٢١	الفواكه الشهية في الخطب المنبرية
٢٩	٢٢	مجموع الخطب في المواضيع النافعة
٣٠	٢٣	رسالة أصول عظيمة من قواعد الإسلام
٣١	١	المختارات الجلية
٣٢	٢	منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين
٣٣	٣	الإرشاد إلى معرفة الأحكام
٣٤	٤	الجمع بين الإنصاف ونظم ابن عبد القوي، ١٢جزء مخطوط
٣٥	٥	مناظرات فقهية
٣٦	٦	الفتاوى السعدية (جمعت بعد وفاته)
٣٧	٧	حكم سبع البدنة حكم الشاة «طبع ضمن الأجوبة النافعة»
٣٨	٨	حكم شرب الدخان
٣٩	٩	طريق الوصول إلى العلم المأمول
٤٠	١٠	القواعد والأصول الجامعة
٤١	١١	منظومة في أحكام الفقه
٤٢	١٢	منظومة في القواعد الفقهية
٤٣	١٣	مجموع الفوائد واقتناص الأوابد

العدد الكلي	العدد الخاص	اسم الكتاب
٤٤	١٤	تحفة أهل الطلب في تجريد أصول قواعد ابن رجب
٤٥	١٥	نور البصائر والألباب وأحكام العبادات والمعاملات والحقوق والآداب
٤٦	١٦	آداب المعلمين والمتعلمين، طبع ضمن الفتاوى
٤٧	١٧	واجب المسلمين
٤٨	١٨	مناسك الحج والعمرة
٤٩	١	رسالة يأجوج ومأجوج
٥٠	١	رسالة أحاديث الدجال
٥١	١	(١) أجزاء سُبع البدنة والبقرة عن الشاة في الإهداء وغيره (٢) آداب المعلمين والمتعلمين (٣) نبذة مختصرة إجمالية عن الإسلام والإشارة إلى مهمات محاسنه
٥٢	١	التعليق وكشف النقاب على نظم قواعد الإعراب، وهو هذا
٥٣	١	الأحاديث المختارة في الأصول والأحكام والآداب، مخطوط
٥٤	١	رسائل متنوعة وفتاوى
٥٥	٢	مراسلة البصيري والمغيري والمقوشي

نظمه وشعره في الحث على طلب العلم:

قد طال شوقي إلى الأحباب والفكر ... وقـد عـزاني لـذاك الهـم والـسهر
وكم يجيش الهوى قلبي فيتركني ... لا أســتفيق لمــا آتي ومــا أذر

... إلخ

وله أيضًا في مدح شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم:

يـا طالبًـا لعلـوم الـشرع مجتهـدًا ... يبغـي انكـشاف الحـق والعرفـانِ
احرص على كتب الإمامين اللذين ... همـا المحـكُّ لهـذه الأزمـانِ
العالِـمَيْن العـامِلين الحـافِظيْنِ ... الـمُعْرِضين عـن الحُطَـامِ الفـاني
عاشـا زمانًـا داعيـين إلى الهـدَى ... مــن زائــغ ومقلــد حــيران
صبرا النفوس على جهاد عدوها ... للقلــب والأقــوال والأركــان

... إلخ

وله أيضًا:

قف بالربوع من الأحباب مذ بكَّروا ... عـلى الرحيـل فـلا عـين ولا أثـر
وانظـر ديـارهمو وحـشًا منازلهـا ... قفـرًا مراتعهـا تقـرأ بهـا العـبر
واستجل يا صاحبي ربعًا أنست به ... زهـرًا طـويلاً فـما ينتابـه الكـدر

... إلخ

وله قصيدة لتلميذه الوالد الشيخ محمد بن سليمان البسام حفظه الله:

أذكـرت ربعًـا مـن خليطـك أقفـرا ... وأســلت دمعًــا ذا رذاذ قَطّــرا
أم هاجـك الغـادون عنـك صبيحة ... لمــا مــشوا وتيممــوا أم القــرى

... إلخ

وله أيضًا:

سـلام الله يتبعـه سـلام ... عـلى مـن في الـضمير لـه مقـام
عـلى الحـب المكـرم مـن ترقـى ... إلى أعـلى مكـارم لا تُـرام

... إلخ

وله أيضًا أول ما ركب السيارة مسافرًا للحج:

يـا راحلـين إلى الحمـى برواحـل ... تطـوي الفـلا والبيـد طـيَّ المسرع
ليـست تبـول ولا تـروث ومـا لهـا ... رُوحٌ تحـنُّ إلى الربيـع الـمُمْرع
ما استولدت مـن نوقنـا بـل صنعها ... مـن بعـض تعليم اللطيـف المبدع
كم أوصلت دار الحبيب وكم سرت ... بحمولهـا نحـو الـديار الشُّسَّعِ

ومما قاله حين تمَّ بناء مسجد الجامع أرخ بقوله:

جـد بالرضـا وأعـط المنـى ... مـن سـاعدوا في ذا البنـا
تاريخـه حـين انتهـى ... قـول المنيـب (اغفـر لنـا)(١)
والـشهر في شـوال يـا ... ربي تقبَّـل سـعينا

مراسلاته:

وله رحمه الله مراسلات مع العلماء داخل المملكة وخارجها أمثال: الشيخ محمد حامد فقي، والشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار لا تحصى، وغيرهم من العلماء.

(١) كلمة (اغفر لنا) هي من ابتكار تلميذه محمد المنصور الزامل.

مرضه ووفاته:

وفي آخر عمره أصيب بمرض ضغط الدم. وسببه على ما زعموا كثرة التفكير، فكان يعتريه أحيانًا سكوت قصير في الدرس أو في الخطبة وأحيانًا في الصلاة.

فيسكت مقدار دقيقتين ثم يعود لحاله، وكان المرض يتزايد معه حتى ألزمه الفراش وذلك في عام ١٣٧٣هـ، فأبرقوا للملك سعود بذلك، فأمر بإرسال أطباء في طائرة، وحين وصلوا فحصوه وقرَّروا سفره إلى لبنان، فسافر ومكث هناك شهرًا تقريبًا، وبعد المعالجة خف عنه المرض كثيرًا ونصحه الأطباء بعدم إرهاق نفسه بالتفكير، ولكنه استمر على حاله السابقة؛ معتمدًا على الله مستيقنًا بقضاء الله، فعاوده المرض إلى آخر حياته.

وفي آخر جُمُعَةٍ صلاها كنت جالسًا معه في المسجد قبيل صلاة العصر، فقال: إني رأيت رؤيا، فقلتُ: خيرًا إن شاء الله، قال: إني رأيت كأني وأنت نائمان ملتحفان في قطيفة، ولم يظهر منا إلا رؤوسنا، فجعل المطر يهطل، فقلت لك: غط رأسك، فقلتَ: لا... هذا خير إن شاء الله، وكأنه هو غطى رأسه، ولم أنتبه لها إلا حين فارق الحياة بعدها بخمسة أيام فقط، رحمه الله.

وكانت وفاته ليلة الخميس ٢٣ من جمادى الآخرة عام ١٣٧٦هـ، عن تسعة وستين عامًا وخمسة أشهر وتسعة أيام قضاها في عبادة الله، ونفع عباد الله، أجزل الله له المثوبة وجبرنا في المصيبة. ودفن في مقبرة الشهوانية شمالي عُنيزة.

وقد خلّف ثلاثة أبناء، هم: عبد الله المتوفى في شهر المحرم ١٤٠٥هـ، ومحمد، وأحمد المتوفى ٧/ ٨/ ١٤٢٢هـ.

رثاء الشيخ عبد الرحمن السعدي

وقد رثاه كثير من العلماء والأدباء على سبيل المثال بعض تلاميذه:

عبد العزيز الفهد البسام:

الموت موردنا وإن طال المدى ... والكل بعد بقائه رهن الفناء
أبا ناصر عبد الرحمن بن سعدي ... عليك سلام الله ما ذعذع الهواء
لئن زال جسمك فالحمد لم يزل ... إحسانك ما زال ينمو ويقطفا
ولكن شرح الزاد من له من بعد ... من كان منار للفضل والفضلاء
له من أبناء عمر تميم مجدها ... على سنن نلقى بها الخير والرشدا
إن كان شيخنا قد مضى لسبيله ... فقد العظيم مصيبة العظماء
شيخ من آل بيت تسمو منازلها ... أنعا العلا وما أثر العلماء

وقد رثاه أيضًا تلميذه **صالح العبد الله الشبيلي:**

الحمد لله حمدًا أستعين به ... ربي على صدمتي عن بث أحزاني
فيا لها صدمة ما قبلها صدمت ... نفسي وما اكتحلت بالنوم أجفاني
ويا لها نكبة ما قبلها نكبت ... أهل القصيم بأشياخ وشبَّان
أضحت مصيبته بالشرق هاوية ... على الذي يطلب العليا ببرهان
قضى القضاء فلا المخلوق يمنعه ... على الذي في علوم الدين رباني
نقول ما قالت الأبرار حين بلوا ... فيا إلى الله مرجع كل إنساني
أيا عنيزة ثوب الحزن فاتزري ... على فقيدي فكتم الحزن أعياني
ويا عنيزة حدي في ملطخة ... من الدموع وزجيه بألحان
في آخر الجمد في سبع بقين به ... سارت مواكب محبوبي وأشجاني

ستًا وسبعين بعد الألف ميتته ... بعد الثلاث فمدروج بأكفان
تسع وستون عامًا عمره عددًا ... ما مال يومًا إلى الإلمام بالفاني
يقابل السوء بالإحسان شيمته ... يغضي بطرفيه إعراضًا عن الجاني
ما عاش إلا بنشر العلم محتسبًا ... فضل الإله فلم يعمل بديواني
حبر على منهج الأبرار مطلعه ... سمح بإحكامه يستّر بالعاني
حلو صفى لعباد الله مشربه ... «تيمي» في نهجه أضحى وشيبان
نجم يضيء لأهل الحق مقصده ... شهاب سوء لأهل المنهج الثاني
كلّت أنامل تعدادي محاسنه ... فيا لنفس زكت فزتي برضوان
العلم أضحى يتيمًا بعد ميتته ... وللمكارم تهديد بنقصان
كأنه لصغير السن والده ... وللكبير من الأولاد فردان
ما مات من كانت الذكرى بضاعته ... يعيش عزًا ولا يرحل بخسران
المال يفنى ويفنى ذكر صاحبه ... والعلم يأتي جديدًا بعد أزمان
فيا عنيزة غاب البدر فازدهري ... بأنجم من رحيق البدر رباني
في منهج المصطفى المختار مرتعهم ... حماهم الله عن زيغ وعصيان
مات الذي قبله بالنور أسعفنا ... محمد صفوة من نسل عدنان
أرجو إلهي إذا ما مت يرحمني ... ومن بشيخي فقيد الكل عزاني
فما المعزى ومن عزى وجيرتهم ... إلا ويهدي إلى الأطباق مجاني[1]
وللجميع صعيد يحشرون به ... يقتص من بعضهم بعض بميزان
ختام قولي إلى المختار تلبية ... لما دعى من حقوق الله إعلاني

(١) في نسخة أخرى: إلا على النعش ممهود بأكفان.

عليه مني صلاة لا انقضاء لها ما غرد الطير يومًا فوق أغصان

وممن رثاه تلميذه **عبد الرحمن العبد العزيز الزامل**:

دع عنك ذكر الهوى واذكر أخا ثقة يدعو إلى العلم لم يقعد به الضجر
شمس العلوم ومن بالفضل متصف مفتاح خير إلى الطاعات مبتكر
بحر من العلم نال العلم في صغر مع التقى حيث ذاك الفوز والظفر
نال العلا يافعًا تعلو مراتبه ففضله عند كل الناس مشتهر
بالفقه في الدين نال الخير أجمعه والفقه في الدين غصن كله ثمر

كذلك رثاه **عبد الله الصالح العثيمين** المدرس في جامعة الملك سعود:

مهج تذوب وأنفس تتحسر ولظى على كل القلوب تسعر
الحزن أضرم في الجوانح والأسى يصلى المشاعر باللهيب ويصهر
ماذا أقول عن المصاب ومهجتي ألمًا تغص وعبرتي تتكسر؟
ماذا أقول عن المصاب وإنني عما أحاول عاجز ومقصِّر؟
كيف التحدث عن مصاب فادح أكبادنا من هوله تتفطر؟
كل امرئ فينا يذوب تعاسة والبؤس في دمه يغور ويزخر
الشيخ يندب بائسًا متحسرًا والطفل يبكي نائحًا يتعبَّر
لم لا وقد فقدوا أبًا ومهذبًا ورعًا بأنواع المفاخر يذكر؟
لما بدا للحاضرين كيانه والنعش يزهو بالفقيد ويفخر
هلعت لمنظره النفوس كآبة وبدا على كل الوجوه تحسر
نظروا إليه فصعدت زفراتهم والدمع غمر في المحاجر أحمر
كل يحاول أن يغطيَ دَمعَة لكنه يُلقي النقاب فيُسفر

يتزاحمـــون ليحملـــوه كـــأنهم ... سـيل يمـوج وأبحـر لا تجـزر
يـا راحـلًا ريـع الثقـات لفقـده ... وبكـى تغيبـه الحمـى والمنـبر
لو كنت تفدى بالنفوس عـن الـردى ... لفـدتك أنفـسنا ومـا نتـأخر
لكـن تلـك طريقـة مـسلوكة ... وسـجية مكتوبـة لا تقهـر
كـل امـرئ في الكـون غايتـه الـردى ... والمـوت حـتم للأنـام مقـدر
كُتـب الفنـاء عـلى الأنـام جميعهم ... سـيّان فيهـا فـاجر ومطهـر
لكـن مـن اتـخذ الـصلاح شـعاره ... تفنـى الخليقـة وهـو حـي يُـذكر
مـا مـات مـن نـشر الفـضيلة والتقى ... وأقـام صرحًـا أسّـه لا يكـسر
مـا مـات مـن غمـر الأنـام بعلمـه ... الكتـب تـشهد والـصحائف تـخبر
يـا نـاصر الإسـلام ضـد خـصومه ... لك في الجهـاد مواقـف لا تحـصر
قـد كنـت للـدين الحنيـف معـضدًا ... وبـشرعة الهـادي القـويم تعـبر
كم مـن فـؤاد عـام في لجـج الهـوى ... أنقذتـه أيـام كنـت تـذكر
بـصّرته بهـدي المـشرع فـارعوى ... عـن غيـه فلـك الجـزاء الأوفـر
طـورًا تحـذره العـذاب وتـارة ... بـرضى الإلـه ومـا أَعَـدَّ تُبَـشِّر
ولَكَـم خطبـت عـلى الأنـام مـذكرًا ... أن الحنيـف عـلى العبـاد ميـسر
يـا زاهـدًا عـرف الحيـاة فـما هـوى ... في المغريـات ولا سـباه المظهـر
نـم في جنـان الخلـد يـا علـم التقى ... وانعـم بظـل وارف لا يحـسر

وممن رثاه **صالح العبد العزيز ابن عثيمين** عضو رابطة العالم الإسلامي رَحِمَهُ اللَّهُ:

رزء عظـيم أثـار الحـزن والأسـفا ... فالدمع فيه عـلى الخـدين قـد وكفـا
رزء أصـيب بـه الإسـلام قاطبـة ... كـادت تفتـت مـن أكبـاد مـا اكتنفـا

في كل وقت ترى الأخيار قد ذهبت ... لا خير في العيش لي حتى وإن عطفا
حبر فحبر كنظم سلكه قطعت ... إذا تبين بدر قيل قد كسفا
هم أعين الدين والإسلام إن ذهبت ... تلك العيون ترى كل الضيا سرفا
اليوم حقًا فقدنا للهدى عَلَمًا ... اليوم حقًا فقدنا الزهد والشرفا
بقيت عنيزة دهرًا وهي رافعة ... لواء فخر له كل الورى عرفا
ظلت به العرب دهرًا وهي فاخرة ... واليوم أضحت تُعَزَّى فيه واأسفا
فذي تصانيفه قد قام قائمها ... يدعو العباد عليها الكل قد عكفا
لهفي عليه فجودي مقلتي ببُكا ... واستبدلي بدم دمعًا لك وكفا
فإن تجودي بدمع كان مدخرًا ... وخدِّدي الخدَّ ما قمتي له بوفا
لهفي بذا العام قد حق العزاء لنا ... في فادح لو أصاب الطود لارتجفا
مات الذي إن يخض في النحو لجته ... قال ابن مالك ما أبديته طرفا
وإن يوضح لتوضيح ومشكلة ... فتى خوارزم يخفى عندما وصفا
فالله يلهمنا صبرًا فقد عظمت ... مصيبة أثقلت في حملها الكتفا
والله يجزيه عن إحسانه حسنًا ... والله يسكنه في جنة غُرُفا

وممن رثاه **إبراهيم بن محمد الدامغ**:

ألم يذوب له الفؤاد وينضب ... ومرارة فيها الردى يتصبَّبُ
مذ صاح في نفس الرزية ناعب ... تتعثر الزّفرات فيه وتندب
يبكي ويترب بالفجيعة دربه ... والنار بين ضلوعه تتلهّب
والواجمون على صداه تصلّبوا ... رممًا يُعطفها الأسى ويقنّب
وكأنما نثر الهوان رؤوسهم ... فوق العراء وروعهم يتحلّب
وعلى وريق الروض أجدب عودهم ... وشجاهم النغم الحزين المرعب

يتلفتـون ولـيس فـيهم نـاطق ... ويتمتمـون ولـيس مـنهم معـرب
والكـل في وهـن المـصيبة غـارق ... يـستنزف الـدمع الغزيـر وينحـب
حتـى المرابـع أصـبحت في مـأتم ... والنـادبون لهـم عليهـا مـترب
والنـاس بـين مهلـل ومكـبر ... يجـف العـزاء بروحـه ويـذوِّب
يتطلعـون إلى المـسالك وحـشة ... ولهـم عـلى فلـك المنيّـة كوكـب
علـم لـه في كـل قلـب مـورد ... تتفيّـأ القربـات فيـه وتخـصب
تثـب المـروءة والـسماحة والنـدى ... مـن نـوره فـتروق فيـه وترحـب
شـيخ لـه نفـس العلـوم معطـر ... وعـلى يديـه المعـضلات تـشذب
في كـل فـن نجمـه متـألق ... ولكـل ورد نفحـه متـشرّب
جمـع المطالـب كلهـا في غايـة ... يـزن الـذكاء بنودهـا ويرغّـب
ورع لـه بـين الأنـام تعلّـق ... ولـدى الإلـه محبـة وتقـرّب
ونـدى يجـوز الغاديـات نوالـه ... فـتراه يغـدق مـا ينـال ويـأرب
حتـى ابتـسامته التـي عُرفـت بـه ... تهـب الكبـير وقـاره وتحبّـب
وتـداعب الغـرّ الـصغير بمـسحة ... فيهـا الحنـان يـزف وهـو مهـذّب
غرس المحبة في القلوب فأثمرت ... وزهـت بـما يحلـو لديـه ويعـذب
كـل لـه في فنـه وعلومـه ... أثـر تتيـه بـه الحيـاة وتطـرب
فـالنور ينـشر في وريـق رحابـه ... قبـسًا يعانقـه الهـدى ويغلّـب
والغيـث ينثـر مـن ربيـع إهابـه ... غـدقًا بـه للوافـدين توثّـب
والملهمـون لديـه يعبـق ذكـرهم ... والنـابهون لهـم بـه متطلـب
يتـسابقون إلى سراه وعـذرهم ... أن المعـارف دونـه لا تُعْـرِب
شرعـت خطـاه إلى المحبـة شرعـة ... وقـف الـسلام بنورهـا يتـشبّب
فلكـل بيـت مـن سـناه محبّـة ... ولكـل ذوق مـن عـلاه ترقّـب

حتى النساء نهلن من قرباته ... نورًا يرين به المعالم تنصب
فلكل نفس لوعة وتوتر ... ولكل قلب حسرة وتحسب
ولكل عين دمعة وتورد ... ولكل روح سَورة وتلهّب
فلقد ثوى زند الكفاح وعطلت ... سنن المروءة واستحال المشرب
نفقت بفقد حبيبها وربيبها ... غرر الصلاح وشاخ فيها المذهب
وتأيم الساح الخصيب وأقفرت ... جنباته وطوى سناه الغيهب
والليل أشرع للجهالة غربه ... والشمس لوح طرتيها المغرب
يا أيها الجبل الأشم أما ترى ... تلك المواكب خلف نعشك تهذب؟
تهوي إليك وقد أثرْت رغابها ... في النازحين وأنت منهم أنجب
تتوسّم القدر الكريم وقد جرى ... بك نحو غايتك التي لا تعزب
ولها إليك دلالة وتعلّق ... ترد المنيّة حيث كنت وتشرب
لا تستقيم لها الحياة قريرة ... وبها عليك من الفراق تحدّب
يا من تركت لنا العزاء وجزتنا ... بيد التنطع والقلي تتشعّب
أفما سمعت وأنت في شرفِ العلا ... أن المدارك في ثراك تغيّب؟
فمرابع الشرع الحكيم تصوّحت ... وملاعب الفصحى بموتك تحجب
وطرائف الأدب الرّفيع تقوّضت ... عتباتها وعلى حدادك تصلب
ولقد تيتَّم كل شيء حولنا ... حتى المنابر أعجمت لا تخطب
لكنّنا وقد استقل رجاؤنا ... شعف التوكّل تستعين وندأب
ولئن صعدت إلى السماء تقربًا ... فلأنت في كنف الإله مربّب
تتفيأ الكرم السّهي وقد جرى ... منه إليك تعطش وتحبّب
وعليك من نَفَس النعيم نضارة ... تسم القرير بفيضه وتُذهبُ

ويـد الكـريم عـلى جبينـك غـرَّة تتـشرّف النعمـى بهـا وتطـرب
تطوي سراك إلى الخلود وقد جرى عبـق الجنـان لـدى قِـراك يرحِّـب
فإليـك يـا عَلَـمَ المـروءة والنّـدى منـا الوفـاء كـما تحـب وترغـب

وهـذا مـا تيسر مـن جهـد المقـل في حـق شيخنا، وصـلى الله عـلى نبينـا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه الفقير إلى مولاه
محمد بن سليمان بن عبد العزيز آل بسام
المدرس في المسجد الحرام سابقًا
في ٢٩/ ١٢/ ١٤٢٤هـ

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على أفضل الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد كنت نقلت هذا التعليق قديمًا من نسخة المؤلف شيخنا رحمه الله، ووجدت فيها بعض الأغلاط والنقص، وقد قابلتها معه رحمه الله على الشرح الذي نقله منه وهو شرح الشيخ خالد الأزهري[1]، وتم التصحيح على أكمل وجه، وكان لم يسم هذا التعليق، وقد اخترت له هذا الاسم: التعليق وكشف النقاب على نظم قواعد الإعراب.

أما الناظم فلم أقف له على نسبة إلى قبيلة أو مدينة معينة، ولعل من يقف على نسبته أن يوضحها مأجورًا، ونرجو الله أن ينفع به النفع العميم، وأن يجعله ذخرًا وسببًا موصلًا إلى رضى الرب الكريم، والفوز بجنات

(١) هو: خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري زين الدين، وكان يعرف بالوقاد، نحوي من أهل مصر، ولد بجرجا (من الصعيد)، ونشأ وعاش في القاهرة، وتوفي عائدًا من الحج قبل أن يدخلها. له المقدمة الأزهرية في علم العربية، وله موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب، وله التصريح بمضمون التوضيح، وشرح أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، وغيرها.
انظر: الأعلام (٢/ ٢٩٧)، معجم المؤلفين، كحالة (١/ ٦٦٨).

النعيم إنه الجواد الكريم.

وقد ميزت النظم عن الشرح بقوسين هكذا ( ) لأن كتابة النظم السابقة بالمداد الأحمر.

ومن المولى الكريم نستمد العون والتوفيق في كل ما نأتي وما نذر، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم واهتدى بهديهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين.

كتبه الفقير إلى المولى الكريم

محمد بن سليمان بن عبد العزيز آل بسام

المدرس في المسجد الحرام

في ١٥ شوال عام ١٣٩٢هـ

١ ١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه اجمعين وهذا تعليق على نظم قواعد الاعراب فعلقته من شرح الشيخ خالد الازهري على اصله ذكرت منه ما ابتغاء بهذا النظم وحذفت منه ما يستغنى عنه ونقلت نفس عبارته الا في شيئ يسير واسئل الله ان يجعله خالصا لوجهه الكريم قال المؤلف بسم الله الرحمن الرحيم

يقول راجي رحمة الاله ... محمد هو ابن عبد الله
الحمد لله العليم الفاطر ... ثم الصلاة من مليك قادر
على النبي الهاشمي الهادي ... وآله والصحب والاولاد
وهاك نظم قواعد الاعراب ... نظم الكتاب المليح الاعراب
وإسأل الله له ان ينفعا ... قاريه وسامعا ومن دعى

٣٨/محمد البنا

فصل في الجملة واحكامها

ذكر المصنف في هذا الباب اربع مسائل المسئلة الاولى في شرح الجملة وبتتبع ذلك ذكر اقسامها واحكامها واشار اليه بقوله

لفظ مفيد بالكلام يدعى ... وجملة في اسم قطعا وفعل

يعني ان الكلام هو اللفظ المفيد والجملة هي المركب الاسنادي افاد اولم يفد فاذا كان كذلك صار كل كلام جملة لان الكلام لابد ان يكون مركبا ولا يكون الا جملة كلا على ان الجملة لا يشترط فيها الافادة فاذا قلت زيد قائم فهو كلام وجملة لانه مركب مفيد واذا قلت ان قام زيد فهو جملة لانه مركب ليس بكلام لانه لم يفد والمفيد هو ما يحسن السكوت عليه وهو الاسمية وهي بالاسم تبتدأ ... فعلية بالفعل فابدأ ابدا

يعني ان الجملة تنقسم الى قسمين اسمية وفعلية وذلك لان اسمية ان بدئت باسم مريح كزيد قائم او مؤول نحو ان تصوموا خير لكم اي صومكم او بدئت بصوص رافع ملتفى به نحو اقائم الزيدان او اسم فعل نحو هيهات العقيق واذا دخل عليه حرف فلا يغير التسمية سواء غير الاعراب نحو ان زيدا قائم والثاني نحو هل زيد قائم والثالث نحو ما زيد قائم

خط الشيخ عبد الرحمن السعدي
كشف النقاب على نظم قواعد الاعراب

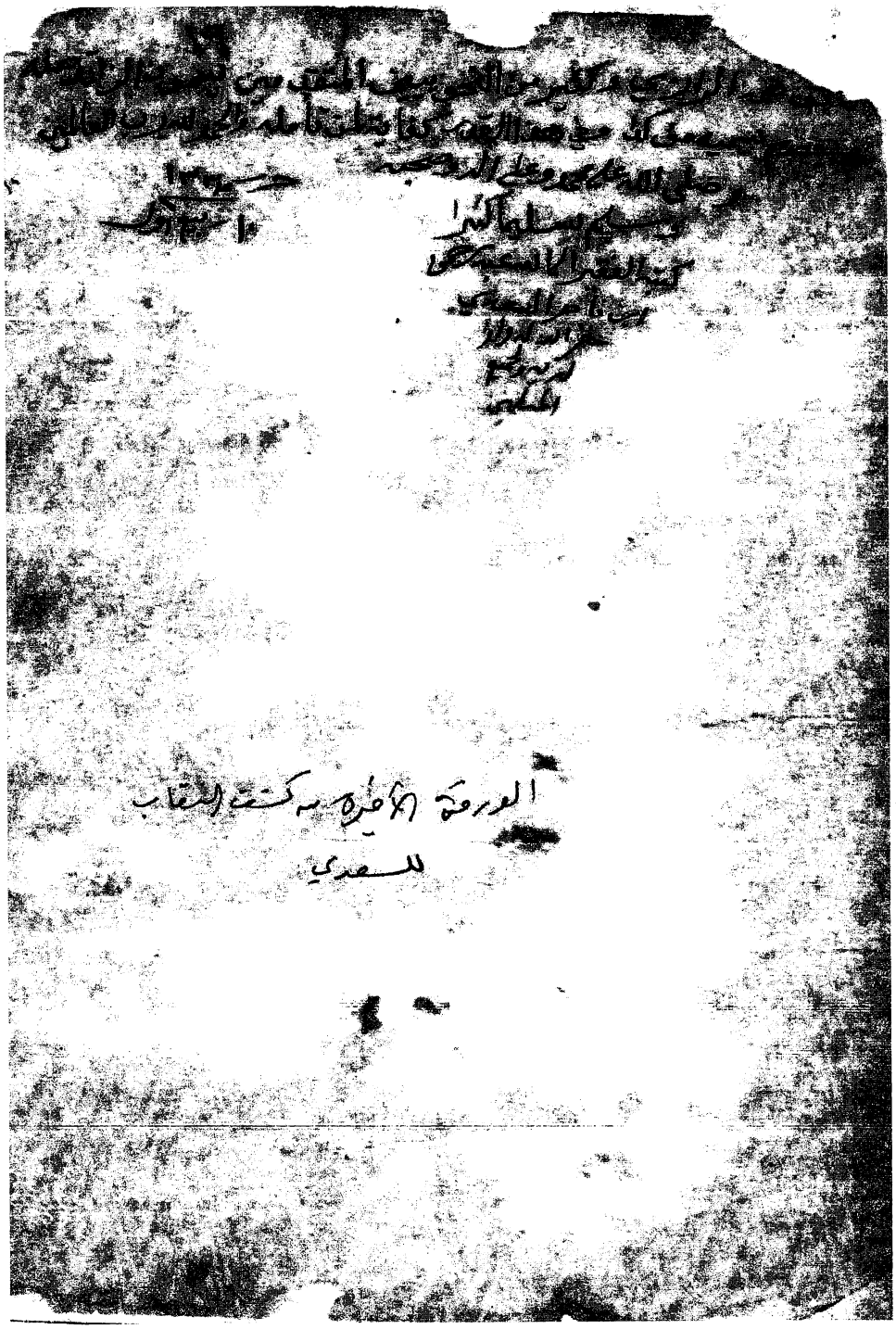

الورقة الأخيرة من كتاب الشهاب
للسعدي

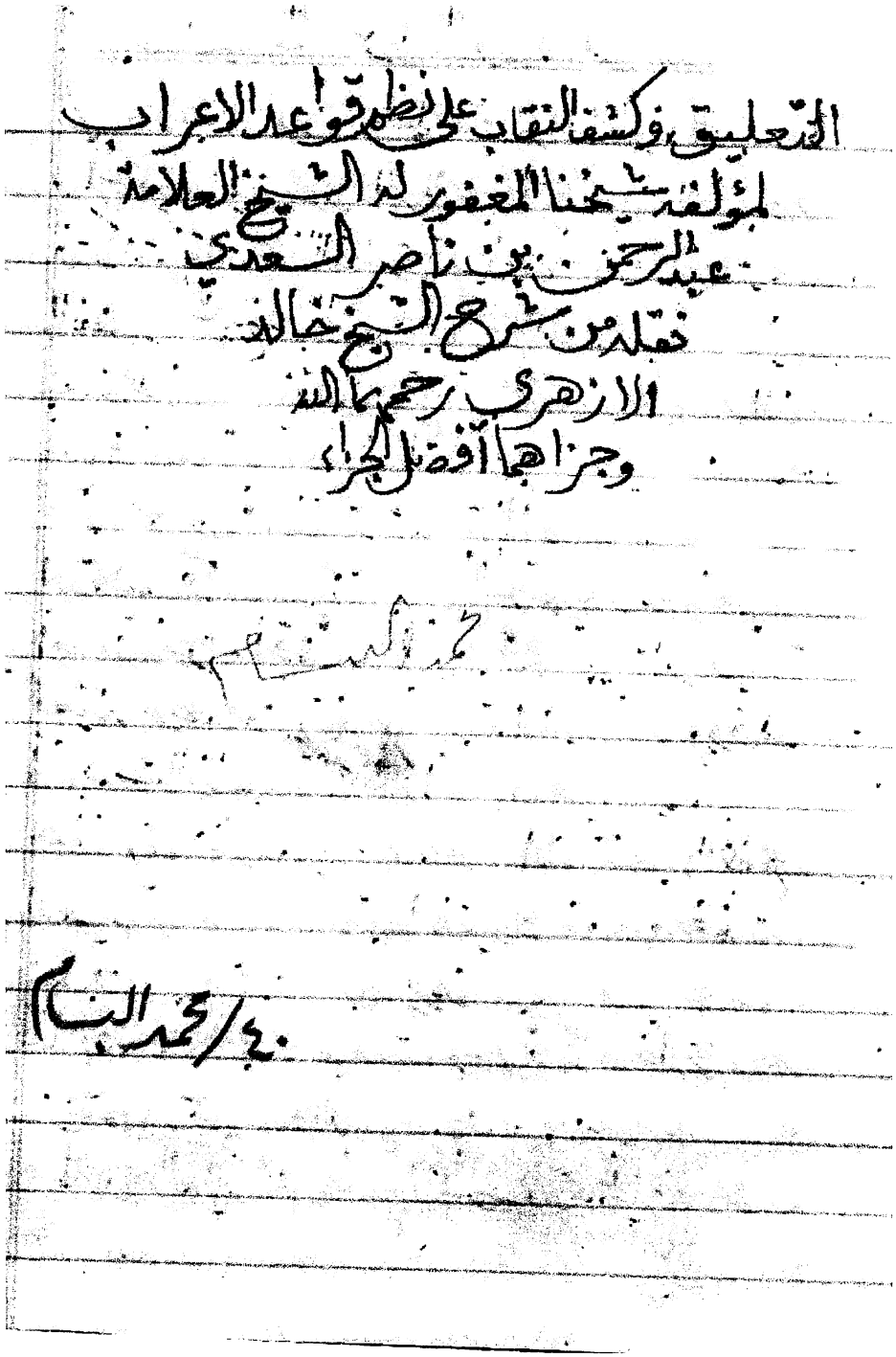
التعليق وكشف النقاب على نظم قواعد الاعراب
لمؤلفه شيخنا المغفور له الشيخ العلامة
عبد الرحمن بن ناصر السعدي
نقله من شرح الشيخ خالد
الازهري رحمهما الله
وجزاهما أفضل الجزاء
محمد البسام
٤٠/ محمد البسام

كشف النقاب بخط
محمد البسام

٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على أشرف الأنبياء
والمرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين. أما بعد
فقد كنت نقلت هذا التعليق قديما عن نسخة مؤلفها شيخنا
المغفور له الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي وكان فيها
بعض الاغلاط والنقص وقد قابلتها مرة على الشرح الذي
نقلت عنه وتم التصحيح على أكمل وجه وحيث انه لم يسم
هذا التعليق فقد اخترت له هذا الاسم وهو
التعليق وكشف النقاب على نظم قواعد الاعراب
أما الناظم فلم أقف له على نسبة الى قبيلة أو مدينة
معينة ولعل من يقف على نسبته ان يوضحها. وقد
أفردت النظم وقدمته أمام التعليق ليسهل
حفظه على من يريده ونرجو الله ان ينفع به النفع
العميم قال ذلك وكتبه الفقير الى عفو الله ومغفرته
محمد بن سليمان بن عبد العزيز البسام في ١٥ شوال
عام ١٣٩٢ هجرية في مكة المكرمة قال الناظم رحمه الله
يقول راجي رحمة الإله محمد هو ابن عبد الله
الحمد لله العلي الفاطر ثم الصلاة من مليك قادر
على النبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهذا تعليق على نظم قواعد الإعراب، نقلته من شرح الشيخ خالد الأزهري على أصله، ذكرت منه ما يتعلق بهذا النظم، وحذفت منه ما يستغنى عنه، ونقلت عبارته إلا في شيء يسير، وأسأل الله أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم. قال المؤلف:

بسم الله الرحمن الرحيم

(يَقُولُ رَاجِي رَحْمَةَ الْإِلَهِ ... مُحَمَّدٌ هُوَ ابْنُ عَبْدِ الله[1]

الْحَمْدُ لله الْعَلِيمِ الْفَاطِرِ ... ثُمَّ الصَّلَاةُ مِنْ مَلِيكٍ قَادِرِ

عَلَى النَّبِيِّ الْهَاشِمِيِّ الهادي ... وَآلِهِ وَالصَّحْبِ وَالْأَوْلَادِ

وهَاكَ في قَواعِدِ الإعْرَابِ ... نَظْمَ الْكِتَابِ الْمُبدع الإعْرَابِ

---

(١) هو: محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن يوسف فتح الدين المحب ابن الجمال بن هشام الأنصاري القاهري الماضي أَبُوهُ وَالآتي جَدُّهُ. قاله في الضوء، وقال: نشأ فحفظ القرآن، واشتغل بالفرائض وغيرها. وعند البدر المارداني: وأذن له وكذا أُقْرِأ قليلاً عند العلا البغدادي والدمشقي حسين بالقاهرة، وحضر دروس القاضي الحنبلي. انتهى.

انظر: السحب الوابلة وتسهيل السابلة، وعلماء الحنابلة، والضوء اللامع.

وَأَسْـــأَلُ اللهَ بِـــهِ أَنْ يَنْفَعَـــا قَارِئَـــهُ وَسَـــامِعًا وَمَـــنْ دَعَـــا)

فصل

في الجملة وأحكامها

ذكر المصنف في هذا الباب أربع مسائل:

المسألة الأولى:

في شرح الجملة، ويتبع ذلك ذكر أقسامها وأحكامها، وأشار إليه بقوله:

لَفْـــظٌ مُفِيْـــدٌ بِـــالْكَلَامِ يُـــدْعَى وَجُمْلَـــةٌ فَهِـــيَ أَعَـــمُّ قَطْعَـــا
كُـــلُّ كَـــلَامٍ جُمْلَـــةٌ لا تَـــنْعَكِسْ .....

يعني أن الكلام: هو اللفظ المفيد، والجملة: هي المركب الإسنادي أفاد أو لم يفد، فإذا كان كذلك صار كل كلام جملة؛ لأن الكلام لا بد أن يكون مركبًا، ولا يكون كل جملة كلامًا؛ لأن الجملة لا يشترط فيها الإفادة، فإذا قلت: زيد قائم، فهو كلام و جملة لأنه مركب مفيد، وإذا قلت: إن قام زيد، فهو جملة لأنه مركب، وليس بكلام لأنه لم يفد، والمفيد هو ما يحسن السكوت عليه.

..... وَجُمْلَـــةٌ قِـــسْمانِ لَـــيْسَ تَلْتَـــبِسْ
اِســـمِيَّةٌ فَهِـــيَ بِالاسْـــمِ تُبْتَـــدا فِعْلِيَّـــةٌ بِالفِعْـــلِ فَابْـــدأْ أَبَـــدَا

يعني أن الجملة تنقسم إلى قسمين: اسمية، وفعلية.

وذلك أنها تسمى اسمية: إن بُدِئَتْ باسم صريح، كـ(زيد قائم)، أو مؤوَّل: نحو ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٤] أي: صومكم، أو

بوصف رافع لمكتف به نحو: أقائم الزيدان، أو اسم فعل نحو: هيهات العقيق، وإذا دخل عليها حرف فلا يغير التسمية؛ سواء غيَّر الإعراب دون المعنى، أم المعنى دون الإعراب، أم غيَّرهما معًا أم لم يغير واحدًا منهما، **فالأول**: نحو: إنَّ زيدًا قائم، **والثاني**: نحو: هل زيد قائم، **والثالث**: نحو: ما زيد قائمًا، **والرابع**: لزيد قائم.

وأما الجملة الفعلية فهي التي تبتدأ بالفعل؛ سواء كان ماضيًا، أو مضارعًا، أو أمرًا، وسواء كان الفعل متصرفًا، أم جامدًا، تامًا أو ناقصًا، مبنيًا للفاعل أو للمفعول، كـ(قام زيد)، ويَضْرِبُ عمرو، واضرب زيدًا، ونعم العبد، وكان زيد قائمًا، و﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠]، وسواء كان الفعل مذكورًا كما مثَّلنا، أو محذوفًا تقدم معموله عليه أم لا، تقدم عليه حرف أم لا، نحو: هل قام زيد، ونحو: زيدًا ضربته، ويا عبد الله، (فزيدًا) و(عبد الله) منصوبان بفعل محذوف، لأن التقدير: ضربت زيدًا ضربته، وأدعو عبد الله.

ثم اعلم أن الجملة: صغرى وكبرى، فالصغرى هي: المخبر بها عن مبتدأ في الأصل، والكبرى هي: التي خبرها جملة(١)، وقد تكون صغرى باعتبار ما هي خبر عنه، وكبرى باعتبار أن خبرها جملة نحو(٢): زيد أبوه غلامه منطلق، وقد تكون لا كبرى ولا صغرى لفقد الشرطين؛ كـ(قام زيد).

---

(١) قوله: خبرها جملة، مثال ذلك: زيد أبوه قائم، فأبوه قائم جملة صغرى وهي خبر عن زيد، فيكون الجميع جملة كبرى.

(٢) قوله: زيد... إلخ. بيان ذلك أن جملة (أبوه غلامه منطلق) هي جملة صغرى باعتبار أنها خبر عن مبتدأ في الأصل وهو زيد، كبرى باعتبار أن خبرها جملة.

المسألة الثانية:

في الجمل التي لها محل من الإعراب، وأشار إليها بقوله: (وَالجُمْلَةُ الَّتِي لهَا محَلّ) من الإعراب الذي هو الرفع والنصب والخفض والجزم (سَبْع) جمل على المشهور:

إحداها: (فَخُذْهَا خَبرٌ يحلّ) لمبتدأ في الأصل(١)، أو في الحال، وموضعها: إما رفع، أو نصب، فموضعها: رفع في بابي المبتدأ الأصلي وخبر أن، وفي موضع نصب في بابي: كان، وكاد نحو: ﴿كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٢]، ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١].

الجملة الثانية والثالثة الواقعة حالًا، والواقعة مفعولًا به، وقد ذكرهما بقوله: (حالٌ ومفعُولٌ) ومحلهما النصب، فالحالية نحو قوله تعالى: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ﴾ [يوسف: ١٦]. وقوله ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**». والجملة المفعولية تقع في أربعة مواضع:

الأول: أن تقع محكية بالقول نحو: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠].

والثاني: أن تقع تالية للمفعول الأول في باب ظن، نحو: ظننت زيدًا يقرأ.

والثالث: أن تقع تالية للمفعول الثاني في باب أعلم، نحو: أَعْلَمْتُ زيدًا عمرًا أبوه قائم.

---

(١) قوله في الأصل: أي إذا لم يدخل عليه ناسخ، أو في الحال: أي إذا دخل عليه ناسخ.

والرابع: أن تقع معلقًا عنها العامل نحو: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ﴾ [الكهف: ١٢]، ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ [الكهف: ١٩].

الرابعة: من الجمل(مُضافٌ) إليه و محلها الجر؛ فعلية، أو اسمية، نحو قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩]، ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾ [غافر: ١٦]، وكذلك كل جملة وقعت بعد (إذ) أو (إذا) أو(حيث) أو (لـمّا) الوجودية عند من قال باسميتها، أو بعد (بَيْنا) أو (بينما) فإنها في موضع خفض بإضافتهن إليها.

الجملة الخامسة: الواقعة جواب شرط جازم، وقد ذكرها بقوله: (واقِعُ جَوَابَ شرطٍ جازمٍ). و محلها الجزم إذا كانت مقرونة بـ(الفاء) أو بـ(إذا) الفجائية نحو: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٨٦]، ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦].

الجملة السادسة: التابعة لمفرد، وقد ذكرها بقوله: (وتَابِعُ لـمُفْرَدٍ) كالجملة المنعوت بها، و محلها بحسب منعوتها: رفعًا، ونصبًا، وخفضًا.

فالرفع نحو قوله تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

والنصب نحو قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١].

والخفض نحو قوله تعالى: ﴿لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٩].

الجملة السابعة: التابعة لجملة لها محل من الإعراب، وقد ذكرها

بقوله: (و جُمْلَةٌ ذَاتُ محَلّ) وذلك في بابي: النسق، والبدل، نحو: زيد قام أبوه، وقعد أخوه. ومثال البدل قول الشاعر:

أَقُـولُ لَـهُ ارْحَـلْ لَا تُقِـيْمَنَّ عِنْـدَنَا وَإِلَّا فَكُنْ فِي السِّرّ وَالْـجَهْرِ مُسْلِمَا

فجملة (لا تقيمنَّ) في موضع نصب على البدليّة من ارحل.

المسألة الثالثة:

في الجمل التي لا محل لها من الإعراب، وهي سبع أيضًا كما قال:

..... **(وسَـبْعَةٌ بِـلا محَـلٍ في الجُمَـل)**

الأولى منها: (ذَاتُ ابْتِـدَاءٍ)، أي: إذا وقعت الجملة في ابتداء الكلام؛ اسمية أو فعلية فإنها لا محل لها من الإعراب، وهي نوعان:

إحداهما: المفتتح بها النطق نحو: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [يوسف: ٢].

والثانية: المنقطعة عما قبلها نحو: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٦٥] بعد قوله: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يونس: ٦٥]، وليست محكية بالقول لفساد المعنى.

والثانية: من الجمل التي لا محل لها من الإعراب ذات: (اعْتراضٍ) بين شيئين متلازمين، وهي إما للتقوية، أو للتبيين، ولا يعترض بها إلا بين الأجزاء المنفصل بعضها من بعض، المقتضي كل منها الآخر؛ فتقع بين الفعل وفاعله كقوله:

وَلَقَـدْ أَدْرَكَتْنـي وَالحَـوادِثُ جَمَّـةٌ أَسِـنَّةُ قَـوْمٍ لَا ضِـعافٌ وَلَا عُـزْلُ

أو مفعوله كقوله:

وَبُـــدِّلْتُ والـــدَّهْرُ ذُوْ تَبَـــدُّلِ هَيْفَـا دَبـورًا بِالـصَّبَا وَالـشَّمال

وبين المبتدأ والخبر كقوله:

وفـيهن والأيـام يعثـرن بـالفتى نـــوادب لا يمللنـــه ونـــوائح

وما هما أصله وجوابه كقوله:

إن ســـــليمى والله يكلؤهـــــا ضـنت بـشيء مـا كـان يرزؤهـا

وبـين الـشرط وجوابـه كقولـه تعـالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ [البقرة: ٢٤] وبين الموصول وصلته كقوله[1]: إنَّ الَّـذِي وَأَبِيْـكَ يَعـرفُ مَالِكًا. وبين أجزاء الصلة نحو: جاء الذي جوده والكرم زين مبذول، وبين المجرور وجاره؛ اسمًا كان نحو: هذا غلامُ والله زيدٍ، أو حرفًا نحو: اشتريته بوالله ألفِ درهمٍ، وبين الحرف وتوكيده نحو:

ليـت وهـل ينفـع شـيئًا ليـت ليـت شـبابًا بـوع فاشـتريت

وبين قد والفعل كقولـه: أَخَالِدُ قَدْ والله أوطأْتَ عِشْوَةً. وبين الحرف النافي ومنفيه كقولـه: فلا وأبي دهماءَ زالت عزيزة. وبين القسم وجوابه، والموصوف وصفته[2]، وجمعهما قوله تعالى: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ

(١) قوله: إن الذي وأبيك يعرف مالكًا. في المغني: ذاك الذي...إلخ، وفي ديوان جرير: ذاك الذي وأبيك تعرف مالكًا.

(٢) قوله: والموصوف وصفته: زاد في المغني لابن هشام: أن تقع بين حرف التنفيس =

ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ [الواقعة: ٧٥ - ٧٧].

(وَ) **الجملة الثالثة**: مما لا محل لها من الإعراب الواقعة (صِلَة) الموصول نحو: جاء الذي قام أبوه.

الجملة الرابعة: مما لا محل لها من الإعراب الواقعة (جَوَابُ شَرْطٍ لَيْسَ جَزْمٌ دَخَلَهْ) كجواب إذا الشرطية نحو: إذا جاء زيد أكرمتك، وجواب لو الشرطية نحو: لو جاء زيد أكرمتك، وجواب لولا الشرطية نحو: لولا زيد أكرمتك. أو الواقعة جوابًا لشرط جازم، ولم تقترن بـ: الفاء ولا بـ: إذا الفجائية نحو: إن جاءني زيد أكرمته(١).

(وَ) **الجملة الخامسة**: مما لا محل لها من الإعراب الواقعة جوابًا لـ(قَسَمْ) سواء ذكر فعل القسم وحرفه، أم الحرف فقط، أم لم يذكر، **فالأول**:

=

والفعل كقوله:

(مـــا أدري وســـوف إخـــال أدري أقـــوم آل حـــصن أم نـــساء)

وبين جملتين مستقلتين: نحو: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٢، ٢٢٣]، فإن ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ تفسير لقوله تعالى: ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ﴾، أي: إن المأتي الذي أمركم الله به هو مكان الحرث، ودلالة على أن الغرض طلب النسل لا محض الشهوة.

(١) قوله: إن جاء زيد أكرمته، أي: فجملة أكرمته لا موضع لها من الإعراب؛ لأن العامل وهو (إن) إنما تسلط على الفعل وحده، فمحل الفعل جزم على أنه جواب الشرط وجزاؤه مغنٍ كما صرح بذلك ابن هشام في المغني.

أقسم بالله لأفعلن، **والثاني**: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٣] بعد قوله: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس: ١، ٢] **والثالث**: ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٩]، بعد قوله: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القلم: ٣٩].

الجملة السادسة: مما لا محل لها من الإعراب الواقعة (وذاتُ تفْسيرٍ لِـهَلْ) وهي الجملة الكاشفة لحقيقة ما تليه، وليست عمدة نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣]، بعد قوله: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الأنبياء: ٣]، فجملة الاستفهام مفسرة للنجوى.

الجملة السابعة: مما لا محل لها من الإعراب جملة (تَابِعَةٌ لجُمْلَةٍ بِلَا محَل) من الإعراب نحو: قام زيد وقعد عمرو؛ إن لم تقدر الواو للحال.

المسألة الرابعة:

في حكم الجملة إذا وقعت بعد المعارف، أو بعد النكرات كما أشار إليها بقوله:

(وَإِنْ أَتَتْكَ بَعْدَ محَضِ النَّكِرَةِ ... جُمَلُ أَخْبَارٍ لهَا مُشْتَهِرة
فَهيَ لَدَى النحاة كلهم صفة ... وَمَا يجيءُ بَعْدَ محَضِ المَعْرِفَة
فَتِلْكَ أَحْوَالٌ وَقَدْ تَتَّصِل ... بِغَيْرِ محَضٍ مِنْهُمَا فَيَحْتَمِل)

يعني أن الجمل الواقعة بعد النكرات المحضة، أي: الخالصة من المعرفة فإنها تكون صفات للنكرات، وإن وقعت بعد المعارف المحضة، أي: الخالصة من شائبة التنكير فإنها تكون أحوالًا لتلك المعارف، وإن وقعت بعد غير المتمحض منها فإنها محتملة للصفات والأحوال، وذلك مع

وجـود المقتـضي وانتفـاء المـانع، والمقتـضي للوصـفية تمحـض التنكـير والمقتـضي للحاليـة تمحـض التعريـف، والمقتـضي لهـما: عـدم تمحـض التعريف والتنكير.

والمـانع للوصـفية(١): الاقـتران بـالواو ونحوهـا، والمـانع للحاليـة: الاقتران بحرف الاستقبال ونحوه، والمانع للوصفية والحالية؛ فساد المعنى.

مثال الواقعة صفة قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٣]، ومثال الواقعة حالًا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦]، ومثال المحتملة للوجهين بعد النكرة نحو قولك: مررت برجل صالح يصلي، فإن شئت قدرت [يصلي] صفة ثانية لرجل؛ لأنه نكرة، وإن شئت قدّرته حالًا منه؛ لأنه قد قرب من المعرفة باختصاصه بالصفة.

ومثال المحتملة للوجهين الواقعة بعد المعرفة قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ

---

(١) قوله: والمانع للوصفية: نحو قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ﴾ [البقرة: ٢١٦]، ومثال المانع للحالية: زارني زيد سأكافيه، أو لن أنسى له ذلك. والمانع لهما، مثاله قوله تعالى: ﴿مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾ [الصافات: ٧- ٨] قاله ابن هشام في المغني، وزعم أنه لا معنى للحفظ من شيطان لا يسّمّع، فيفسد المعنى إذا جعلت جملة (يسّمّعون) صفة أو حالًا من كل شيطان. انتهى، ومثال الواقعة حالًا: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]، ومثال الواقعة صفة: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠] فجملة (أنزلناه) محتملة للوصفية والحالية لوقوعها بعد التخصص.

﴿ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥]، فإن المراد بالحمار هنا الجنس لا حمار بعينه، وذو التعريف الجنسي يقرب من النكرة في المعنى، فيحتمل قوله: ﴿يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ أن يكون حالًا؛ لأن الحمار وقع بلفظ المعرفة، ويحتمل أن يكون صفة؛ لأنه كالنكرة في المعنى من حيث الشيوع.

* * * *

فصل

في الجار والمجرور

وفي هذا الباب أيضًا أربع مسائل:

الأولى:

أنه لا بد للجار والمجرور من التعلق بفعل أو معناه كما قال: (**لَا بُدَّ لِلجَارِّ مِنَ التَّعَلُّقِ بِفِعْلٍ**) نحو: مررت بزيد، (أَوْ مَعْنَاهُ) أي: معنى الفعل: من مصدر، أو صفة، أو اسم فاعل (نَحْوُ: مُرْتَقي)، وقد اجتمع الفعل، وما في معناه في قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]. فـ(عليهم) الأول متعلق بالفعل وهو (أنعمت) ومحله النصب، و(عليهم) الثاني متعلق بما في معنى الفعل، وهو المغضوب ومحله الرفع على النيابة عن الفاعل.

(وَاسْتَثْنِ كُلَّ زَائِدٍ لَهُ عَمَلْ كَـ: الْبَا وَمِنْ وَالكَافِ أَيْضًا وَلَعَلّ لَدَى عُقَيْلٍ) يستثنى من حروف الجر[1] أربعة فلا تتعلق بشيء:

أحدها: الحرف الزائد كالباء الزائدة في الفاعل، نحو: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩]، ونحو: أحسن بزيد، عند الجمهور، والأصل: كفى الله شهيدًا، وأحسن زيد بالرفع، فزيدت الباء فيهما. والزائدة في المفعول نحو: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وفي المبتدأ نحو: بحسبك درهم، وفي

(١) ذكر ابن هشام في المغني أنها ستة، فزاد على ما هنا: رُبّ، وحرف الاستثناء، وهو: خلا وعدا وحاشا.

خبر الناسخ المنفي نحو: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]، ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(١) [البقرة: ٧٤]، وكمن الزائدة في الفاعل نحو: ﴿أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ﴾ [المائدة: ١٩]، وفي المفعول نحو: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: ٣]، وفي المبتدأ نحو: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٩]، ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣].

الحرف الثاني: كاف التشبيه نحو قولك: زيد كعمرو، فزعم الأخفش وابن عصفور أنها لا تتعلق بشيء، وفيه نظر.

الحرف الثالث: (لعل) في لغة من جر بها، وهم عُقَيل بالتصغير، ولهم في لامها الأولى: الإثبات والحذف، وفي لامها الأخيرة: الفتح والكسر، قال شاعرهم:

وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يجُيْبُ إِلَى النِّدَى ... فَلَمْ يَسْتَجِبْ عِنْدَ ذَاكَ مجُِيبُ
فقُلْتُ ادْعُ أُخْرَى وَارْفَعِ الصَّوْتَ جَهْرَةً ... لَعَلَّ أبِي الْمِغْوَارِ مِنْكَ قَرِيْبُ

وقوله:

.....(ثُمَّ لَوْلَايَ كَذَا ... لَوْلاكَ لَوْلَاهُ فَعَمْرٌو قَالَ ذَا

(١) قوله: كمن الزائدة، شروط زيادتها ثلاثة أمور، **أحدها**: أن يتقدم عليها نفي، أو نهي، أو استفهام بـ(هل)، وزاد الفارسي **الشرط الثاني**: تنكير مجرورها. **الثالث**: كونه فاعلًا، أو مفعولًا به، أو مبتدأ، ولو دخل عليه ناسخ، وقد اجتمع المنصوب والمبتدأ المنسوخ في قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

لَـوْلَا أَنَـا الْفَـصِيْحُ عِنْـدَ الأَكْثَـرِ وَأَنْـتَ أَيْـضًا فـاعْلَمْ هَـذَا وَاذْكُـرِ)

هذا هو الحرف الرابع مما لا يتعلق بشيء وهو: لولا الامتناعية إذا وليها ضمير متصل: لمتكلم، أو مخاطب، أو غائب في قول بعضهم: لولاي، ولولاك، ولولاه. قال يزيد بن الحكم:

وَكَـمْ مَـوْطِنٍ لَـوْلَايَ طُحْـتَ[1] .....

وكقول الآخر:

..... لَـوْلَاكَ فِي ذا الْعَـامِ لمْ أَحْجُـجِ[2]

وكقول جحدر:

ولَـوْلَاهُ مَـا قُلْـتُ لَـدَيَّ الـدَّرَاهِمُ .....

فمذهب سيبويه أن لولا في ذلك كله لا تتعلق بشيء؛ فإنها بمنزلة (لعل) الجارة في أن ما بعدها مرفوع المحل بالابتداء، وذهب الأخفش إلى أن (لولا) في ذلك غير جارة، وأن الضمير بعدها مرفوع المحل على الابتداء، ولكنهم استعاروا ضمير الجر مكان ضمير الرفع، والأكثر أن يقال: لولا أنا، ولولا أنت، ولولا هو؛ بانفصال الضمير فيهن، كما قال تعالى: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٣١].

المسألة الثانية:

في حكم الجار والمجرور إذا وقع بعد المعارف والنكرات، وحكمه

---

(١) تمامه: كما هوى على رأسه من قلة النيق مُنْهَوِي.

(٢) صدر البيت: أومت بعينيها من الهودج.

حكم الجملة الخبرية كما قال:

(وَالْـحُكْمُ لِلْجَـارِ وَالْـمَجْرُورِ كَجُمَـلِ الأَخْبَـارِ فِي الـمَـشْهُورِ)

فهو بعد النكرة المحضة صفة، كما في قولك: رأيت طائرًا على غصن، وهو حال من المعرفة في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ [القصص: ٧٩]، وهو محتمل الأمرين: الوصف، والحال في قولك: يعجبني الزهر في أكمامه، وفي نحو: هذا ثمر يانع على أغصانه؛ لأن الزهر معرف بـ(ال) الجنسية فهو قريب من النكرة، وقولك ثمر: يانع موصوف فهو قريب من المعرفة، فيجوز في كل من الجار والمجرور في المثالين: أن يكون صفة، وأن يكون حالًا.

(وَإِنْ أَتَى الـمَجْرُورُ وَالْـجَارُّ صِلَة أَوْ حَـالًا أَو جَـا صِـفَةً مُكَمِّلَـةِ
أَوْ خَـبَرًا فَإِنَّـهُ قَـدْ عُلِّقَـا بِكَـائِنٍ أَوِ اسْـتَقَرَّ مُطْلَقًـا
خَـلَا الـصِّلَةِ فَهِـيَ بِاسْـتَقَرَّا قَـدْ عُلِّقَـتْ عِنْـدَ النُّحَـاةِ طُـرَّا)

هذه المسألة الثالثة: من مسائل هذا الباب وهي: أنه متى وقع الجار والمجرور: صلة لموصول، أو صفة لموصوف، أو حالًا لذي حال، أو خبرًا لمخبر عنه تعلق بمحذوف تقديره، كائن، أو استقر؛ إلا الواقعة صلة فيتعين فيه تقدير (استقر) اتفاقًا؛ لأن الصلة لا تكون إلا جملة.

والوصف مع مرفوعه المستتر فيه مفرد حكمًا. فمثال الصفة رأيت طائرًا على غصن، ومثال الحال: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ [القصص: ٧٩]، ومثال الخبر: الحمد لله، ومثال الصلة: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنبياء: ١٩]،

ويسمى الجار والمجرور في هذه المواضع الأربعة: بالظرف المستقَر، بفتح القاف؛ لاستقرار الضمير فيه بعد حذف عامله، وفي غيرها: بالظرف اللغو؛ لإلغاء الضمير فيه.

(وَجَازَ فِي المَجرورِ بَعْدَ الْجَرِّ ... فِي خَبَرٍ وَمَا تَلاَ فِي الذِّكْرِ
وَبَعْدَمَا اسْتفْهام أَوْ نَفي بَدَا ... أَنْ يَرْفَعَ الفَاعِلَ هَذَا أَبَدَا
وَاخْتَارَهُ بِغيْرِ شَرْطٍ قَدْ مَضَى ... نُحَاةُ كُوفَةٍ وَالأَخْفَشُ الرِّضَى
وَقِيْلَ فِيهِ خَبَرٌ وَمُبْتَدَا ... .

هذه المسألة الرابعة وهي: أنه إذا وقع الجار والمجرور بعد هذه الأربعة وهي: الصفة، والصلة، والحال، والخبر، وإذا وقع بعد الاستفهام وبعد النفي؛ فإنه يجوز أن يرفع الفاعل لاعتماده على ذلك، تقول: مررت برجل في الدار أبوه، فلك في (أبوه) وجهان: **أحدهما**: أن تقدره فاعلًا بالجار والمجرور؛ لنيابته عن استقر أو مستقر محذوفًا، وهو الراجح عند الحذاق من النحويين كابن مالك، وحجته في ذلك أن الأصل عدم التقديم والتأخير، **والوجه الثاني**: أن تقدره مبتدأ مؤخرًا، وتقدر الجار والمجرور خبرًا مقدمًا، والجملة من المبتدأ والخبر صفة لرجل، والرابط بينهما الهاء من (أبوه)، وكذا تقول في الصلة والخبر والحال، وتقول في الواقع بعد النفي والاستفهام: ما في الدار أحد، وهل في الدار أحد، فلك في (أحد) الوجهان، قال الله تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠]، وأجاز الأخفش والكوفيون رفع الجار والمجرور للفاعل، في غير هذه المواضع[1] نحو: في الدار زيد.

---

(١) قوله: في غير هذه المواضع، هو معنى قول الناظم: واختاره بغير شرط، أي: ولو لم =

فزيد عندهم يجوز أن يكون فاعلًا، ويجوز أن يكون مبتدأ مؤخرًا، والجار والمجرور خبره، وأوجب البصريون غير الأخفش ابتدائيته.

تنبيه: جميع ما ذكرناه في الجار والمجرور من أنه لا بد له من تعلقه بفعل أو ما في معناه، ومن كونه صفة للنكرة المحضة، وحالًا من المعرفة المحضة، ومحتملًا للوصفية والحالية بعد غير المحضة منهما، وغير ذلك فإنه ثابت للظروف كما قال: (وَلِلظُّرُوفِ حُكْمُ جَرٍّ وَرَدَا)، فلابد من تعلقه بفعل زمانيًّا كان الظرف أو مكانيًّا.

فالأول نحو: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ﴾ [يوسف: ١٦]، والثاني نحو: ﴿أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا﴾ [يوسف: ٩]، أو بمعنى فعل، فالزماني نحو: زيد مبكر يوم الجمعة، والمكاني: زيد جالس أمام الخطيب، فالظرفان متعلقان باسم الفاعل، ومثال وقوعه صفة: مررت بطائر فوق غصن، ومثال وقوعه حالًا: رأيت الهلال بين السحاب، ومثال وقوعه محتملًا لهما: يعجبني الثمر فوق الأغصان، ورأيت ثمرة يانعة فوق غصن، ومثال وقوعه خبرًا ﴿وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ﴾ [الأنفال: ٤٢]، ومثال وقوعه صلة: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الأنبياء: ١٩]، ومثال رفعه الفاعل الظاهر: زيد عنده مال، ويجوز تقديرهما مبتدأ وخبرًا، ويجري في نحو: عندك زيد المذهبان.

= يتقدمه استفهام أو نفي.

فصل

في تفسير كلمات يحتاج إليها المعرب

يكثر في الكلام دورها، ويَقْبُحُ بالمُعْرِب جهلها، وهي اثنتان وعشرون كلمة، وهي على ثمانية أنواع:

أحدها ما جاء على وجه واحد، وهي أربعة[1] أشار إليها بقوله:

(قَطُّ وَعَوْضُ أَبَدًا ظُرُوفُ ... لَكِنَّما اسْتِغْرَاقُهَا مَعْرُوفُ
قَطُّ لِمَا مَضَى وَعَوْضُ أَبَدَا ... حَتْمًا لِلاسْتِقْبَالِ حَيْثُ وَرَدَا)

أحدها (قَطُّ)[2] بفتح القاف وتشديد الطاء وضمها في اللغة الفصحى، وهي ظرف لاستغراق ما مضى من الزمان ملازم للنفي، تقول: ما فعلته قط، أي: لم يصدر مني فعله في جميع أزمنة الماضي. واشتقاقها من القط وهو القطع، فمعنى ما فعلته قط: ما فعلته فيما انقطع من عمري؛ لانقطاع الماضي عن الحال والاستقبال، فلا تستعمل إلا في الماضي، وقول العامة: لا أفعله قط، لحن.

---

(١) قوله: وهي أربعة. الصواب خمسة.

(٢) قوله: قط. أقول: جعل قط مما يأتي على وجه واحد، وقد ذكر ابن هشام في المغني أنها تأتي على ثلاثة أوجه، فذكر الوجه الذي ذكره المؤلف، **والثاني**: أن تكون بمعنى حسب، وهذه مفتوحة القاف ساكنة الطاء، **والثالث**: أن تكون اسم فعل بمعنى: يكفي، فيقال: قطني بنون الوقاية كما يقال: يكفيني، وتجوز نون الوقاية على الوجه الثاني؛ حفظًا للبناء على السكون، وقال في الوجه الأول: وبنيت لتضمنها معنى (مذ) و(إلى).

الثاني: عَوْضُ بفتح أوله وسكون ثانيه وتثليث آخره وإعجامه، وهو ظرف لاستغراق ما يستقبل من الزمان غالبًا، ويسمى الزمان عوضًا، لأنه كلما ذهبت منه مدة عوضتها مدة أخرى، تقول: لا أفعله عوض، أي: لا يَصْدُرُ مني فعله في جميع أزمنة المستقبل، وهو مبني، فإن أضفته أعربته ونصبته على الظرفية فقلت: لا أفعله عوض العائضين، كما تقول: دهر الداهرين، وكذلك مثل عوض في استغراق المستقبل (أبدًا)[1] تقول فيها ظرف لاستغراق ما يستقبل من الزمان، إلا أنها لا تختص بالنفي ولا تبنى.

(أَجَلْ بهَا يُرَادُ تَصْدِيْقُ الْخَبَرْ بَلَى للإِيْجَابِ لنَفْيٍ قَدْ ظَهَرْ)

الثالث[2]: مما جاء على معنى واحد: (أَجَلْ) بفتح الهمزة والجيم وسكون اللام، ويقال فيها: بَجَلْ، وهو حرف لتصديق الخبر مثبتًا كان الخبر أو منفيًا، يقال: جاء زيد وما جاء زيد، فتقول في الجواب: أجل، أي: صدقت.

الرابع[3]: مما جاء على وجه واحد: (بلى) وهو حرف موضوع لإيجاب الكلام المنفي أي لإثباته، وتختص بالنفي وتفيد إبطاله مجردًا كان عن استفهام كقوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧]، أو مقرونًا بالاستفهام الحقيقي نحو: أليس زيد بقائم؟ فيقال:

---

(١) قوله: أبدًا، هي الكلمة الثالثة مما جاء على وجه واحد.

(٢) الرابع.

(٣) الخامس.

بلى، أو التوبيخي نحو: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ۚ بَلَىٰ﴾ [الزخرف: ٨٠]، أو التقريري نحو: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ﴾ [الأعراف: ١٧٢] أي: أنت ربنا.

النوع الثاني: ما جاء على وجهين، وأشار إليه بقوله:

ظَـرْفٌ لِلاسْـتِقْبَالِ خَـافِضٌ إِذَا لِـشَرْطِهِ وَلِلْمُفَاجَـاةِ كَـذَا

(إذا) على وجهين: فتارة يقال فيها: ظرف مستقبل خافض لشرطه منصوب بجوابه في نحو: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]، وتختص هذه بالدخول على الجملة الفعلية نحو: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ [الرحمن: ٣٧]، وأما نحو: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١] فمحمول على إضمار الفعل كقوله: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ﴾ [النساء: ١٢٨]، وقد تخرج (إذا) عن المستقبل، فتكون ظرفًا للماضي نحو: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١]، ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١].

الوجه الثاني: لـ(إذا) أن يقال فيها: حرف مفاجأة فلا تحتاج إلى جواب، وتختص بالدخول على الجملة الاسمية نحو: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الشعراء: ٣٣]، واختلف في (إذا) الفجائية: هل هي حرف، أو اسم، وهل هي ظرف مكان، أو ظرف زمان؟ أقوال. وقد اجتمعتا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥].

النوع الثالث: من الكلمات: ما جاء على ثلاثة أوجه، وهي سبعة أشار

إليها بقوله:

(وَإِذْ فَظَــرْفٌ لِلْمُــضِيِّ وَاطِئَــهْ وَحَــرْفُ تعْلِيــلٍ وَلِلْمُفاجــأةِ)

تأتي (إذ) على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون ظرفًا لما مضى من الزمان فتدخل على الجملتين: الاسمية، والفعلية. فالأولى نحو: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾ [الأنفال: ٢٦]، والثانية نحو: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا﴾ [الأعراف: ٨٦]، وتستعمل للمستقبل نادرًا نحو: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾ [غافر: ٧٠- ٧١]، **والثاني**: أن تكون للمفاجأة إذا وقعت بعد (بينا) أو (بينما)، فالأول نحو قولك: بينا أنا في ضيق إذ جاء الفرج، والثاني كقوله:

استقدر الله خيرًا وارضين به فبينما العسر إذ دارت مياسير

الثالثة: أن تكون للتعليل كقوله تعالى: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف: ٣٩]، أي: لأجل ظلمكم...

(حَــرْفُ وُجُــودٍ لِوُجــودٍ لَمــا كَــذَا لِلاسْــتِثْنَا تُفِيــدُ جَزْمَــا)

هذه الثانية من الكلمات، وهي (لما) فتأتي على ثلاثة أوجه:

(فتارة) يقال فيها: حرف وجود لوجود في نحو: لمّا جاء زيد جاء عمرو، وتختص بالدخول على الماضي على الأصح، وذهب الفارسي أنها ظرف بمعنى حين.

وتارة يقال فيها: حرف جزم لنفي المضارع وقلبه ماضيًا متصلًا نفيه

بالحال، متوقعًا ثبوته في نحو: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ [ص: ٨]، ألا ترى أن المعنى: أنهم لم يذوقوه إلى الآن، وأن ذوقهم له متوقع.

وتارة يقال فيها: حرف استثناء بمنزلة (إلا) الاستثنائية؛ في لغة هذيل في قولهم: أنشدك الله لمّا فعلت كذا، أي: ما أسألك إلا فعلك كذا، ومنه قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤]، ألا ترى أن المعنى: ما كل نفس إلا عليها حافظ.

(حَـرْفٌ لِتَـصْدِيْقٍ وإِعْـلاَمٍ نَعَـمْ وَحَـرْفُ وَعْـدٍ إِيْ كَـذَا مَـعَ الْقَسَم)

الثالثة: من الكلمات التي جاءت على ثلاثة أوجه: (نَعَم) بفتحتين، فيقال فيها حرف تصديق إذا وقعت بعد الخبر المثبت والمنفي، نحو: قام زيد، ما قام زيد، فيقال: نعم، ويقال فيها: حرف وعد إذا وقعت بعد الطلب نحو: أحسن إلى فلان فتقول: نعم، ومن مجيئها للإعلام بعد الاستفهام قوله تعالى: ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ﴾ [الأعراف: ٤٤]، وهذا المعنى لم ينبه عليه سيبويه.

الرابعة: مما جاء على ثلاثة أوجه: (إي) بكسر الهمزة وسكون الياء المخففة، وهي حرف جواب بمنزلة نعم، فتكون لتصديق الخبر ولإعلام المستخبر ولوعد الطالب، فتقع بعد نحو قام زيد، وما قام زيد، وهل قام زيد؟ واضرب زيدًا، كما تقع (نعم) بعدها، هذا مقتضى التشبيه إلا إنها تفارق (نعم) من حيث كونها تختص بالقسم بعدها، نحو قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [يونس: ٥٣].

..... (حَتَّـى لِـجَرٍّ وَلعَطْـفٍ وَابْتِـدَا)

هذه الكلمة الخامسة مما جاء على ثلاثة أوجه وهي (حتى).

فأحد أوجهها: أن تكون جارة؛ فتدخل على الاسم الصريح بمعنى إلى، نحو: ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥]، ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٥]، وتدخل على الاسم المأول من أن مضمرة، ومن الفعل المضارع، وهي في ذلك على وجهين: فتكون تارة بمعنى إلى، نحو: ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٩١] لأن الأصل: حتى أن يرجع.

وتارة تكون بمعنى كي، نحو: أسلم حتى تدخل الجنة، وقد تحتملهما كقوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]، أي إلى أن تفيء أو كي تفيء.

والوجه الثاني: من أوجه (حتى): أن تكون حرف عطف تفيد مطلق الجمع كالواو، إلا أن المعطوف بها مشروط بأمرين.

أحدهما: أن يكون بعضًا من المعطوف عليه.

والأمر الثاني: أن يكون المعطوف بها غاية له في شيء كالشرف، نحو: «مات الناس حتى الأنبياء»، وعكسه، نحو: زارني الناس حتى الحجَّامون، وكالقوة والضعف كما قال الشاعر:

قهرنـــاكم حتـــى الكـــماة فـــأنتم تهابوننـــا حتـــى بَنينـــا الأصاغـــرا

والضابط أن يقال: ما صح استثناؤه صح دخول حتى عليه وما لا فلا.

والوجه الثالث: من أوجه (حتى) أن تكون (حتى) ابتدائية، فتدخل على ثلاثة أشياء؛ على الجملة المبدوءة بالفعل الماضي نحو قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَفَواْ﴾ [الأعراف: ٩٥]، وعلى المبدوءة بالمضارع نحو: ﴿وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢١٤]، في قراءة من رفع، وعلى الجملة الاسمية كقوله:

(حتى ماء دجلة أشكل (كَلَّا لِرَدْعٍ ولتصديق بدا)
ونحو كلا لا تطعه يحتمل مَعْنَى ألا أو حقًا فافهم ما نقل)

هذه **الكلمة السادسة** مما جاء على ثلاثة أوجه وهي:

كلا: فيقال فيها تارة: حرف ردع وزجر كالتي في قوله تعالى: ﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦ كَلَّاۖ﴾ [الفجر: ١٦- ١٧]، أي: انته وانزجر عن هذه المقالة، ويقال فيها تارة: حرف جواب وتصديق بمنزلة إي: بكسر الهمزة، كالتي في قوله تعالى: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ﴾ [المدثر: ٣٢]، ويقال فيها تارة: حرف بمعنى حقًا أو ألا بفتح الهمزة، واللام المخففة الاستفتاحية على خلاف في ذلك نحو: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾ [العلق: ١٩]، فالمعنى على الأول حقًا لا تطعه، وعلى الثاني: ألا لا تطعه، والصواب الثاني لكسر الهمزة في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ [العلق: ٦] كما تكسر بعد ألا الاستفتاحية، ولو كانت بمعنى حقًا لفتحت الهمزة كما في قوله: (أحقًا أن جيرتنا استقلوا).

(تجيءُ لَا نَافِيَةً وَنَاهِيَةً زَائِدَةً فَكُنْ لِذَاكَ وَاعِيَةً)

هذه **الكلمة السابعة** مما جاء على ثلاثة أوجه، وهي (لا) فتكون: تارة نافية، وتارة ناهية، وتارة زائدة. فالنافية تعمل في النكرات عمل إن كثيرًا؛

فتنصب الاسم، وترفع الخبر إذا أريد بها نفي الجنس على سبيل التنصيص، نحو: لا إله إلا الله، وتارة تعمل عمل (ليس) قليلًا، فترفع الاسم، وتنصب الخبر إذا أريد بها نفي الجنس على سبيل الظهور، أو أريد بها نفي الواحد.

فالأول كقوله:

تَعَـزَّ فَـلَا شَيْءٌ عَـلَى الأَرْضِ بَاقِيَـا وَلَا وَزَرٌ مِمَّـا قَـضَى اللهُ وَاقِيَـا

والثاني كقولك: لا رجل قائمًا بل رجلان.

والناهية تجزم المضارع نحو: ﴿وَلَا تَمْنُن﴾ [المدثر: ٦]، ﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ﴾ [الإسراء: ٣٣].

والزائدة دخولها كخروجها، وفائدتها التقوية والتأكيد، نحو: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] أي: أن تسجد.

النوع الرابع: ما جاء على أربعة أوجه، وهو أربع: إحداها (لولا) كما ذكرها بقوله:

(لَـوْلاَ امْتِنَـاعٌ لِوُجُـودٍ مُثْبِتَـا وَحَـرْفُ تحْـضِيضٍ وَتَـوْبِيخٍ أَتَـى
(كـذا للاسـتفهام والنفـي تـرد) .....

(لولا) تأتي على أربعة أوجه:

أحدها: أن يقال فيها: حرف يقتضي امتناع جوابه لوجود شرطه، وتختص بالجملة الاسمية المحذوفة الخبر وجوبًا غالبًا، وذلك إذا كان الخبر كونًا مطلقًا نحو: لولا زيد لأكرمتك، ومن هذا: لولاي لكان كذا، أي:

لولا أنا موجود.

الثاني: أن يقال فيها: حرف تحضيض، ويقال فيها: حرف عرض، والتحضيض هو: الطلب بإزعاج، والعرض: الطلب برفق، فتختص فيهما بالجملة الفعلية المبدوءة بالمضارع، أو ما في تأويله، نحو: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ [النمل: ٤٦]، ونحو: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الفرقان: ٧]، والعرض نحو: لولا تنزل عندنا فتصيب خيرًا، ونحو: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [المنافقون: ١٠].

الثالث: أن يقال فيها: حرف توبيخ فتختص بالجملة الفعلية المبدوءة بالماضي، نحو: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً﴾ [الأحقاف: ٢٨].

الرابع: أن يقال فيها: حرف استفهام تختص بالماضي، نحو: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [المنافقون: ١٠]، ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الفرقان: ٧]، قاله الهروي. والظاهر أنها في الآية الأولى للعرض، وفي الثانية للتحضيض، وزاد الهروي معنى آخر وهو أن تكون نافية بمنزلة (لم)، وجعل منه: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ [يونس: ٩٨]، أي: لم تكن، والظاهر أن المراد بـ(لولا) هنا: هلا، ويلزم منه معنى النفي.

..... (وَإِنْ لِنَفْيٍ وَلِشَرْطٍ قَدْ عُهِد
كَذَا لِتَخْفِيفٍ مِنَ الثَّقِيلِ زَائِدَةً أَيْضًا فَحَقِّقْ قِيلِي)

الثانية: مما جاء على أربعة أوجه، (إنْ) المكسورة الهمزة المخففة

النون، فيقال فيها تارة: **شرطية**، ومعناها تعليق حصول مضمون جملة بحصول مضمون جملة أخرى، كالتي في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ** ﴾ [آل عمران: ٢٩]، وحكمها أن تجزم فعلين مضارعين أو ماضيين أو مختلفين، يسمى الأول شرطًا، والثاني جوابًا وجزاء، وتارة يقال فيها: **نافية**، وتدخل على الجملة الاسمية والفعلية الماضية، نحو: ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ﴾ [يونس: ٦٨]، ﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [التوبة: ١٠٧]، والمضارعية كالتي في نحو: ﴿إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [فاطر: ٤٠]، وأهل العالية يُعملونها عمل ليس، نحو: إن أحد خيرًا من أحد إلا بالعافية، وقول الشاعر:

إِنْ هُوَ مُسْتَوْلِيًا عَلَى أَحَدٍ ... إِلَّا عَلَى أَضْعَفِ الْمَجَانِيْنِ

وقد اجتمعت الشرطية والنافية في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [فاطر: ٤١]، وتارة يقال فيها: **مخففة من الثقيلة**، كالتي في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ [هود: ١١١] في قراءة من خفف الثقيلة، ويقل إعمالها إذا خففت، ومن إهمالها قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤] في قراءة من خفف (لما)، وأما من شدد فهي عنده نافية. وتارة يقال فيها: زائدة، والغالب أن تقع بعد ما النافية نحو: ما إن زيد قائم، وتكف ما الحجازية عن العمل، وحيث اجتمعت ما وإن؛ فإن تقدمت ما على إن فما نافية، وإن زائدة؛ وإن تقدمت إن على ما، فإن شرطية وما زائدة؛ نحو: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾ [الأنفال: ٥٨].

(وَأَنْ بِفَـتْحٍ فَهْـوَ حَـرْفُ مَـصْدَرِ وَحَـرْفُ تَفْـسِيْرٍ فَأَوْحَيْنَـا اذْكُـرِ
مُخَفَّـفٌ مِـنَ الثَّقِيـلِ زَائِـدُ) .....

هذه **الثالثة** مما جاء على أربعة أوجه وهي: (أنْ) بفتح الهمزة وسكون النون، فتارة تكون حرف مصدري تؤول مع صلتها بالمصدر وتنصب المضارع نحو: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ [النساء: ٢٨]، و(أن) هذه هي الداخلة على الماضي في قولك: أعجبني أن صمت، بدليل أنها تؤول بالمصدر، أي: صيامك، وتارة تكون زائدة لتقوية المعنى وتوكيده، كالتي في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ [يوسف: ٩٦]، وكذا حيث جاءت بعد لما، أو وقعت بين فعل القسم ولو كقوله: وأقسمُ أن لو التقينا، أو بين الكاف ومجرورها كقوله: كأن ظبيةٍ تعطو، في رواية الجر. **وتارة يقال فيها**: مفسرة[1] فتكون بمنزلة (أي) التفسيرية كالتي في نحو: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾ [المؤمنون: ٢٧]، وكذا حيث وقعت بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه، ولم تقترن بخافض وتتأخر عنها جملة اسمية أو فعلية، فالفعلية

(١) قوله: مفسرة، قال في المغني: وعن الكوفيين إنكار أن التفسيرية البتة وهو عندي متجه؛ لأنه إذا قيل: كتبت إليه أن قم. لم يكن (قم) نفس (كتبت) كما كان الذهب نفس (العسجد) في قولك: هذا عسجد، أي: ذهب، ولهذا لو جئت بـ(أي) مكان (أن) في المثال لم تجده مقبولًا في الطبع، ولها عند مثبتها شروط، قلت: ذكرها خمسة: **أحدها**: أن تسبق بجملة، **الثاني**: أن يتأخر عنها جملة، **الثالث**: أن يكون في الجملة السابقة معنى، **القول الرابع**: أن لا يكون فيها حروف، **القول الخامس**: أن لا يدخل عليها جَارّ.

كالمثال المتقدم، والاسمية نحو: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا﴾ [الأعراف: ٤٣]، وليس منها ﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]؛ لأن المتقدم عليها غير جملة، وإنما هي أن المصدرية، ولا نحو: ذكرت عسجدًا أن ذهبًا؛ لأن المتأخر عنها مفرد لا جملة، فيجب أن يؤتى بأي مكانها، ولا نحو: قلت له: أن افعل، لأن الجملة المتقدمة عليها فيها حروف القول، **ويقال فيها تارة: مخففة من الثقيلة** كالتي في قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ﴾ [المزمل: ٢٠]، ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٌ﴾ [المائدة: ٧١] في قراءة الرفع، وكذا حيث وقعت بعد (علم) أو (ظن) ينزل منزلة العلم.

..... وَمَنْ لِلاسْتِفْهَامِ لَفْظٌ وَارِدُ
نَكِرَةٌ مَوصُوفَةٌ شَرْطِيَّةَ مَوْصُولَةٌ أَقْسَامُهَا مَرْعِيَّةَ)

الرابعة: مما جاء على أربعة أوجه: (من) بفتح الميم، فتكون تارة **استفهامية** كالتي في قوله تعالى: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢]، فتحتاج إلى جواب، وتكون تارة **نكرة موصوفة** كالتي في نحو: مررت بمن معجب لك، أي بإنسان معجب لك، فتحتاج إلى صفة، وتكون تارة **شرطية** كالتي في قوله تعالى: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]. وتارة تكون **موصولة** كالتي في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ﴾ [البقرة: ٨].

النوع الخامس: ما يأتي على خمسة أوجه، وذكرها بقوله:

(أَيٌّ عَلَى مَعْنَى الْكَمَالِ دَلَّتْ مَوْصُولَةٌ لِلشَّرْطِ قَدْ تَوَلَّتْ

مُـــسْتَفْهَمٌ بِهَـــا وَوَصْـــلَةٌ إِلَى نِـــداءِ لَفْـــظِ مَـــا بِـــهِ أَلْ وُصِـــلَا
كـذَا فِي الِاسْـتِفْهَامِ حَـرْفُ شَرْطِ مُـــرَادِفٌ لإِنْ فَحَقِّـــقْ ضَـــبْطِ)

(أيّ) تأتي على خمسة أوجه: فتارة تكون **شرطية** فتحتاج إلى شرط وجواب، والأكثر أن تتصل بها ما الزائدة نحو: ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ﴾ [القصص: ٢٨]، وتقع تارة **استفهامية**، فتحتاج إلى جواب نحو: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٤]، وتقع تارة **موصولة** نحو: ﴿لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾ [مريم: ٦٩]، أي: الذي هو أشد، وتقع تارة دالة على معنى الكمال للموصوف بها في المعنى، فتقع صفة لنكرة قبلها، نحو: هذا رجل أيّ رجل، وتكون **حالًا لمعرفة** قبلها، كمررت بعبد الله أيّ رجل: بنصب (أيّ) على أنه حال من عبد الله، وتقع تارة **وصلة لنداء** ما فيه (أل) نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الانفطار: ٦].

وَبعْـدَ وَدَّ لَـوْ فَهُـوَ حَـرْفُ مـصدرِ مُـــرَادِفٌ لإِنْ ولكـــن قـــد عَـــري
مِـــنْ نَـــصْبٍ أَوْ جَـــزْمٍ وَلِلتَّمَنِّـــي وَالْعَرْضِ وَالتَّحْضِيضِ يَاذَا الذِّهْنِ

الكلمة الثانية مما جاء على خمسة أوجه (**لو**).

فأحد أوجهها: أن تكون حرف **شرط في الماضي**، نحو: لو جاءني زيد أكرمته، وإذا دخلت على المضارع صرفته إلى الماضي، نحو: لو يفي كفى، فيقال فيها: حرف يقتضي امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه، نحو: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٦].

والثاني: من أوجه (لو): أن تكون **حرف شرط في المستقبل** مرادفًا

لـ(إنْ) الشرطية إلا أن (لو) لا تجزم، كقوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟﴾ [النساء: ٩] أي: إن تركوا، أي: شارفوا أو قاربوا أن يتركوا.

الوجه الثالث: أن تكون **حرفًا مصدريًا** مرادفًا لـ(أن) المصدرية إلا إنها لا تنصب، وأكثر وقوعها بعد (ودَّ) نحو: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ﴾ [القلم: ٩]، أو بعد (يودّ) نحو: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ﴾ [البقرة: ٩٦].

الرابع: أن تكون **للتمني** بمنزلة (ليت) إلا أنها لا تنصب، ولا ترفع، نحو: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ [الشعراء: ١٠٢].

الخامس: أن تكون **للعرض** نحو: «لو تنزل عندنا فتصيب خيرًا».

وذكر بعضهم لها معنى سادسًا، وهو أن تكون **للتقليل**، نحو قوله ﷺ: «**تصدقوا ولو بظلف محرق**».

النوع السادس: ما يأتي على سبعة أوجه وهو (قد).

(قَدْ بِمَعْنَى حَسْبُ وَهْيَ اسْمُ ... كَذَاكَ يَكْفِي وَهْيَ أَيْضًا قِسْمُ
تُفِيْدُ لِلتَّحْقِيْقِ وَالتَّوَقُّعِ ... كَذَا لِتَقْرِيبِ المُضِيّ فَاسْمعِ
كَذَاكَ لِلتَّقْلِيلِ وَالتَّكْثِيْرِ ... وَقَدْ يُرَى في كَلِمِ الْقَدِيرِ)

(قد) تأتي على سبعة أوجه:

أحدها: أن تكون **اسمًا بمعنى حسب**، وفيها مذهبان؛ **أحدهما**: أنها معربة، فيقال فيها: إذا أضيفت إلى ياء المتكلم: قدي بغير نون، كما يقال: حسبي درهم، **والثاني**: أنها مبنية على السكون لشبهها بالحرفية لفظًا.

الوجه الثاني: أنها تكون بمعنى يكفي، وهي مبنية اتفاقًا، وتتصل بها ياء المتكلم، فيقال قدني درهم بالنون وجوبًا كما يقال: يكفيني درهم.

الوجه الثالث: أن تكون للتحقيق، فتدخل على الفعل الماضي نحو: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ [المؤمنون: ١]، قيل: وعلى المضارع نحو: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٨].

الوجه الرابع: أن تكون للتوقع فتدخل عليهما أيضًا تقول: قد يخرج زيد، فدل على أن الخروج منتظر متوقع، وتقول في الماضي: قد خرج زيد لمن يتوقع خروجه، وفي التنزيل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]، لأنها كانت تتوقع سماع شكواها، وزعم بعضهم أنها لا تكون للتوقع في الماضي.

الوجه الخامس: أن تكون **لتقريب زمن الماضي من زمن الحال** نحو: قد قام، فإنك قربت الماضي من الحال، ولهذا تلزم (قد) مع الماضي الواقع حالًا، إما ظاهرة في اللفظ نحو: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١١٩]، أو مقدرة نحو: ﴿هَـٰذِهِۦ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ [يوسف: ٦٥].

الوجه السادس: أن تكون **للتقليل** وهو ضربان، **الأول**: تقليل وقوع الفعل نحو: قد يصدق الكذوب، وقد يجود البخيل، **والثاني**: تقليل متعلقه نحو: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [النور: ٦٤]، أي: إنما هم عليه أقل معلوماته.

الوجه السابع: أن تكون **للتكثير** كما في قوله:

قَدْ أَتْرُكُ الْقِرْنَ مُصْفَرًّا أَنَامِلُهُ كَأَنَّ أَثْوَابَهُ مُجَّتْ بِفِرْصَادِ

وقال الزمخشري في قوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ﴾ [البقرة: ١٤٤] ربما نرى، ومعناه: كثرة الرؤية(١).

النوع السابع: ما يأتي على ثمانية أوجه.

(وَاوٌ لِلاسْتِئْنَافِ ثُمَّ الحَالِ كَذَا المَفْعُولِ لَهُ وَجَمْعٍ تَالي
لقَسَمٍ وَرُبَّ عَطْفٍ زَائِدَة فَهَذِهِ الأقسَامُ فِيهَا وَارِدَة

الواو تأتي على ثمانية أوجه، وذلك أن لنا **واوين** يرتفع ما بعدهما من الاسم والفعل المضارع، وهما واو للاستئناف، وواو للحال، فواو الاستئناف هي الواقعة في ابتداء كلام آخر غير الأول، نحو: ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ [الحج: ٥]، فإنها لو كانت للعطف لانْتَصَبَ الفعل، وواو الحال هي الداخلة على الجملة الحالية اسمية كانت أو فعلية، وتسمى واو الابتداء نحو: جاء زيد والشمس طالعة. ولنا **واوان** ينتصب ما بعدهما من الاسم والفعل المضارع وهما: واو المفعول معه، نحو: سرت والنيل، وواو الجمع الداخلة على المضارع المسبوق بنفي أو طلب، نحو: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، وقول أبي الأسود:

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

(١) الكشاف الجزء الأول ص٢٣٨.

ولنا **واوان** ينجر ما بعدهما وهما: واو القسم، نحو: ﴿وَٱلتِّينِ﴾ [التين: ١]، وواو رُبَّ كقوله:

وبلـــدةٍ لـــيس بهـــا أنـــيس إلا اليعـــافير وإلا العـــيس

أي: ورب بلدة. ولنا **واو** يكون ما بعدها على حسب ما قبلها وهي **واو** العطف، وهذه هي الأصل، ولنا **واو** يكون دخولها في الكلام كخروجها وهي الزائدة، نحو: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣](١).

الثامن: ما يأتي على اثني عشر وجهًا وهو (ما)، وقد ذكرها بقوله:

(مَعْرِفـــةٌ ذاتُ تمَـــام مَـــا قُـــلِ وَذَاتُ نَقْـــصٍ وَلِـــشَرْطٍ فاقْبَـــلِ
نَكِـــرَةٌ مَوْصُوفَـــــةً تَعَجُّـــبُ نَكِـــرَةٌ فَـــصِفْ بِهَـــا مَـــا تَطْلُـــبُ
مَوصُـــولةٌ كَـــذَا لِلْاِسْـــتِفْهَام وَاسْـــمًا أَتَـــتْ في هـــذِهِ الْأَقْـــسَامِ
وَإِنْ تكُـــنْ حَرْفًـــا فَمـــصْدَرِيَّة ظَرْفِيَّـــةٌ وَغَـــيْرُ مَـــا ظَرْفِيَّـــة
زَائِـــدَةٌ نَافِيَـــةٌ وكَافَّـــة) عَـــنْ رَفْـــعٍ أوْ نَـــصْبٍ وَجَـــرٍّ كَافَّـــة

هذه آخر الأنواع، وهي (ما)، وهي على ضربين: اسمية وحرفية، فالاسمية أوجهها سبعة:

أحدها: أن تكون **معرفة تامة**، فلا تحتاج إلى شيء، وهي ضربان: **عامة وخاصة**.

---

(١) قلت: وبعضهم يسميها واو الثمانية كهذه الآية وكآية أصحاب الكهف: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢].

فالعامة: هي التي لم يتقدمها اسم تكون هي وعاملها صفة له في المعنى، نحو قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾ [البقرة: ٢٧١]، **والخاصة**: هي التي يتقدمها اسم تكون هي وعاملها صفة له في المعنى، وتقدر من لفظ ذلك الاسم المتقدم، نحو: غسلته غسلًا نعمَّا، ودققته دقًا نعمَّا، أي نعم الغسل، ونعم الدق.

والثاني: أن تكون **معرفة ناقصة** وهي الموصولة، وتحتاج إلى صلة وعائد، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ﴾ [الجمعة: ١١].

والثالث: أن تكون **شرطية**، نحو: ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٧].

والرابع: أن تكون **استفهامية**، نحو: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧]، ويجب في ما الاستفهامية حذف ألفها إذا كانت مجرورة بحرف، نحو: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [النبأ: ١]، ﴿فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥] فحذفت الألف فرقًا بين الاستفهامية والخبرية.

والخامس: أن تكون نكرة تامة غير محتاجة إلى صفة، وذلك في ثلاثة مواضع:

أحدها: الواقعة في باب نِعْمَ وبِئْسَ، نحو: ﴿فَنِعِمَّا هِىَ﴾ [البقرة: ٢٧١]، ونعم ما صنعت، أي: نعم شيئًا شيء صنعته.

الثاني: قولهم؛ إذا أرادوا المبالغة في الإكثار من فعل: إني مما أن أَفْعَلَ،

أي: أني مخلوق من أمر هو فعل كذا وكذا، وذلك على سبيل المبالغة مثل: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧].

الثالث: التعجب نحو: ما أحسن زيدًا، ف(ما) نكرة تامة.

والسادس: أن تكون **ما نكرة موصوفة** كقولهم: مررت بما معجب لك، أي: شيء معجب، ومنه: نعم ما صنعت، أي: نعم شيء صنعت.

والسابع: أن تقع **ما نكرة موصوفة بها نكرة قبلها**، إما: للتحقير، أو التعظيم، أو للتنويع، نحو: ﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ [البقرة: ٢٦]، وقول العرب، لأمر ما: جدع قصير أنفه، وقولهم: ضربته ضربًا ما.

والضرب الثاني: أن تكون حرفية، وأوجهها خمسة:

أحدها: أن تكون **نافية** فتعمل في دخولها على الجمل الاسمية عمل ليس في لغة الحجازيين نحو: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١].

والثاني: مصدرية غير ظرفية، نحو: ﴿بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦]، أي: بنسيانهم إياه.

والثالث: مصدرية ظرفية، نحو: ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١].

والرابع: تكون كافة عن العمل، إما عن عمل الرفع كقوله:

صَدَدْتَ فَأَطْوَلتَ الصُّدُودَ وَقَلَّمَا ... وِصَالٌ عَلَى طُولِ الصُّدُودِ يَدُومُ

فقلَّ فعل ماضٍ، وما كافة له عن طلب الفاعل، وأما وصال فهو فاعل بفعل محذوف يفسره الفعل المذكور وهو يدوم، ولم يَكُفَّ ما من الأفعال

إِلَّا قَلَّ وَطَالَ وَكَثُر.

وإما أن تكون كافة عن عمل النصب والرفع، وذلك مع إن وأخواتها، نحو: إنما الله إله واحد.

وإما أن تكون كافة عن عمل الجر، نحو: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢].

والوجه الخامس: أن تكون **زائدة** وتسمى هي وغيرها من الحروف الزوائد صلة وتأكيدًا، نحو: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ﴿عَمَّا قَلِيلٖ﴾ [المؤمنون: ٤٠] أي: فبرحمة، وعن قليل، وما صلة مؤكدة.

* * * *

فصل

في ألفاظ محررة

أي مهذبة منقحة.

(قُـلْ فِعْـلُ مَـا لَمْ يُـسَمَّ فَاعِلُـهْ فِي نَحْـوِ هَـذَا قُبِّلَـتْ أَنَامِلُـهْ
وَنَائِبًـا عَـنْ فَاعِـلٍ فِيْـمَا يَـلِي .....

أي ينبغي لك أن تقول في نحو: ضُرب زيد، فعل ماض لم يسم فاعله، أو فعل ماض مبني للمجهول، ولا تقل: مبني لما لم يسم فاعله لما فيه من التطويل والخفاء، وينبغي أن تقول في (زيد): نائب عن الفاعل، ولا تقل: مفعول لما لم يسم فاعله لخفائه وطوله وصدقه على(درهما) مِنْ أُعْطِيَ زيد درهمًا.

..... (وَقَـدْ لتقليـلٍ وتحقيـقٍ تـلي)

أي ينبغي أن تقول في (قد): حرف لتقليل زمن الماضي، وتقريبه من الحال وتقليل حدث المضارع ولتحقيق حدثيهما.

(لَنْ حَرْفُ نَصْبٍ قَدْ نَفَى المُسْتَقْبَلَا .....

أي ينبغي أن تقول في (لن): حرف نفي ونصب واستقبال، وينبغي أن تقول في: (لَمْ حَرْفُ جَزْمٍ قَدْ نَفَاهُ جَاعِلًا مَعْنَاهُ مَاضِيَا)، أو قل فيها: حرف جزم ونفي للمضارع وقلبه ماضيًا.

(وَ) أن تقول (فِي أَمَّا) المفتوحة الهمزة المشددة الميم: (حَرْفُ شَرْطٍ وَتَفْصِيْلٍ وَتوْكِيدٍ مَّا) من نحو: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩]، وأما نحو:

أمَّا زيد فمنطلق، فأما حرف شرط وتوكيد بدون تفصيل. (وَ) ينبغي أن نقول في (**أَنْ فَحَرْفُ مَصْدرِيٍّ يَنْصِبُ مُضَارِعًا**) ويخلصه للاستقبال، (**وَفَاءُ شَرْطٍ تُعْرِبُ**) أي قل في الفاء التي بعد الشرط: الفاء رابطة لجواب الشرط، ولا تقل: جواب الشرط؛ لأن الجواب الجملة بأسرها لا الفاء وحدها، فلهذا قال:

(جوابه رابطة ولا تقل ... جواب شرط بل كما قلت فقل
أَمَامَ زَيْدٍ بِإِضَافَةٍ خُفِضْ ... فَلَا تَقُلْ بِالظَّرْفِ فَهْو قَدْ رُفِضْ

ينبغي أن تقول في نحو (زيد) بالجر من: جلست أمام زيد، مخفوض بالإضافة، ولا يقال: مخفوض بالظرف؛ لأن المقتضي للخفض إنما هو الإضافة، أو المضاف لا كون المضاف ظرفًا بخصوصه.

فَاءُ فَصَلٍّ لَا تَقُلْ لِلْعَطْفِ ... فَاء سَبَبِيَّةٍ فَقُلْ لِعُرْفِ

يعني أنه ينبغي أن تقول بالفاء في نحو: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ١، ٢] فاء السببية، ولا تقل: فاء العطف؛ لأنه لا يجوز عطف الطلب على الخبر، ولا العكس.

(لِمُطْلَقِ الجَمْعِ بِوَاوٍ قَدْ عُطِفْ ... حَتَّى لِجَمْعٍ وَلِغَايَةٍ عُرِفْ)

ينبغي أن تقول بالواو العاطفة: الواو حرف عطف لمطلق الجمع، وأن تقول في (حتى) من قولك: قدم الحجاج حتى المشاة: حتى حرف عطف للجمع والغاية والتدريج، (وَ) أن تقول في ثُمَّ للمُهْلةِ والتَّرْتِيبِ، (وَ) أن تقول في (الْفَاءُ لِلتَّرتِيْبِ) به (وَالتَّعْقِيْبِ)، وإذا اختصرت فيهن فقل: عاطف

ومعطوف.

(أَكِّـدْ بـأنَّ وَانْـصِبَنَّ وَارفَعَـا زِدْ مـصدريًا إِنْ بَفَـتْحٍ وَقَعَـا)

ينبغي أن نقول في (إن) المكسورة المشددة: حرف توكيد ينصب الاسم ويرفع الخبر، وتزيد في (أن) المفتوحة الهمزة فتقول في (أن): حرف توكيد ومصدر، ينصب الاسم ويرفع الخبر، وتقول في (كأن): حرف تشبيه ينصب الاسم ويرفع الخبر، وفي(لكن): حرف استدراك ينصب الاسم ويرفع الخبر، وفي (لعل): حرف ترجٍّ ينصب الاسم ويرفع الخبر، وفي (ليت): حرف تمن ينصب الاسم ويرفع الخبر.

* * * *

خاتمة

نسأل الله حسن الخاتمة

(وَيَنْبَغِـي لِلنَّـاسِ في الإِعْـرَابِ ... بَحْـثٌ عَـنِ الْـمُهِمِّ في الأبـوَابِ
كَمِثْـلِ فَاعِـلٍ لِفِعْـلٍ أَوْ خَـبَر ... كَـذَا إذا مَرَّ بِظَرْفٍ أَوْ بِحَرْف جَرّ
بَـيَّنَ محْـذُوفًا بِـهِ تَعَلَّقَـا ... وَصِـلَةَ الْـمَوْصُولِ أَيْـضًا حَقَّقَـا
وَإِنْ أَتَـى بِجُمْلَـةٍ فَيَـذْكُرُ ... لهَـا الْـمحَلَّ فَهـوَ حَقًّـا أَجْـدَرُ
كَـذَاكَ في الَّـذِي وَذَا لَا يَقْتَـصِرْ ... بِقَـوْلِ مَوْصُـولٍ إِشَـارَةٍ ذُكِـرْ
بَـلْ لِيَقُـولَ فَاعِـلٌ وَهْـوَ كَـذَا ... كَـذَاكَ في الْـمُضَافِ فَـاعرفَنَّ ذَا
جُـزْءُ الْـمُضَافِ الْـجَرُّ فِيـهِ وَارِدُ ... وَلا تَقُـلْ في الـذِّكرِ لَفـظٌ زائِـدُ
وَبَعْـضُهُمْ عَـبَّرَ عَنْـهُ بِـصِلَهْ ... وَبَعْـضُهُمْ مُؤَكِّـدًا قَـدْ جَعَلَـهْ
وَكَمُلَـتْ وَالْـحَمْدُ لِلـرَّحمَنِ ... ثُـمَّ صَـلَاةُ المَلِـكِ الـدَّيَّانِ
عَـلَى النَّبِـيِّ الْـمُصْطَفَى الْـمُخْتَارِ ... وَآلِـهِ وَصَـحْبِهِ الأَطْهَـارِ)

اعلم أنه يعاب على الناشئ في صناعة الإعراب أن يذكر فعلًا: ماضيًا أو مضارعًا أو أمرًا، ولا يبحث عن فاعله إن كان له فاعل، ولو قال المؤلف أن يذكر عاملًا، ولا يبحث عن معموله لكان أشمل، ليدخل في العامل جميع الأفعال وأسمائها والمصادر وأسمائها والصفات وما في معناها.

ويدخل في المعمول الفاعل ونائبه، واسم كان وأخواتها، وخبر إن وأخواتها، وما أشبه ذلك، ولا ينبغي أن يذكر مبتدأ ولا يبحث عن خبره، أهو مذكور أو محذوف؟ وجوبًا أو جوازًا؟ أو يذكر ظرفًا أو مجرورًا لهما متعلق، ولا ينبه على متعلقه أهو فعل أو شبهه؟ أو يذكر جملة: اسمية أو

فعلية، ولا يذكر ألها محلًا من الإعراب أم لا؟ وهل المحل رفع أم نصب أم خفض أو جزم؟ أو يذكر موصولًا ولا يذكر صلته وعائده.

ومما يعاب على الناشئ في صناعة الإعراب أن يقتصر في إعراب الاسم المبهم من نحو: قام ذا أو قام الذي أن يقول: ذا اسم إشارة أو الذي اسم موصول، فإن ذلك لا ينبني عليه إعراب، فالصواب أن يقال: فاعل، وهو اسم إشارة أو فاعل، وهو اسم موصول، ومما لا ينبني عليه إعراب أن تقول في (غلام) من نحو: (غلام زيد): مضاف مقتصرًا عليه، فإن المضاف ليس له إعراب مستقر كما في الفاعل ونحوه، وإنما إعرابه بحسب ما يدخل عليه، فالصواب أن يبين فيقال: فاعل أو مفعول، أو نحو ذلك بخلاف المضاف إليه، فإن له إعرابًا مستقرًا وهو الجر بالمضاف، فإذا قيل: مضاف إليه علم أنه مجرور لفظًا أو محلًا.

وينبغي للمعرب ألا يعبر عما هو موضوع على حرف واحد بلفظه، فيقول في الضمير المتصل بالفعل من نحو: ضربت: (ت) فاعل، إذ لا يكون اسم هكذا، فالصواب أن يعبر عنه باسمه الخاص أو المشترك، فيقول: التاء أو الضمير فاعل، أما ما صار بالحذف على حرف واحد فلا بأس بذلك، فتقول: في (مُ) مبتدأ حذف خبره لأنه بعض أيمن، وفي (قِ) من نحو قولك: قِ نفسَك، فعل أمر لأنه من الوقاية، فإن كان موضوعًا على حرفين ينطق به فتقول: مَنْ اسم استفهام، وما أشبه ذلك.

ولا يحسن أن يعبر عن الكلمة بحروف هجائها فلا يقول: الميم والنون اسم استفهام، ولذلك كان قولهم: (أل)، في أداة التعريف أقيس من قولهم: الألف واللام، وينبغي أن يجتنب المعرب أن يقول في حرف من كتاب الله

زائدًا، تعظيمًا له؛ لأنه يسبق إلى الأذهان أن الزائد هو الذي لا معنى له أصلًا، وكلامه منزه عن ذلك، ومن فهم خلاف ذلك فقد وهم، وقد وقع هذا الوهم للرازي.

والزائد عند النحويين هو الذي لم يؤت به إلا لمجرد التقوية والتوكيد، لا أن الزائد هو المهمل كما توهمه الرازي. وكثير من النحويين المتقدمين يسمون الزائد (صلة)... وبعضهم يسميه (مؤكدًا) وفي هذا القدر كفاية لمن تأمله.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

كتبه الفقير إلى الله عبد الرحمن بن ناصر السعدي، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين.

حرر ١٠ ربيع أول سنة ١٣٣٤هـ ونقلته من خط شيخنا، وأنا الفقير إلى عفو الله ومغفرته محمد بن سليمان بن عبد العزيز آل بسام، وكان الفراغ من كتابتها ليلة السبت الخامس عشر من رجب عام ١٣٦٥هـ، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قد أفردت نظم قواعد الإعراب ليسهل حفظه لمبتغيه.

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَقُـولُ رَاجِـي رَحْمَـةَ الْإِلَـهِ ... مُحَمَّـدٌ هُـوَ ابْـنُ عَبْـد الله
الحَمْـدُ لله العَلِـيم الفَـاطِرِ ... ثـمَّ الـصَّلَاةُ مـنْ مَلِيـكٍ قَـادِرِ
عَـلَى النَّبِـي الْـهَاشِمِّي الـهَادِي ... وَآلِـه وَالـصَّحْبِ وَالْأَوْلَادِ
وهَـاكَ فِي قَواعِـدِ الإِعْـرَابِ ... نَظْـمَ الْكِتَـابِ الْـمُبْدِعِ الْإِعْـرَابِ
وأسْـأَلُ الله بِـهِ أَنْ يَنْفَعَـا ... قَارِئَـهُ وَسَـامِعًا وَمَـنْ دَعَـا

فصل

في الجملة وأحكامها

لَفْـظٌ مُفِيْـدٌ بِـالْكَلَامِ يُـدْعَى ... وَجُمْلَـةٌ فَهِـيَ أَعَـمُّ قَطْعَـا
كُـلُّ كَـلَامٍ جُمْلَـةٌ لا تَـنْعَكِسْ ... وَجُمْلَـةٌ قِـسْمانِ لَـيْسَ تَلْتَـبِسْ
إِسْـمِيَّةٌ فَهِـيَ بِالاسْـمِ تُبْتَـدا ... فِعْلِيَّـةٌ بِالفِعْـلِ فَابْـدأْ أَبَـدَا
وَالجُـمْلَةُ الَّتِـي لهَـا محَـلّ ... سَـبْعٌ فَخُـذْهَا خَـبرٌ... يحَِـلّ
حـالٌ ومفعُـولٌ مُـضَافٌ واقِـعٌ ... جَـوَابَ شرطٍ جـازمٍ وتـابع
لمفـردٍ وجملـةٍ ذاتِ محَـل ... وسَـبْعَةٌ بِـلا محَـلٍ في الجملْ
ذاتُ ابْتِـدَاءٍ وَاعْـتِراضٍ وَصِـلَهْ ... جَـوَابُ شَرْطٍ لَـيْسَ جَـزْمٌ دَخَلَـه
وقَـسَمٌ وذات تفـسير لـهَلْ ... وتابعـة لجملـة بـلا محـل
وَإِنْ أَتَتْـكَ بَعْـدَ محَـضِ النَّكِـرَه ... جُمَـلُ أَخْبَـارٍ لهَـا مُـشْتَهِرَه

فَهْـيَ لَـدَى النُّحـاةِ كُلِّهِـمْ صِـفَه ... وَمَـا يجَـيءُ بَعْـدَ محْـضِ المَعْرِفَـه
فَتِلْـكَ أَحْـوَالٌ وَقَـدْ تَتَّـصِل ... بِغَـيْرِ محْـضٍ مِـنْهُمَا فَيَحْتَمِـل

فصل

في الجار والمجرور

لَا بُـدَّ لِلجَـارِّ مِـنَ التَّعَلُّـقِ ... بِفِعْـلٍ أَوْ مَعْنَـاهُ نَحْـوُ مُرْتَقِـي
وَاسْـتَثْنِ كُـلَّ زَائِـدٍ لَـهُ عَمَـلْ ... كَالْبَا وَمِـنْ وَالكَـافِ أَيْـضًا وَلَعَـلّ
لَـدَى عُقَيْـلٍ ثُـمَّ لَـوْلَايَ كَـذَا ... لَـوْلاكَ لَـوْلَاهُ فَعَمْـرٌو قَـال ذا
لَـوْلَا أَنَـا الْفَـصِيْحُ عِنْـدَ الأَكْثَـرِ ... وَأَنْـتَ أَيْـضًا فـاعْلَمْ هَـذَا وَاذْكُـرِ
وَالحـكْمُ لِلْجَـارِّ وَالْـمَجْرُورِ ... كَجُمَـلٍ الأَخْبَـارِ في الْـمَشْهُورِ
وَإِنْ أَتَـى الْـمَجْرُورُ وَالْـجَارُّ صِلَة ... أَوْ حَـالًا أَو جَـا صِـفَةً مُكَمِّلَـهْ
أَوْ خَـبَرًا فَإِنَّـهُ قَـدْ عُلِّقَـا ... بِكَـائِنٍ أَوِ اسْـتَقَرَّ مُطْلَقَـا
خَـلَا الـصِّلِة فَهِـيَ بِاسْـتَقَرَّا ... قَـدْ عُلِّقَـتْ عِنْـدَ النُّحَـاةِ طُـرَّا
وَجَـازَ في المَجْـرورِ بَعْـدَ الجَـرِّ ... في خَـبَرٍ وَمَـا تَـلاَ في الـذِّكْرِ
وَبَعْـدَ مَـا اسْـتفْهامٍ أَوْ نَفـي بَـدَا ... أَنْ يَرْفَـعَ الفَاعِـلَ هَـذَا أَبَـدَا
وَاخْتَـارَهُ بِغَـيْرِ شَرْطٍ قَـدْ مَـضَى ... نُحَـاةُ كُوفَـةٍ وَالأَخْفَـشُ الـرِّضَى
وَقِيْـلَ فِيـهِ خَـبَرٌ وَمُبْتَـدَا ... وَلِلظُّـرُوفِ حُكْـمُ جـرٍّ وَرَدَا

فصل

في تفسير كلمات يحتاج إليها المعرب

قَـطُّ وَعَـوْضُ أَبَـدًا ظُـرُوفُ ... لَكِـنَّمَا اسْـتِغْرَاقُهَا مَعْـرُوفُ
قَـطُّ لِـمَا مَـضَى وَعَـوْضُ أَبَـدَا ... حَـتْمًا لِلاسْـتِقْبَالِ حَيْـثُ وَرَدَا

أَجَـلْ بهَـا يُـرَادُ تَـصْدِيْقُ الْـخَبَر ... بَـلَى لِلا يجَـابِ لِنَفْـيٍ قَـدْ ظَهَـر
ظَـرْفٌ لِلاسْـتِقْبَالِ خَـافِضٌ إِذَا ... لِـشَرْطِهِ وَلِلْمُفَاجَـاةِ كَـذَا
وَإِذْ فَظَـرْفٌ لِلْمُـضِيِّ وَاطِئَـه ... وَحَـرْفُ تعْلِيـلٍ وَلِلْمُفاجـاَة
حَـرْفُ وُجُـودٍ لِوُجـودٍ لمَّـا ... كَـذَا لِلاسْـتِثْنَا تُفيـدُ جَزْمًـا
حَـرْفٌ لِتَـصْدِيْقٍ وإِعْـلاَمٍ نَعـم ... وَحَـرْفُ وَعْـدٍ إِيْ كَـذَا مَـعَ الْقَسَم
حَتَّـى لِـجَرٍّ وَلعَطْـفٍ وَابْتِـدَا ... كَـلَّا لِـرَدْعٍ وَلِتَـصْدِيقٍ بَـدَا
وَنَحْـوُ: كَـلَّا لَا تُطِعْـهُ يحْتَمِـل ... مَعْنَـى أَلا أَوْ حَقًّـا فَـافْهَمْ مَـا نُقِـل
تجَـيءُ لاَ نَافِيَـةً وَنَاهِيَـه ... زَائِـدَةً فَكُـنْ لِـذَاكَ وَاعِيَـه
لَـوْلاَ امْتِنَـاعٌ لِوُجُـودٍ مُثْبِتَـا ... وَحَـرْفُ تحْـضِيضٍ وَتَـوْبِيخ أَتَـى
كَـذَا لِلْاسـتِفْهَامِ وَالنَّفْـيِ تَـرِد ... وَإِنْ لِنَفْـيٍ وَلِـشَرْطٍ قَـدْ عُهِـد
كَـذَا لِتَخْفِيـفٍ مِـنَ الثَّقِيـلِ ... زَائِـدَةً أَيْـضًا فَحَقِّـقْ قِـيْلِي
وَأَنْ بِفَـتْحٍ فَهْـوَ حَـرْفُ مَـصْدَرِ ... وَحَـرْفُ تَفْـسِيرٍ فَأَوْحَيْنَـا اذْكُـرِ
مُخَفَّـفٌ مِـنَ الثَّقِيـلِ زَائِـدُ ... وَمَـنْ لِلْاسْـتِفْهَام لَفْـظٌ وَارِدُ
نَكِـرَةٌ مَوصُـوفَةٌ شَرْطِيَّـةٌ ... مَوْصُـولَةٌ أَقْـسَامُهَا مَرْعِيَّـه
أَيٌّ عَـلَى مَعْنَـى الْكَـمَالِ دَلَّـتْ ... مَوْصُـولَةٌ لِلـشَّرْطِ قَـدْ تَوَلَّـتْ
مُـسْتَفْهَمٌ بِهَـا وَوُصْـلَةٌ إِلَى ... نِـداءِ لَفْـظِ مَـا بِـهِ أَلْ وُصِـلَا
كـذَا في الِاسْـتِفْهَامِ حَـرْفُ شَرْطِ ... مُـرَادِفٌ لإِنْ فَحَقِّـقْ ضَـبْطِ
وَبعْـدَ وَدَّ لَـوْ فَهُـوَ حَـرْفُ مـصدر ... مُـرَادِفٌ لِأَنْ ولكـن قـد عَـرِي
مِـنْ نَـصْبٍ أَوْ جَـزْمٍ وَلِلتَّمَنِّـي ... وَالعَرْضِ وَالتَّحْضِيضِ يَاذَا الـذِّهْنِ
وَقَـدْ بِمَعْنَـى حَـسْبُ وَهْـيَ اسْـمُ ... كَـذَاكَ يَكْفِـي وَهْـيَ أَيْـضًا قِـسْمُ
تُفِيْـدُ لِلتَّحْقِيْـقِ وَالتَّوَقُّـعِ ... كَـذَا لِتَقْرِيـبِ الْـمُضِيّ فَاسْـمعِ
كَـذَاكَ لِلتَّقْلِيـلِ وَالتَّكْثِـيْرِ ... وَقَـدْ يُـرَى في كَلِـمِ الْقَـدِيرِ

وَاوٌ لِلْاسْـــتِئْنَافِ ثُـــمَّ الحَـــالِ ... كَـذَا الْـمَفْعُولِ لَـهْ وَجَمْعٍ تَـالي
لِقَـــسَمٍ وَرُبَّ عَطْـــفٍ زَائِـــدَهْ ... فَهَـــذِهِ الْأَقْـــسَامُ فِيهَـــا وَارِدَه
مَعْرِفَـــةٌ ذاتُ تمَـــام مَـــا قُـــلِ ... وَذَاتُ نَقْـــصٍ وَلِـــشَرْطٍ فاقْبَـــلِ
نَكِـــرَةٌ مَوْصُـــوفَةٌ تَعَجُّـــبُ ... نَكِـرَةٌ فَـصِفْ بِهَـا مَـا تَطْلُـبُ
مَوصُـــولةٌ كَـــذَا للْاِسْـــتِفْهَام ... وَاسْـمًا أَتَـتْ في هـذِهِ الْأَقْـسَامِ
وَإِنْ تكُـــنْ حَرْفًـــا فَمـــصْدَرِيَّة ... ظَرْفِيَّـــةٌ وَغَـــيْرُ مَـــا ظَرْفِيَّـــة
زَائِـــدَةٌ نَافِيَـــةٌ وكَافَّـــة ... عَـنْ رَفْـعٍ أَوْ نَـصْبٍ وَجَـرٍّ كَافَّـة

فصل

في ألفاظ محررة

قُـلْ فِعْـلُ مَـا لَمْ يُـسَمَّ فَاعِلُـهْ ... في نَحْـو هَـذَا قُبِّلَـتْ أَنَامِلُـهْ
وَنائِبًـا عَـنْ فَاعِـلٍ فَـيمَا يَـلي ... وَقَـدْ لِتَقْلِيْـلٍ وَتحْقِيْـقٍ تَـلي
لَنْ حَرْفُ نَصْبٍ قَدْ نَفَى الْمُسْتَقْبَلَا ... لَمْ حَـرْفُ جَـزْمٍ قَـدْ نَفَـاهُ جَـاعِلاَ
مَعْنَـــاهُ مَاضِـــيًا وَفِيْ أَمَّـــا ... حَرْفُ شَرْطٍ وَتَفْصِيْلٍ وَتوْكِيْدٍ أَمَّا
وَأَنْ فَحَـرْفُ مَـصْدرِيّ يَنْـصِبُ ... مـــضَارِعًا وَفَـــاءُ شَرْطٍ تُعْـــرَبُ
جَوَابَـــهُ رَابِطَـــةً وَلَا تَقُـــلْ ... جَـوَابَ شَرْطٍ بَـلْ كَـمَا قُلْـتُ فَقُـلْ
أَمَـــامَ زَيْـــدٍ بِإِضَـــافَةٍ خُفِـــضْ ... فَـلَا تَقُـلْ بِـالظَّرْفِ فَهْـو قَـدْ رُفِـضْ
فَـــاءُ فَـــصَلٍّ لَا تَقُـــلْ لِلْعَطْـــفِ ... فَـــاءَ سَـــبَبِيَّةٍ فَقُـــلْ لِعُـــرْفِ
لِمُـطْلَقِ الْـجَمْعِ بِـوَاوٍ قَـدْ عُطِفْ ... حَتَّـــى لِـــجَمْعٍ وَلِغَايَـــةٍ عُـــرِفْ
وَثـــمَّ لِلْمُهْلَـــةِ وَالتَّرتِيْـــب ... والْفَـــاءُ لِلتَّرتِيْـــبِ وَالتَّعْقِيْـــبِ
أكـــد بـــإن وانـــصبن وارفعـــا ... زد مـــصدريًّا إن بفـــتح وقعـــا

خاتمة

نسأل الله حسن الخاتمة

وَيَنْبَغِـــي لِلنَّـــاسِ في الإعْـــرَابِ ... بَحْـثٌ عَـنِ الْـمُهِمِّ في الأبـوَابِ
كَمِثْـــلِ فَاعِـــلٍ لِفِعْـــلٍ أَوْ خَـــبَرَ ... كَـذَا إذا مَـرَّ بِظَـرْفٍ أَوْ بِحَـرْف جَـرّ
بَـــيَّنَ محَـــذُوفًا بِـــهِ تَعَلَّقَـــا ... وَصِـلَةَ الْـمَوْصُولِ أَيْـضًا حَقَّقَـا
وَإنْ أَتَـــى بِجُمْلَـــةٍ فَيَـــذْكُرُ ... لهَـا المحَـلَّ فَهـوَ حَقًّـا أَجْـدَرُ
كَـذَاكَ في الَّـذِي وَذَا لَا يَقْتَـصِرْ ... بِقَـوْلِ مَوْصُـولٍ إشَـارَةٍ ذُكِـرْ
بَـلْ لِيَقُـولَ فَاعِـلٌ وَهْـوَ كَـذَا ... كَـذَاكَ في الْـمُـضَافِ فَـاعرفَنَّ ذَا
جُـزْءُ الْـمُـضَافِ الْـجَرُّ فِيـهِ وَارِدُ ... وَلا تَقُـلْ في الـذِّكرِ لَفـظٌ زائِـدُ
وَبَعْـضُهُمْ عَـبَّرَ عَنْـهُ بِـصِلَهْ ... وَبَعْـضُهُمْ مُؤَكِّـدًا قـدْ جَعَلَـهْ
وَكَمُلَـتْ وَالْـحَمْدُ لِلـرَّحمَنِ ... ثُـمَّ صَـلَاةُ المَلِـكِ الـدَّيَّانِ
عَـلَى النَّبِـيّ الْـمُـصْطَفَى الْـمُخْتَارِ ... وَآلِـــهِ وَصَـــحْبِهِ الأطْهَـــارِ

كتبه الفقير إلى مولاه في كل أحواله

محمد بن سليمان بن عبد العزيز آل بسام

المدرس في المسجد الحرام

في ١٥ شوال عام ١٣٩٢ هجرية

الفهـــــارس

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث والآثار
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية ورقمها	الصفحـــة
سورة الفاتحة	
﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم﴾ [٧]	٣١٨
سورة البقرة	
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ﴾ [٨]	٣٣٥
﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [١٠]	١٥٢
﴿فَلَا تَجعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُم تَعلَمُونَ﴾ [٢٢]	٤٥
﴿فَإِن لَّم تَفعَلُوا۟ وَلَن تَفعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ﴾ [٢٤]	٣١٣
﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ [٢٦]	٣٤٢
﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَن أَكُونَ مِنَ ٱلجَٰهِلِينَ﴾ [٦٧]	٢٥٧
﴿وَمَا كَادُوا۟ يَفعَلُونَ﴾ [٧١]	٣١٠
﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعمَلُونَ﴾ [٧٤]	٣١٩، ٣٤٠
﴿وَقَد كَانَ فَرِيقٌ مِّنهُم يَسمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ [٧٥]	٤٩
﴿يَوَدُّ أَحَدُهُم لَو يُعَمَّرُ﴾ [٩٦]	٣٣٧
﴿وَلَمَّا جَآءَهُم رَسُولٌ مِّن عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُم﴾ [١٠١ - ١٠٢]	١٥٥
﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [١٣٦]	٢١١
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلنَٰكُم أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [١٤٣]	٧١
﴿قَد نَرَىٰ﴾ [١٤٤]	٣٣٩

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [١٥٣] ٥٧
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [١٦٥] ٤٥
﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [١٧٤] ٦٧
﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [١٧٨] ١٠٠
﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [١٨٤] ٣٠٨
﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [١٨٥] ٥٤
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ [١٨٦] ٧٩
﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [١٩٤] ٥٧
﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [١٩٥] ٣١٨
﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [١٩٥] ٤١
﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [٢١٠] ٤٣
﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [٢١٣] ١٤٢
﴿وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ [٢١٤] ٣٣٠
﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [٢١٦] ١٧٦، ٢٣٧
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [٢٢٢] ٤٢
﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [٢٤٩] ٤٨
﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [٢٥٣] ٤٨
﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [٢٥٣] ٤١
﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ [٢٥٤] ٣١١
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [٢٥٥] ٣٧

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [٢٥٥] ٧٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [٢٦٧] ١٨٢
﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [٢٧١] ٣٤١
﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [٢٧٦] ١٨١
﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [٢٨١] ٣١١

سورة آل عمران

﴿لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ [٩] ٣١١
﴿لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [١٣] ٢٦٥
﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [٢٩] ٣٣٣
﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [٣١] ٤٢
﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ [٣٧] ١١٧
﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [٥٤] ٤٤
﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [٥٥] ٤٧
﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [٨٥] ٢١٠
﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [١٢٨] ٦٤
﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [١٤٢] ٣٣٩
﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾ [١٥٩] ٣٤٣
﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [١٨١] ٤٤
﴿لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [١٩٠] ٢٦٥

سورة النساء

﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ﴾ [٩] ٣٣٧

﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ ﴾ [١٧] ٢٥٧
﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [٢٧] ٥٤
﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ ﴾ [٢٨] ٣٣٤
﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [٥٨] ٤١
﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴾ [٧٩] ٣١٨
﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾ [٨٧] ٤٨
﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ ﴾ [٩٢] ١٠٢، ١٠٤
﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا ﴾ [٩٣] ٤٣
﴿وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾ [٩٥] ١٠٨
﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ ﴾ [١٠٤] ٢٦١
﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ [١١٣] ٦١
﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴾ [١٢٢] ٣١، ٤٨
﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [١٢٣] ٣٣٥
﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ ﴾ [١٢٨] ٣٢٦
﴿ إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرٗا ﴾ [١٤٩] ٤٥
﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ ﴾ [١٥٨] ٤٧
﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [١٦٤] ٤٨

سورة المائدة

﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [١] ٤١
﴿ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [١٦] ١٥١، ٢٦٥، ٢٧٠

﴿أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ﴾ [١٩] ٣١٩
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [٥٠] ١٤٥
﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥٤] ٤٢
﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾ [٦٤] ٤٤
﴿وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [٧١] ٣٣٥
﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [١١٠] ٤٨
﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [١١٩] ٣١١
﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ﴾ [١١٩] ٤٢

سورة الأنعام

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [١٧] ٢٥٦
﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [٥٤] ٤٢
﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [٥٩] ٤١
﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [٩٢] ٤٩
﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [١١٠] ١٥٢
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [١١٥] ٤٨
﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [١١٩] ٣٣٨
﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [١٢٥] ٤١
﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ [١٤٨ - ١٤٩] ١٣٧
﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [١٤٩] ١٧٤
﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ [١٥٨] ٤٣

سورة الأعراف

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [١٢] ٣٣١
﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [٣٣] ٤٦
﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [٣٤] ١٨٠
﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا﴾ [٤٣] ٣٣٥
﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾ [٤٤] ٣٢٨
﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [٥٤] ١٤٥
﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [٥٩] ٣١٩
﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا﴾ [٨٦] ٣٢٧
﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾ [٩٥] ٣٣٠
﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [١٤٣] ٤٨
﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [١٥٦] ٤٢
﴿كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [١٦٢] ٣١٠
﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [١٧٢] ٣٢٦
﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ [١٧٦] ٣٣٦
﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ [١٨٦] ٣١١

سورة الأنفال

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [٢] ١٠٢، ١٠٣
﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾ [٢٦] ٣٢٧
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [٢٩] ١٥٢

﴿وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ﴾ [٤٢] ٣٢٣
﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [٤٦] ٤٨
﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ﴾ [الأنفال: ٥٨] ٣٣٣

سورة التوبة

﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [٦] ٤٩
﴿فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ﴾ [٧] ٤٢، ٣٤١
﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [٤٠] ٤٨، ٥٧
﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ﴾ [٤٦] ٤٣
﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾ [١٠٥] ٤٤
﴿إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ﴾ [١٠٧] ٣٣٣
﴿أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ﴾ [١٢٤] ٣٣٦

سورة يونس

﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [١٠] ٣٣٥
﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ [٢٦] ٥٠، ٥٨
﴿وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ﴾ [٥٣] ٣٢٨
﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [٦٣] ١١٧
﴿وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ﴾ [٦٥] ٣١٢
﴿إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ﴾ [٦٨] ٣٣٣
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [٩٦- ٩٧] ٢٦٥
﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ [٩٨] ٣٣٢

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [١٠٧] ٤٢

سورة هود

﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ [١١١] ٣٣٣

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [١١٩] ٦٦

سورة يوسف

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [٢] ٣١٢

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ [٤] ٢٢٥

﴿يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾ [٥] ٢٣٥، ٢٣٦

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [٦] ٢٢٦، ٢٥٥

﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [٧] ٢٢٣، ٢٦٥

﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [٨- ٩] ٢٣٥

﴿أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ [٩] ٣٢٣

﴿وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ [٩] ٢٣٥

﴿لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ [١٠] ٢٣٧، ٢٦١

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾ [١٥] ٢٢٦، ٢٣٨، ٢٦٠، ٢٦١

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ﴾ [١٦] ٣١٠، ٣٢٣

﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [١٨] ٢٦٤

﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [١٨] ٢٥٨

﴿هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾ [١٩] ٢٣٧

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [٢٠] ٢٣٧

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [٢١] ٢٣٨
﴿أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [٢١] ٢٣٧
﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [٢٢] ٢٦٠
﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ [٢٤] ٢٤٢
﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [٢٤] ٢٣٩
﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ [٢٤] ٢٤١
﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [٢٦] ٢٤١
﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [٢٧] ٢٤١
﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [٣٠] ٢٦١
﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [٣١] ٢٤٣
﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [٣١] ٣٤٢
﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [٣٢، ٣٣] ٢٤٠
﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [٣٣] ٢٤٣، ٢٥٦، ٢٥٨
﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [٣٣- ٣٤] ٢٦١
﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [٣٥] ٣٢٩
﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [٣٦] ٢٢٨
﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾ [٣٧- ٣٨] ٢٢٩
﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا﴾ [٣٨] ٢٦٠
﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [٣٩] ٢٥٩
﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [٣٩- ٤٠] ٢٢٩

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [٤٠] ٢٦٠

﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [٤١] ٢٢٨

﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [٤٢] ٢٤٤

﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ [٤٤] ٢٣١

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ﴾ [٤٦] ٢٣١

﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ [٤٧] ٢٣٢

﴿ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [٤٩] ٢٣٣

﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ﴾ [٥٠] ٢٤٥

﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [٥١- ٥٢] ٢٤٢

﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ﴾ [٥٣] ٢٥٤

﴿قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [٥٤] ٢٣٤، ٢٤٦، ٢٦٧

﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [٥٥] ٢٤٦، ٢٦٧

﴿ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ﴾ [٥٦] ٢٣٤

﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [٥٦- ٥٧] ٢٣٤، ٢٥١، ٢٦٠

﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ [٥٩] ٢٤٧

﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ﴾ [٦٤] ٢٣٦

﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [٦٤] ٤٢، ٢٥٨

﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ﴾ [٦٥] ٣٣٨

﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ﴾ [٦٥] ٢٤٧

﴿يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ﴾ [٦٧] ٢٤٧

﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ [٧٠- ٧٦] ٢٤٨
﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ [٧٢] ٢٥٧
﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ [٧٣] ٢٥٧
﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ [٧٩] ٢٤٨، ٢٥٨، ٢٦٤
﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ [٨١] ٢٤٩
﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ﴾ [٨٣] ٢٦٤، ٢٦٦
﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [٨٦] ٢٤٩
﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [٨٧] ٢٥٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾ [٨٨] ٢٥٠، ٢٥٦
﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ [٨٩] ٢٣٨، ٢٥٧
﴿قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ۖ﴾ [٩٠] ٢٥١
﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [٩١، ٩٢] ٢٤٠
﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ [٩٦] ٣٣٤
﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ [٩٧] ٢٣٧
﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ﴾ [١٠٠] ٢٢٥، ٢٦٤
﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ [١٠٠] ٢٥١
﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ [١٠٠] ٢٥٢
﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ﴾ [١٠٠] ٢٢٦
﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ﴾ [١٠١] ٢٥١، ٢٥٥
﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [١١١] ٢٢٣

﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [١١١] ٢٦٩، ٢٧٠

سورة الرعد

﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [١٣] ٤٤

سورة إبراهيم

﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [١٠] ٣٢٢

﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ [٢٢] ١٧١

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [٢٧] ٨٥

سورة الحجر

﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ [٢] ٣٤٣

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٧٧] ٢٦٥

سورة النحل

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ [٣٥] ١٤١

﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٧٤] ٤٦

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ [١٠١] ٤٩

﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [١٠٢ - ١٠٣] ٥٠

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [١٢٨] ٤٨

سورة الإسراء

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [٩] ٢٧٠

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [١٣ - ١٤] ٨٦

﴿فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ﴾ [٣٣] ٣٣١

﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ﴾ [٦١ - ٦٢] ١٣٤

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [٨١] ١٣٤
﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ﴾ [٩٣] ٣١٦
﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ [١١١] ٤٥

سورة الكهف

﴿لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ ﴾ [١٢] ٣١١
﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا ﴾ [١٩] ٣١١
﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [٢٣- ٢٤] ١٧٢
﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ [٢٧] ٤٩
﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ ﴾ [٣٩] ٤١

سورة مريم

﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ ﴾ [٥ - ٦] ١٩٩
﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾ [٣٠] ٣١٠
﴿مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [٣١] ٣٤٢
﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴾ [٥٢] ٤٨
﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [٦٥] ٤٥
﴿لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ ﴾ [٦٩] ٣٣٦

سورة طه

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [٥] ٤٧، ٥٦
﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [١٧] ٣٤١
﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ [٣٩] ٤٤

﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [٤٦] ٤٤، ٤٨، ٥٧
﴿إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [٤٨] ١٥٢
﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ [٧١] ٦٨
﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [٨٢] ١٥٢
﴿حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ﴾ [٩١] ٣٢٩

سورة الأنبياء

﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [٣] ٣١٥
﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [١٩] ٣٢١، ٣٢٣
﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ﴾ [٣٧] ٣٤٢

سورة الحج

﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ﴾ [٥] ٣٣٩
﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓ﴾ [٦٥] ٧٨
﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [٧٠] ٩١

سورة المؤمنون

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ﴾ [١] ٣٣٨
﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ﴾ [٢٧] ٣٣٤
﴿عَمَّا قَلِيلٖ﴾ [٤٠] ٣٤٣
﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ﴾ [٩١] ٤٦
﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [٩٢] ٤٦
﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ﴾ الآية [٩٦] ٢٨٨
﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [١٠٢-١٠٣] ٨٥

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [١١٥] ١٤٤

سورة النور

﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [٢٢] ٤٥

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ [٤٥] ١٥٠

﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [٦٤] ٣٣٨

سورة الفرقان

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [١ - ٢] ٤٦

﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [٧] ٣٣٢

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [٢٥] ٤٣

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [٣٣] ٣١

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [٥٨] ٤٠

سورة الشعراء

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [١٠] ٤٨

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الشعراء: ٣٣] ٣٢٦

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ [١٠٢] ٣٣٧

﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [٢١٨-٢١٩] ٤٤

سورة النمل

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [٣٠] ٤٢

﴿فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [٣٥] ٣٤١

﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ [٤٦] ٣٣٢

﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا ﴾ [٥٠] ٤٥

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [٧٦] ٤٩

﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [٨٨] ١٤٤

سورة القصص

﴿ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ﴾ [٢٨] ٣٣٦

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [٦٥] ٤٩

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾ [٧٩] ٣٢١

﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [٨٨] ٤٣

سورة العنكبوت

﴿ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [٥٢] ٥١

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [٦٩] ،، ١٥١

سورة الروم

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ [٢٥] ٧٨

﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [٢٥] ٣٢٦

﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ [٣٦] ٣١١

﴿ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [٤٨ - ٤٩] ٦٥

سورة السجدة

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [٧] ١٤٤

سورة الأحزاب

﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ ﴾ [١٨] ٣٣٨

﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [٤٣] ٤٢

سورة سبأ

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [١-٢] ٤٠
﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [٣١] ٣٢٠

سورة فاطر

﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [٣] ٣١٩
﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [١٠] ٤٧
﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [١١] ٤١
﴿إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [٤٠] ٣٣٣
﴿يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [٤١] ٧٨
﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [٤١] ٣٣٣

سورة يس

﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [١، ٢] ٣١٥
﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [٣] ٣١٥
﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ [١٢] ٢٠٠
﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [٥٢] ٣٣٥
﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [٨٢] ٦٩

سورة الصافات

﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [٣٧] ٢٦٩
﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [١٨٠-١٨١] ٣٢
﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [١٨٠-١٨٢] ٢٨

سورة ص

﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ [٨] ٣٢٨

﴿بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [٢٦] ٣٤٢

﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [٤٢] ٢٥٦

﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [٧٥] ٤٣

﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [٨٢] ٤٥

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [٨٢- ٨٣] ١٧٠

سورة الزمر

﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ﴾ [٧] ١٦٥

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [٣٦] ٣١٩

سورة غافر

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [٧] ٤٢

﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾ [١٦] ٣١١

﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾ [٣٦-٣٧] ٤٧

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾ [٧٠- ٧١] ٣٢٧

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [٧٣] ٣٤٠

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [٨٣] ١٥٤

سورة الشورى

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [٤] ٤٠

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [١١] ٢٨، ٣٠، ٤١، ٨٠

سورة الزخرف

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [٣٦] ١٥٢
﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ [٣٩] ٣٢٧
﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ [٥٥] ٤٣
﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [٨٠] ٤٤، ٣٢٦

سورة الجاثية

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ﴾ [٧ - ٨] ٢١٥

سورة الأحقاف

﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً ۖ ﴾ [٢٨] ٣٣٢

سورة محمد

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ ﴾ [٢٨] ٤٣

سورة الفتح

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [١٥] ٤٩
﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [١٨] ١٠٨

سورة الحجرات

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ [٧] ١٧٣
﴿ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [٩] ٣٢٩
﴿ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [٩] ٤١
﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ ﴾ [٩ - ١٠] ١٠٠
﴿ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [١٠] ١٠٤

سورة ق

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [٥] ١٥٥

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [٣٥] ٥٠، ٥٨

سورة الذاريات

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [١٠] ٣٠٩

﴿ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [٢٠] ٢٦٥

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [٥٨] ٤١

سورة الطور

﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [٤٨] ٤٤

سورة النجم

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [١] ٣٢٦

سورة القمر

﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [١٣-١٤] ٤٤

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [٥٠] ٦٩

سورة الرحمن

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [٢٧] ٤٣

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ [٣٧] ٣٢٦

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [٤٦] ٢٤٢

﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [٧٨] ٤٥

سورة الواقعة

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾ [٧٥ - ٧٧] ٣١٤

سورة الحديد

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [٣] ٣٩

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [٢٢] ٩١

سورة المجادلة

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [١] ٤٤، ٣٣٨

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [٧] ٥٦

سورة الحشر

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [٧] ٦١

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا﴾ [١٠] ١٠٦

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [٢١] ٤٩

سورة الصف

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [٣] ٤٣

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ [٤] ٤٢

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ﴾ [٥] ١٥٢

سورة الجمعة

﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ﴾ [٥] ٣١٧

﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [١١] ٣٢٦

﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ﴾ [١١] ٣٤١

سورة المنافقون

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ [٨] ٤٥

﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [١٠] ٣٣٢

سورة التغابن

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ﴾ [١] ٤٦
﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾ [٧] ٣٢٥
﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ﴾ [١١] ٩٨، ١٥٢

سورة الطلاق

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ﴾ [٢- ٣] ١٥٢، ١٨٠
﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [٤] ١٥٢
﴿لِّتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [١٢] ٤١، ٩٣

سورة الملك

﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ﴾ [٣] ١٤٤، ٣١٩
﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [٤] ١٤٤
﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [١٤] ١٣٨
﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ [١٥] ١٥٣، ١٨٢
﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ [١٦-١٧] ٤٧

سورة القلم

﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ﴾ [٩] ٣٣٧
﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ﴾ [٣٩] ٣١٥

سورة المزمل

﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ﴾ [٢٠] ٣٣٥

سورة المدثر

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦] ٣١٦، ٣٣١

﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ﴾ [٣٢] ٣٣٠

سورة القيامة

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [٢٢-٢٣] ٥٠، ٥٨

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [٣٦] ١٤٤

سورة النبأ

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [١] ٣٤١

سورة التكوير

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [٢٨] ١٣٩

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [٢٨ - ٢٩] ١٣٩، ١٧٩

سورة الانفطار

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [٦] ٣٣٦

سورة المطففين

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [٢٣] ٥٠، ٥٨

سورة الانشقاق

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [١] ٣٢٦

سورة البروج

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [١٤] ٤٢

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [١٦] ٥٣

سورة الطارق

﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [٤] ٣٢٨، ٣٣٣

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [١٥-١٦] ٤٥

سورة الفجر

﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ [١٦-١٧] ٣٣٠

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [٢١-٢٢] ٤٣

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [٢٧-٣٠] ٢٥٤

سورة الليل

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ [٥-١٠] ٩٦، ١٥١

سورة الضحى

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [٩] ٣٤٤

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [١١] ٢٥١

سورة التين

﴿وَٱلتِّينِ﴾ [١] ٣٤٠

سورة العلق

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ [٦] ٣٣٠

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [١٤] ٤٤

﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾ [١٩] ٣٣٠

سورة القدر

﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [٥] ٣٢٩

سورة الكوثر

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ [١، ٢] ٣٤٥

سورة النصر

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [١] ٣٢٦

سورة الإخلاص

﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [١-٤] ٣٥

﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [٤] ٤٥

فهرس الأحاديث والآثار

طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
- الأحاديث بخروج من في قلبه أقل شيء من الإيمان من النار	١٠٤
- احرص على ما ينفعك واستعن بالله	١٨٢، ١٥٣، ٢٤٧
- إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق قِبَلَ وجهه، فإن الله قِبَلَ وجهه	٧٠
- أُذَكِّرُكُمُ الله في أهل بيتي	١١١
- أعتقها فإنها مؤمنة	٦٨
- اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة	٩٦
- اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم	١٠٨
- أفضل الإيمان أن تَعْلَم أن الله معك حيثما كنت	٧٠
- أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد	٣١٠
- اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد	٩٢
- أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا	١٢٣
- ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء	٦٨
- أمّا من كان من أهل السعادة فسيُيَسَّر لعمل أهل السعادة	٩٧
- إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته	٧٩
- إن الله اصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشًا	١١١
- أن النبي ﷺ أتاه رجل فقال: إن عليَّ بدنة وأنا موسر لها ولا أجدها	١٩٣
- أن النبي ﷺ أمرنا أن نشترك في الإبل والبقر كل سبعة منا في بدنة	١٩٣
- أن النبي ﷺ جعل البدنة والبقرة عن سبعة	١٨٩
- أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك	١٢٣
- أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء	٤٠

- إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تُضامون في رؤيته ٧١
- أنهم خير القرون ١١٣
- تصدقوا ولو بظلف محرق ٣٣٧
- تعدل ثلث القرآن ٣٥
- جفت الأقلام وطويت الصحف ٩١
- حديث جبريل المشهور ٢٦
* خير هذه الأُمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر (علي بن أبي طالب وغيره) ١٠٩
- الذين حرَّقهم عليّ في النار ٧٦
- ربنا الله الذي في السماء تقدَّس اسمك أمرك في السماء والأرض ٦٧
- رجل دعته امرأة ذات منصب و جمال، فقال: إني أخاف الله ٢٣٩
- رحمة الله قد سبقت غضبه ١٠٥
- عَجِبَ ربُّنا من قنوط عباده وقُرْب غيثه ٦٥
- عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها ١٢٠
- فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة ٨٧
- فأول ما خلق الله القلم. قال له: اكتب. قال: ما اكتب؟ ٩١
- فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ١١٢
- فليقل: آمنت بالله ١٤٩
- فينشئ الله لها أقوامًا فيدخلهم الجنة ٨٨
- القدرية الذين سماهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة ٩٢
- لا تزال جهنّم يلقى فيها وهي تقول: هل من مزيد؟ ٦٦
- لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ١٢٤
- لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهبًا ١٠٧
- لا يجزي في الأضاحي إلا جذع من الضأن أو ثني المعز ١٨٩

- لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة ١٠٨
- لا يزال الناس يتساءلون حتى يقولوا: هذا الله خلق هذا الخلق ١٤٩
- لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق ١٠٣
- للهُ أشدُّ فرحًا بتوبة عبده من أحدكم براحلته ٦٢
- لما دعا النبي ﷺ على أُناس من رؤساء المشركين لعنادهم وأذيّتهم ٦٤
- لمن شهد له رسول الله ﷺ؛ كالعشرة، وثابت بن قيس بن شمَّاس ١٠٩
- اللهم اهدني لأحسن الأعمال والأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت ٢٥٤
- المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا ١٢٢
- ما منكم من أحد إلا سيكلِّمه ربُّه ليس بينه ترجمان ٦٧
- ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة أو النار ٩٦
- ما نقصت صدقة من مال بل تزيده ١٨١
- ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء ٨٦
- مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد ١٢٣
- المُدّ مِنْ أحدهم إذا تُصُدِّقَ به كان أفضل من جبل أحد ذهبًا ١١٣
- من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه ١٨٠
- من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أجله فليصل رحمه ١٥٢
- من تكلم في شيء من القدر سئل عنه يوم القيامة ١٣٥
- مَنْ رَبُّك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ ٨٤
- من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة ١٩٨
- من شهد له رسول الله ﷺ بالجنة ١٠٩
- من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان ٣٧
- من همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله حسنة كاملة ٢٤٢
- هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته ٨٤
- هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي ١٢٤

* هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى (بعض السلف) ٩٨
- هي من قدر الله ١٥٠، ١٨٢
- واعلم أن الخلق لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء ١٤٦
- والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي ١١١
- والصراط منصوب على متن جهنم ٨٦
- والعرش فوق ذلك والله فوق عرشه، وهو يعلم ما أنتم عليه ٦٨
- وأول من يدخل الجنة أمته ٨٧
- وأول من يستفتح باب الجنة محمد ﷺ ٨٧
- ويأمرون بمعالي الأخلاق وينهون عن سفاسفها ١٢٣
- ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه ٨٦
- يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ٧١
- يضحك الله إلى الرجلين يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة ٦٤
- ينزل ربنا إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول ٦٢

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الرسالة الأولى: التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة	٥
مقدمة الطبعة الثانية	٧
ترجمة موجزة للمحقق	٩
نبذة عن المصنف	١٣
نبذة عن ا لشارح الشيخ عبد الرحمن بن سعدي	١٤
نبذة عن المعلق الشيخ عبد العزيز بن باز	١٦
نماذج من المخطوط	١٨
[مقدمة الشارح]	٢٣
الفصل الأول: [الصفـــات]	٢٧
الفصل الثاني: [أهل السنة وأهل البِدَع]	٥٩
فصل في سنة رسول الله ﷺ	٦١
[العُلوّ والفوقيّة]	٧٧
فصل	٧٩
فصل: [القرآن كلام الله]	٨١
فصل: [ما بعد الموت]	٨٤
فصل: [الإيمان]	١٠٠
فصل: [الصحابة]	١٠٦

الموضوع	الصفحة
فصل: [كرامات الأولياء]	١١٥
فصل: [أهل السنة]	١١٩
فصل: [قضايا كلية]	١٢٢
الرسالة الثانية: الدُّرَّةُ البَهيّة شرح القصيدة التَّائِيَّـــــة	١٢٥
مقدمة المصحح	١٢٧
مقدمة المؤلف	١٢٩
شرح مراد السائل	١٣٠
شرح جواب شيخ الإسلام	١٣٤
ثلاث رسائل	١٨٥
الرسالة الثالثة: حكم إجزاء سُبع البدنة والبقرة عن الشاة في الإهداء وغيره	١٨٨
مقدمة	١٩٠
الرسالة الرابعة: فائـــدة تشتمل على نبذة من آداب المعلِّمين والمتعلِّمين	١٩٧
الرسالة الخامسة: نبذة مختصرة إجمالية عن الإسلام والإشارة إلى مهمات محاسنه	٢٠٩
الرسالة السادسة: فوائد مستنبطة من قصة يوسف	٢١٩
مقدمة المصحح	٢٢٢
مقدمة المؤلف	٢٢٣
الفصل الأول	٢٢٨

الموضوع	الصفحة
الفصل الثاني	٢٣١
الفصل الثالث	٢٣٥
الفصل الرابع	٢٤١
الفصل الخامس	٢٤٤
الفصل السادس	٢٤٦
الفصل السابع	٢٥٤
الفصل الثامن	٢٥٩
الفصل التاسع	٢٦٢
الفصل العاشر	٢٦٤
الفصل الحادي عشر	٢٦٧
الفصل الثاني عشر	٢٦٩
الرسالة السابعة: التعليق وكشف النقاب على نظم قواعد الإعراب	٢٧٤
مقدمة الطبعة الثانية	٢٧٥
ترجمة موجزة للشيخ عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي	٢٧٦
مقدمة الطبعة الأولى	٣٠٥
فصل في الجملة وأحكامها	٣٠٨
فصل في الجار والمجرور	٣١٨
فصل في تفسير كلمات يحتاج إليها المعرب	٣٢٤
فصل في ألفاظ محررة	٣٤٤
خاتمة	٣٤٧
نظم القواعد مفردا	٣٥٠

الموضوع	الصفحة
الفهـــــارس	٣٥٥
فهرس الآيات القرآنية	٣٥٧
فهرس الأحاديث والآثار	٣٨٢
فهرس الموضوعات	٣٨٧